

رسائل السلام
(٦)

أدوية من السماء

رواية

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

رسائل السلام

(6)

أدوية من السماء

رواية

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الثانية

1436 – 2015

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

كتبت هذه الرواية في فترة كانت جميع وسائل الإعلام منشغلة بالطب البديل، ونظام الماكروبيوتيك وغيره من الأنظمة الغذائية والعلاجية الوافدة من الصين أو اليابان أو الهند أو غيرها من البلاد.

وقد انتشر بين عامة الناس في ذلك الحين الاهتمام بالعناصر المكونة لكل غذاء فهم يسألون عن مكوناته من الفيتامينات والمعادن والبروتينات ونحوها..

وقد صادف أن أهدي إلي حينها ماء زمزم جاء به بعض الحجاج.. وقد كنت فرحا به، وبالبركات التي يحملها.. لكن بعض المتدينين المتأثرين بالموجة الجديدة راح يسخر مني، ويقول: إن المكونات الكيميائية لماء زمزم لا تختلف عن مكونات سائر المياه..

قلت: ولكنه يحوي فوق ذلك عنصرا خطيرا، وهو البركة، فهو ماء وردت النصوص في فضله وبركته، وأنه لما شرب له..

ضحك صاحبي، وهو يقول: ألا تزال تؤمن بالبركة .. إنها هي التي نشرت الشرك في الأمة .. وهي التي جعلتنا في ذيل قافلة الأمم.. وهي التي ..؟

كان هذا موقف فرد رأيته .. لكني رأيت بعد ذلك الكثير من أمثاله.. بل رأيت علماء كبار يزعمون أن ما ذكره رسول الله ﷺ من بركات الأغذية والأدوية هو مجرد اجتهاد، وقد يكون مخطئا فيه..

بل إن بعضهم تجرأ على ما ورد في القرآن الكريم نفسه من اعتبار العسل شفاء، فراح يعتبر ذلك مجرد موافقة لما عرفه العرب من أنواع التداوي.

كل هذه الحوادث كانت السبب الأكبر لتأليفي لهذه الرواية، والتي من خلالها حاولت أن أبين قيمة البركة وأهميتها وأن أي مؤمن بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.. بل أي مؤمن بأي دين من الأديان يقول بها، ويذعن لها.

وقد تعجبت من الذين يؤمنون بتأثير الين واليانغ.. وتأثير الفيتامينات والمعادن وغيرها .. كيف لا يؤمنون بتأثير البركة.. وهي فضل الله الواسع الذي يضعه حيث يشاء ومتى يشاء

وكيف يشاء.

ولذلك حاولت في هـذه الروايـة أن أسـتنبط مـا أمكن من قــوانين تــأثير البركــة، بحيث تصــبح علاجــا يمكن اســتعماله والاستفادة منه، وقد سميت النظـام المقيـد بهـذه القـوانين من باب المشاكلة [المباركبيوتيك]

فالمباركبيوتيك هـو نظـام الحيـاة المسـتند إلى البحث عن بركات الله المودعة في الكون، لينهل منهـا المـؤمن، وينـال مـا فيها من خير وفضـل ونعمـة لا باعتبـار مكوناتهـا الماديـة، وإنمـا باعتبار صلتها بصاحب كل فضل وجود في هذا الكون.

وأحداث الرواية تدور حول رحلـة يأخـذ معلم السـلام فيهـا تلميـذه إلى بلاد السـلام، وإلى محـل يشـبه المسـجد الأقصـى المبارك، وهناك يلتقي معلم البركة، وبالمتوسمين الذين يدلونـه على كيفية الاستفادة من البركات، وكيفية التعامل معها.

وهو يمر في رحلته تلك بأربعة أقسام:

القسم الأول: مرصد البركة.. وهـو المحـل الـذي يبحث فيه على مصادر البركة ووسائطها ومحالها ومواقيتها.

القسـم الثـاني: منـازل البركـة.. وهي اللطـائف الـتي يتكون منها بنيان الإنسان، وفيها يعرف حقيقته وعلاقة البركـات بها، لأن بركات الله تحتاج إلى محال تـنزل فيهـا، ومنـازل تحـل بها.

القسم الثالث: مخزن البركة .. وهو المحل الذي يعــاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أغذية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

القسم الرابع: مشافي البركة .. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أدوية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

وقد حاور تلميذ السلام في هذه الرواية كل ما مـر بـه من أغذيـة وأدويـة وغيرهـا، وتـبين لـه من خلال الحـوار أن أسـباب بركتهـا هـو تلـك الأحـوال الروحانيـة العاليـة الـتي تعيشـها تلـك الموجودات التي بـارك اللـه فيهـا.. فقيمتهـا ليس في مكوناتهـا المادية، وإنما في أحوالها الروحية.

ولذلك فإن هذه الرواية لا تتعلق فقـط بـالنواحي الصـحية، وإنما تتعلق قبل ذلك بالنواحي الروحية والعرفانية.. حتى نتناول الأشياء من الله لننال ما فيها من فضل وبركة.

البداية

عند عودتي من [حصون العافية] شعرت برحمة الله سـبحانه وتعالى، وهي تشمل أجساد عباده وأرواحهم.. بل رأيتهـا وهي تمـد يدها إليهم ترعاهم وتحـوطهم بكنفهـا.. وقـد تعجبت من ذلـك الكم الكبير من النصوص المقدسة التي لا تخدم الروح فقط، بـل تخـدم الجسـد أيضـا، وتخـدم معـه كـل حاجاتـه ومتطلباتـه الـتي يتصـور الغارقون في أوحال الدنيا أن الدين ينفر منهـا، وأن الاتصـال باللـه يحجب عنها.

وفي غمرة تلك السعادة والسـلام الـذي استشـعرته خطـرت على بالي خاطرة، وهي أن تلك الرعاية الإلهية التي وضعت قوانين حفظ الطين، ألا يمكن أن تكون قد وضعت كذلك قوانين علاجه إذا ما طرأ عليه أي طارئ، أو حصل له أي مكروه.

وبمجـرد أن خطـرت هـذه الخـاطرة على بـالي رحت أسـأل نفسي: هل يمكن أن يكون في الطبيبعة الـتي خلقهـا ا للـه لنـا مـا يغنينا عن كثير من تلك الأدوية المسمومة التي لا تداوي داء إلا بعـد أن تضع بدله أدواء؟

وهل يمكن أن تـأتي الإشـارة إلى هـذا النـوع من الأدويـة في النصوص المقدسة، مثلما وردت الإشارة إلى الطب الوقائي؟

وهل يمكن أن تستفيد البشرية ـ إن تخلصت من كبريائهـا من تلك النصوص ـ فتفعلها في حياتها، وتبـني عليهـا منهجـا جديـدا في التداوي ينطلق من السماء قبل أن ينطلق من الأرض؟

بمجرد أن خطر على بالي هـذه الأسـئلة وغيرهـا، رأيت معلم السلام يأخذ بيدي، وهو يقـول: هيـا بنـا إلى الأرض المباركـة، حيث تتنزل أدوية السماء.

قلت: الأرض المباركة.. أدوية السماء.. ما تعني؟

قال: سر.. فبالله إن تسر ترى العجائب.

سرت معه فترة من الزمن في عوالم مجهولـة إلى أن بـدت لنا قبة تشبه قبة المسجد الأقصى في جمالها وسكينتها وروحانيتها، وقد كتب فوقها بحروف من نور قوله تعـالى على لسـان المسـيح ﷺ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ (مريم:31)

قلت للمعلم: أترانا الآن سائران نحـو المسـيح ﷺ.. إني أرى المسجد الأقصى.. وأرى كلامه مجتمعان هنا.. أنزل المسيح ﷺ؟.. كيف؟.. ولم يخرج الدجال بعد؟

قـال: ومن قـال بـأن الـدجال لم يخـرج.. إن آلاف الدجاجلـة

الصغار يظهرون كل يوم.. ألم تسمع قوله ﷺ:(لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله)(1)

قلت: بلى.. الدجالون كثيرون.. ولكن المسيح واحد.

قال: المسيح ﷺ واحد.. ولكن أنصاره الذين يكونون معه أو يسبقونه كثيرون، ألم تسمع قوله ﷺ:(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناواهم حتى يقاتل آخرهم الدجال)(2)

قلت: بلى.. ولكن هل سنزور أحد هؤلاء الأنصار المباركين.

قال: لا.. لن نزور أشخاصا، بل سنزور أدوية مباركة.. بورك فيها كما بورك في المسيح.. وهي الأدوية التي إذا رأتها الدجاجلة ذابت واندثرت.

قلت: أي دجاجلة؟

قال: الأدوية الكثيرة التي تفوح بالدجل.. والتي لا يقصد منها غير ملأ الجيوب، وتدمير الصحة.

قلت: أدوية قومي.

قال: أدوية الصراع.. وهي أدوية قومك وغير قومك.

قلت: ولم كانت دجلا؟

قال: لأنها تقوم على الصراع.. فتصارع الجسم، وتصارع الصحة، فلا تبني حتى تهدم.

قلت: وأدوية البركة.

قال: هي الإكسير الذي لا يعرف إلا العافية.. والنعمة التي لا تعرف وجه النقمة.. والمنحة التي لا تشم منها روائح المحنة.

قلت: فلم كانت مباركة؟

قال: الله تعالى برحمته بارك فيها.. ألا تعلم سر البركة؟

قلت: العجائز ـ عندنا في العادة ـ هم الذين يتعلقون بالبركة..

قال: ولكنهم يخطئون سبيلها.

قلت: فما البركة؟

قال: ما فضل الصلاة في الحرم على فضلها في سائر المساجد؟

قلت: ورد في النصوص أن الصلاة فيه تعدل مائة ألف فيما

---

1) أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي.
2) أحمد وأبو داود والحاكم.

سواه، فقد قال ﷺ: (صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع[1]فيه بخمس مائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي هذا بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة)[2]

قال: فهذا من البركة.. فصلاة واحدة تعدل مائة ألف صلاة.

قلت: فكيف تطبق هذا على الإكسير المبارك الذي يستعمله أهل هذه الديار؟

قال: إن ما يستعمله أهل هذه الديار من الأدوية لا يمكن مقارنة ما فيه من البركات بأي دواء آخر.

قلت: كيف تقول هذا ـ يا معلم ـ ونحن في عصر الدواء؟

قال: أنتم في عصر الداء والدواء.. ولا يلد الداء مثل الدواء الممحوق البركة.

قلت: أفنستغني عن الدواء بالبركة؟

قال: البركة هي أم الأدوية، كما أن مكة هي أم القرى، فكيف تقارنها بالدواء؟

قلت: أنا لا أعرف البركة بعد.. فإني لا أزال على دين قومي.. ولكني أتعجب من هذه المبالغة في شأن البركة..

قال: لا.. بل أنا مقصر في التعبير عنها، أتعلم ما أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يقوله عندما نزل إلى الأرض بعد الطوفان؟

قلت: بلى.. فقد قص القرآن الكريم علينا ذلك، فقال تعالى: وقل رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(المؤمنون:29)

قال: لو ترك الأمر لعقلك وعقول قومك: ما هي صفة الأرض التي كنت ستطلب النزول فيها؟

قلت: سأضع وصفة طويلة بمطالبي.

قال: مثل ماذا؟

قلت: ذلك يطول.. ولكني سأطلب أرضا جيدة المناخ، طيبة الثمار، حسنة التضاريس، ليس فيها الوحوش الكاسرة، ولا الأفاعي السامة.

قال: ولو ظللت طول اليوم تعد مواصفات الأرض التي تحب

---

1) أي يصلون صلاة الجمعة. النهاية [1/297]

2) ابن ماجه، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف... وقد ورد في أحاديث أخرى ما يؤيد هذا، كما في قوله ﷺ:« صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة » رواه أحمد وابن حبان.

أن تنزل فيها، فلن يعدل كـل مـا تـذكره كلمـة:(مباركـا)الـتي ورد ذكرها في طلب نوح ﵇.

قلت: لم؟

قال: لأنها تحوي كل ما ذكرت، وغـير مـا ذكـرت.. لأن البركـة من الله.. والله يعلم ما لا نعلمه.

قلت: ولكني لم أقصر فيما ذكرت، بل قد يكفيني ما ذكرت.

قال: ولكن هناك أراض كثيرة بالوصف الـذي ذكرتـه.. ولكنهـا أرض موبوءة بالزلازل أو البراكين أو الحروب أو قلة الرزق..

قلت: ولكن..

قال: سأضـرب لـك مثـالا على البركـة في الأرض.. أرأيت لـو سرت إلى مكة المكرمة قبل أن تنزل فيها هاجر ـ عليهـا السـلام ـ أتراك تطلب القرار بها؟

قلت: لا.. فقد كانت أرضـا خاويـة خاليـة.. هي أقـرب للمـوت منها إلى الحياة.. ألم يقـل اللـه تعـالى فيهـا على لسـان خليلـه ﵇: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (ابراهيم:: 37)

قال: ولكن البركة لمـا نـزلت عليهـا تحـولت منبعـا من منـابع الرزق، ومسكنا من مساكن القلوب.. ولم يصب أهلهـا أي جـوع أو ظمأ منذ تنزلت البركات، قـال الخليـل ﵇:﴿ رَبَّنَـا إِنِّي أَسْـكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَـلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْـكُرُونَ﴾ (ابراهيم:37)

قلت: ولكن هنـاك فـرق ــ يـا معلم ــ بين الـدواء والأرض.. الأرض للجميع.. أما الدواء فللأفـراد.. فلـذلك لا يمكن القيـاس في هذا الباب.

قـال: أنـا لا أقيس.. فـأنت تعلم بغضـي للقيـاس.. ولكـني أستبصر.. وأطبق سنن الله.. ولست مبتدعا في ذلك، فقد كان من هدي الصالحين البحث في مواطن البركات واستثمارها في الشفاء وغيره، ألم تعرف وصفة الإمام علي ؟

قلت: لا أعرفها.. فهل روي عنه شيء من الطب؟

قال: أجل.. كما روي عن غـيره من الأئمـة.. وقـد رويت عنـه وصـفة قـد تكـون أنجـع من كثـير من الصـناديق الـتي تملؤونهـا بالسموم.

قلت: فما قال؟

قال: روي عنه أنه قال:(إذا أراد أحـدكم الشـفاء فليكتب آيـة

من كتـاب اللّـه في صـحفة، وليغسـلها بمـاء السـماء، وليأخـذ من امرأتـه درهمـاً عن طيب نفس منهـا، فليشـتر بـه عسـلاً فليشـربه كذلك فإنه شفاء، من وجوه)

قلت: أي وجوه يقصدها؟

قال: يقصد الآيات التي ذكر فيها الشفاء والبركـة، وهي قولـه تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (الاسـراء: 82)، وقوله تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكـاً (قّ:9)، وقولـه تعالى: فَـإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَـيْءٍ مِنْـهُ نَفْسـاً فَكُلُـوهُ هَنِيئـاً مَرِيئـاً (النساء:4)، وقوله في العسل: فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاس (النحل:69)

قلت: أهذا اجتهاد اجتهده، أم تجربة جربها؟

قال: يمكن أن يكون كل ذلك، ويمكن أن يكون غيره..

قلت: ولكن قومي يسارعون إلى إنكار مثل هذا..

قـــال: فلينكـــروا.. فلا حـــرج عليهم أن ينكـــروا.. ولكنهم في إنكارهم مثل من غرق في بحر، فمد إليه منقذ خبير يده، فقال في نفسه: إن يده أضعف من أن تحملني أو تنقـذني، فبقي كـذلك إلى أن التهمه حوت البحر وأمواجه.

قلت: قد يكون ما تقول صحيحا.. ولكن الغريق الـذي تتحـدث عنه يمد يده إلى أدوية كثيرة اخترعها قومي..

قال: لا حرج عليـه في ذلـك.. ولكن الحـرج على إنكـاره على غيره إن شفاه الله بسبب من الأسـباب عجـز عقلـه المحـدود عن فهمه.

قلت: ولكن هل نكتفي بما يهديه إليه تدبرنا واستبصارنا؟

قال: لا.. لا بـد أن نراجـع الخـبراء.. فقـد أمرنـا اللـه بـالرجوع إليهم.

قلت: فكيف يتم العلاج في هذه الديار؟

قال: العلاج في هذه الديار ينقسم إلى أربعة أقسام.

قلت: فما القسم الأول منهما؟

قال: مرصد البركة.

قلت: وهل يمكن رصد البركة حتى ينصب لها مرصدا؟

قـال: أجـل.. فهنـاك المتوسـمون الـذي علمهم اللـه أسـرار البركات، فراحوا ينشرونها بين الناس.

قلت: فما القسم الثاني؟

قال: منازل البركة.

قلت: فما منازل البركة؟

قال: هي المحال التي تـنزل فيهـا البركـة، فليس الشـأن في وجود البركة ولكن الشأن في وجود المستقبل لها.

قلت: فما القسم الثالث؟

قال: مخزن البركة.

قلت: وما مخزن البركة؟

قـال: المخـزن الـذي تجـبى إليـه الثمـرات المباركـة ليأكلهـا المرضى، ويستشفوا بها.

قلت: فما القسم الرابع؟

قال: صيدلية البركـة.. وهـو قسـم يشـبه مخـابركم إلا بفـارق بسيط.

قلت: ما هو؟

قال: ليس فيه الفئران البيضاء.

قلت: أفيه الفئران السوداء؟

قال: ليس فيه أي فئران.

قلت: أيخافون عليها من القطط؟

قال: لا.. ولكن فئرانهم هي البشر أنفسهم.

قلت: لم.. فلا يجوز إجراء التجارب على البشر.. أم أن هـؤلاء يضحون بأنفسهم.

قـال: لا.. لا تخـف.. فالـدواء المبـارك إن لم يصـبك بشـفائه أصابك ببركته.

قلت: فهل سنزور هذه الأقسام؟

قال: لا مناص لنا من زيارتها.

***

في هذا الجزء من هذه الرسالة نرحـل ــ مـع معلم السـلام ـ إلى قسم العلاج بأدوية البركة، لنعلم صـدق قولـه ﷺ:(إن اللـه لم يُنزل داءً إلا أنزل له شفاء، علمه مَن علمه وجهله مَن جهله)

وهذه الأدوية التي نراها في هذا القسم لا نعرضها ليعـالج بهـا المرضـى فقـط، أو لنعـرف بهـا موقـف أهـل السـلام منهـا، وإنمـا نعرضـها ليمتلئ المرضـى بالأمـل الـذي يملأ أنينهم بالابتسـامة، فلا يقتل المريض مثل اليأس، ولا يشرح صدره مثل الأمل.

أولا ـ مرصد البركة

سرنا إلى القسم الأول من أقسام العلاج المبارك، قال لي المعلم ونحن سائران: سنذهب إلى مرصد البركة حيث نلتقي معلم البركة، فقد فتح الله عليه من الفتوح في هذا الباب ما يمكن أن يسد كل ثغرة، ويملأ كل عوز.

قلت: فهل استخلص معلم البركة من أدوية الله دواء جامعا يكتفي به الناس عن كل دواء؟

قال: لا.. هو لا يعرف الهندسة الوراثية، ولا فنون التغيير والتبديل.

قلت: فما يعرف إذن من علوم الدواء إذا لم يعرف هذا؟

قال: هيا بنا إليه.. وسيخبرك بما يعلم.

ما سرنا قليلا حتى رأينا مرصد البركة، وقد كتب على بابه قوله ﷺ:(هلم إلى الغذاء المبارك)(1)، فرأيت جمعا غفيرا من الناس من الأصحاء والمرضى، وقد عجبت لكثرتهم مع عدم تزاحمهم، فقلت للمعلم البركة: ما هذا؟ وأي ميزانية تكفي لتغذية كل هؤلاء؟

قال: هذا مرصد البركة، فكيف تسأل عن الميزانية؟

قلت: وهل يأكل أهل مركز البركة الهواء؟.. لا بد لهم من غذاء.. ولابد للغذاء من مال.

قال: ولكن البركة تحول القليل كثيرا.. والحقير عظيما.. ألم تسمع حديث جابر؟

قلت: حديث الخندق، وتكثير الطعام.

قال: أجل.. فاروه للغافلين ليعتبروا.

قلت: لقد حدث جابر قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برَسُول اللَّهِ ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إلي جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رَسُول اللَّهِ ﷺ، فقالت: لا تفضحني برَسُول اللَّهِ ﷺ ومن معه، فجئته فساررته فقلت: يا رَسُول اللَّهِ ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت

1) الحديث رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، ونص الحديث: عن العرباض بن سارية قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان فقال:« هلم إلى الغذاء المبارك »

ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال:(يـا أهـل الخنـدق، إن جـابراً قـد صـنع سـوراً فحيهلاً بكم)، فقـال النـبي ﷺ:(لا تـنزلن بـرمتكم ولا تخبزن عجينكم حـتى أجيء)، فجئت وجـاء النـبي ﷺ يقـدم النـاس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك! فقلت: قـد فعلت الـذي قلت. فأخرجت عجيننا فبسق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصـق فيـه وبارك ثم قال:(ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها)، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركـوه وانحرفـوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو)

قـال: فقـد أطعم رسـول اللـه ﷺ جيشـا من النـاس بطعـام جماعة معدودة.

قلت: ولكنه رسول الله ﷺ.

قال: وقد كثر الطعام ببركته.. فالبركة هي سر التكثير.. وهي عامة لا تتعلق بزمان أو بأفراد.

قلت: تقصد أن هذا يمكن تعميمه.

قال: لا بصورته ولباسه.. ولكن بحقيقته وروحه.. ألم تسمع ما روي في الحديث أن أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ قالوا: يا رَسُول اللَّهِ إنا نأكـل ولا نشـبع؟ قـال:(فلعلكم تفـترقون)، قـالوا: نعم، فقـال ﷺ:(فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم اللّه يبارك لكم فيه)(1)

قلت: أهذا الحديث يدل على سبيل تحصيل البركة؟

قال: هذا يدل على سبيل من سبلها.

***

بينما نحن نسير في القاعة إذ رأينا رجلا قد امتلأ وقارا، يجمــع بين الـروح والجسـد، والحس والمعـنى، والنـور والنـار، والسـكينة والثورة، والسلام والصراع، وقد جلس بين يديه رجل لا يكاد يختلف عني، ولولا أني تلمست بيدي أعضائي لخلتني ذلك الرجل، فسألت المعلم عنهما، فقال: أما الذي يجمـع السـكينة والثـورة، فهـو معلم البركة، وأما الذي بجانبه، فتلميـذ من تلاميـذ السـلام امتلأ بـالغيب، فأرد أن يمحو به الشهادة.

قلت: هو يشبهني كثيرا.

قال: قد يكون مظهرا من مظاهرك، أو صورة من صورك، أو تجل من تجلياتك.

قلت: ولكني بجانبك.

قال: أنت بجانبي، وهو يمثلك.

---

1) أبو داود.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لن تعرف ذلك الآن.. فلا تعجل.

اقتربنا منهما فسمعت الذي يشبهني يقول: لا أكتمك ــ يا معلم البركة ـ أني بعد ما امتلأت قناعة بتأثير أدوية السماء في الشفاء، خطر على بالي تأسيس مستشفى روحي عظيم يبز كل المستشفيات، أو تغلق معه كل المستشفيات.. لقد قلت لنفسي: لماذا نعالج أدواء الجسد بالجسد، ولا نعالجها بالروح، فالروح أعظم من الجسد، وطاقة الروح أعظم من طاقة الجسد.. فكيف يستطيع الجسد، وهو ضعيف منهك أن يرمم بعضه بعضا؟ لا بد له من طاقة أكبر، وليس هناك من طاقة إلا طاقة الروح..

قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد:9)

قال الذي يشبهني: ماذا تقصد؟ وما الذي تريد؟

قال: الغيب لا يغني عن الشهادة، والشهادة لا تغني عن الغيب، ألا ترى اقترانهما في القرآن الكريم؟

قال الذي يشبهني: أجل فالغيب قرين الشهادة، والله يعلم بهما جميعا.

قال: وربهما جميعا.. فاعبد الله باحترامهما جميعا.

قال الذي يشبهني: وكيف؟

قال: أن تعطي لكل منهما حقه، للغيب حقه وللشهادة حقها.

قال الذي يشبهني: ولكن الشهادة أحقر من الغيب، وأين يجدي علاج الأطباء مع علاج طبيب الأطباء؟

قال: لا تحقر شيئا مما خلق الله، فإن الله ما احتقره حين خلقه، وقد كان طبيب الأطباء يغترف من بحار الغيب والشهادة، ويداوي بأدوية الغيب والشهادة.

وقد قال تعالى لأيوب عليه السلام بعد أن طرق أبواب الغيب: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (صّ:42)، فدعاه إلى اللجوء إلى صيدلية عالم الشهادة.

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ (الصافات:146)، ألا تعلم لم أنبت الله تعالى على يونس عليه السلام بعد خروجه من بطن الحوت شجرة اليقطين؟

قال الذي يشبهني: أجل.. ففي كل ما ذكرته أدوية كثيرة من عالم الشهادة.

قال: فها قد أقررت إذن بتأثير عالم الشهادة.. ألا تعلم أي

عبودية تمارس عندما تتناول الدواء من عالم الشهادة؟

قال الذي يشبهني: وهل في تناول الدواء عبودية؟

قال: المؤمن لا يعبد إلا الله، ولا يتحرك إلا بما تتطلبه عبودية الله، فهذا الدواء صنعة الحكيم، فإن تناولته من يد الله، وعرفت الله في تناوله وشكرته على توفيره، كما تشكر الطبيب الذي عالجك مارست بذلك عبودية الدواء.

قال الذي يشبهني: لست أدري، ما علاقة الشريعة بالدواء، فالدواء دنيا، والشريعة دين، وقد قال ﷺ:(إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، وإذا كان شيء من أمر دينكم فإلي)[1]

قال: الدنيا لا تكون إلا بالدين، ولا يحفظ الدنيا إلا الدين.

قال الذي يشبهني: فكيف تجمع بين الدنيا والدين.

قال: بتطعيم الدنيا ببركات الدين.

ثم انصرف الرجل الذي يشبهني، وقد وعى ما قال له.

***

اقتربت منه، وقلت: إني أراك سكينة تحمل رياح ثورة، ونسيما يطوي إعصارا، فأيهما أنت، فإني لا أكاد أميز السلام فيك عن الصراع، والسكينة عن الثورة؟

قال: أنا النقطة التي تحت الباء.

قلت: ذاك معلمي.. معلم السلام.. ألا تعرفه؟

قال: وهو معلمي الذي تخرجت على يديه في مدرسة السلام.. وكل من تخرج على يديه ينال هذه الشهادة، ويوصف بهذا الوصف.

قلت: أكل من يتخرج من مدرسة السلام يصبح نقطة تحت باء؟

قال: وهل هناك ما هو أشرف منها.. أليست العبودية لله أعلى المراتب؟

قلت: بلى..

قال: فلن تتحقق بالعبودية حتى تتحقق بالسلام.

قلت: ولكني أرى امتزاج الصراع فيك بالسلام، والسكينة بالثورة، فأيهما أنت؟

قال: أنا السلام الذي يتحرك كتحرك النسيم العليل لتمتد الحياة بحركته.. أو يتحرك كتحرك الأمراج العاتية ليملأ الأرض بالبخار المبارك.

---

1) مسلم.

قلت: دعنا من كل هذا.. وخبرني.. لقد ذكر لي المعلم بأنك تصف دواء جامعا شافيا كافيا، فما اسم هذا الدواء؟

قال: هو ليس دواء فقط.. بل هو حياة يشكل الدواء أحد جوانبها.

قلت: وهل لهذا الدوء أو الحياة علاقة بالشفاء؟

قال: أجل.. شفاء كل العلل الحسية والمعنوية.. النفسية والجسدية.. الفردية والاجتماعية.

قلت: أهذا الدواء يحوي كل ذلك؟

قال: من تداوى به عوفيت نفسه، وعوفي جسده، وصار سلاما على الأرض.

قلت: فما اسمه؟

قال: نحن نسميه:(نظام الحياة المباركة)

قلت: تقصد:(مباركوبيوتيك)؟

قال: بعضهم يسميه بهذا الاسم ليشاكل به ما تعرفونه من الماكروبيوتيك.

قلت: لم؟ وما الفرق بينهما؟

قال: فرق عظيم.. فالماكروبيوتيك نظر إلى الغذاء.. وإلى يانه ويانغه أما نحن فننظر إلى بركته.. فالبركة هي سر الشفاء وسر العافية.. بل هي سر كل خير.

قلت: ولكن البركة شيء معنوي.

قال: ولكنه مؤثر.. أتريد تشبيها يشرح لك ذلك؟

قلت: ذلك ما يرضي بصيرتي، ويقنعني بما تقول.

قال: إن مثال البركة في الأشياء كمثال الروح في الجسد.. فهل يمكن للجسد أن يفعل شيئا بدون الروح؟

قلت: طبعا.. الجسد بلا روح كالتراب والحجارة لا يصلح له إلا الدفن.

قال: فأنتم كذلك تجعلون بطونكم مقابر للغذاء بما تسلبونه من بركته، فلذلك يدخل ميتا، ويخرج ميتا، وقد يصيبكم ببعض سموم الموتى.

قلت: وهل الطعام كائن حي حتى يوصف بالموت؟

قال: هو كائن حي بالبركة.. وهو جماد بنزع البركة.

قلت: فلنفرض أنه حي.. فالطعام طعام.. وهو يمر على جميع الأجهزة، ويصبح دما، وتتغذى منه الخلايا سواء قلنا بحياته أو بموته.. ببركته أو محق بركته.

قال: أرأيت لو أن قائدا من القواد رأى عـدوا يريـد أن يهـاجم حصنه، فأرسل مجموعة من الجنود الموتى، ووضـعهم رغمـا عنهم في مواجهة العدو، أيمكن أن يفعلوا شيئا؟

قلت: لا.. فهم مـوتى.. فلن يردعـوا عـدوا، ولن يقـروا عين صديق.. ولكن لا أظن أن هناك من يفعل هذا.

قال: أنتم تفعلونه.. الغذاء المبارك هـو الغـذاء الـذي نفخ فيـه من روح البركة ما أمـده بالحيـاة.. فلـذلك إن دخـل الجسـم دخـل حيا.. فإن اخترق الخلايـا ملأهـا بالبركـة الـتي تقضـي على كـل داء وتنزل كل عافية.

قلت: فأنت ترى أن سر التأثير لا يعود إلى المكونات، بل إلى البركة التي تكون فيها.

قال: أجل.. فلكل شيء خلقه الله تعـالى من حيث أصـله في منتهى الكمال، ولكن محق البركة فيه يجعله سلبيا ميتا ليس له أي أثر.

قلت: هذه دعاوى، فما برهنانها؟

قال: ألم تقرأ ما ورد في قصة الخليـل عليه السلام عنـد زيارتـه لابنـه إسماعيل.

قلت: هي قصة طويلة، فاذكر لي منها موضع الاستشهاد.

قال: لقد ورد فيها قوله صلى الله عليه وآله وسلم:(فلبث عنهم إبراهيم ما شـاء اللَّه ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه، قـالت خـرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشـهم وهـيئتهم، فقـالت: نحن بخير وسعة وأثنت على اللّه تعالى، فقال: ما طعامكم؟ قـالت اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت المـاء، قـال: اللهم بـارك لهم في اللحم والماء، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:(ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيـه)، قـال:(فهمـا لا يخلـو عليهمـا أحـد بغـير مكـة إلا لم يوافقاه)

قلت: فما موضع الشاهد من هذه القصة؟

قال: لقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن تـأثير الـدعاء بالبركـة في هـذا الغـذاء، ولذلك صار كافيا موافقا نافعا.

قلت: ومن لنا بالخليل عليه السلام حتى يدعو لنا بمثل هذا؟

قال: لقد جعل الله تعالى للبركة أسـبابا وشـروطا، ونحن في هذا المستشـفى نسـتعملها علاجـا لكـل الأدواء.. فنطعمهم الغـذاء والدواء مطعمـا بالبركـة الـتي تملـؤه بالحيـاة، فتجعلـه يسـري في الجسم كما يسري الجندي النشيط يقتل كل داء، ويصارع كل بلاء.

قلت: أنــا لم أســلم لــك بعــد مــا تــذكره من نفخ الحيــاة في الطعام بسبب البركة.. فالبركة شيء معنوي.

قال: سأذكر لك ما قد يصح الاستئناس به.. لقد روى ابن مسعود قال: كنا ـ أصحاب محمد ﷺ ـ نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا! بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ:(اطلبوا من معه فضل ماء)، فأتى بماء، فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه، ثم قال:(حي على الطهور المبارك، والبركة من الله)، فشربنا، قال ابن مسعود:(لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)(1)

قلت: فما موضع الشاهد من هذا النص؟

قــال: فيــه مواضــع من الاستشــهاد.. ولكن ســماع الصــحابة المنتجــبين تســبيح الطعــام، وهــو يؤكــل فيــه من الدلالــه مــا فيــه.. فالتسبيح سر الحياة وعلامتها وقوتها.

قلت: التسبيح عام لكل شيء، فكل شيء يسبح باسم اللــه.. ولكنا لا نفقه تسبيحه.

قال: من تسبيحه ما يكون شفاء.. وحينذاك يكون مباركا..

قلت: لن أجادلــك في هــذا.. فــإني لم أر بعــد تــأثير هــذا على المرضى، ولكني أريد أن أسألك عن سر هذا وعلاقته بما نــرى من أنواع استعمال الغذاء في الشفاء.

قال: لقد رأيت الأطباء في تحليلهم لتأثير الغذاء يركزون على مكوناته من حرارة ووبرودة ورطوبــة ويبوســة، أو من ين ويــانغ، أو من بــروتين وســكريات ودهــون وفيتــامين ومعــادن.. ويغفلــون عن شيء أكثر من هذه العناصر جميعــا اســمه الحيــاة.. حيــاة الغــذاء.. فالغذاء كائن حي.. أو هو أشبه بالطبيب الذي يــنزل الجســم ليملأه بالعافية.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أرأيت لو أن قومك استطاعوا أن يخترعوا طبيبا مجهريــا يسير عبر شبكة الدماء، ويخترق الخلايا، ويبحث بحربتــه عن العلــل ليقلتها، ويداوي بخيوطه الجراح ويرممها..

قلت: لو فعلــوا ذلــك لقضــوا على جميــع الأمــراض، ومســحوا جميع العلل.. ولكن من لهم بهذا.. وكم يحتاجون إلى طــبيب بمثــل هذا النوع ففي الإنسان ملايير الخلايا.

قــال: فالغــذاء المبــارك يقــوم بهــذه المهمــة.. وهــو لا يكتفي

1) أبو داود.

بذلك.. بل إنه يتحول إلى خلايا ودماء مملوءة بالحياة والبركة.
قلت: تركيزك على البركـة يكـاد يلغي أهم شـيء في الغـذاء وهو عناصـره ومركباتـه.. فلا يمكن أن نطعم من يحتـاج سـكريات طعاما مملوءا بالمعادن.
قال: ذلك صحيح.. ولكنك إن أطعمته سكريات وحدها قتلته.
قلت: لم أفهم قصدك.
قال: رأيت بعض قومك يبحثون عن سر الشفاء في العسل.
قلت: أعلم ذلك.. وهم يفعلون ذلك ليستخلصوه من العسـل، ثم يعالجون به المرضى موضوعا في كبسولات أ وشرابا.
قال: أتدري ما مثلهم في ذلك؟
قلت: وما مثلهم؟
قال: إن مثلهم في ذلك كمثل قائد رأى جنديا قد اتشح بجميع أردية القوة، فكلـف مستشـاريه وخـبراءه بـأن يشـرحوا جثـة هـذا الجندي، ثم يستخلصوا منه سر القوة، ليرموا بها أعداءهم.
قلت: سيقتلونه بذلك.. ولن يجدي ما استخلصوه شيئا.
قال: فكلذلك أنتم تفعلون.. أنتم تريدون أن تقتلوا العسل كما قتلتم كل غذاء وكل دواء.
قلت: لقـد ذكرتـني بنفـر من قـومي رأوا الـ ADN ورأوا سـر تعلق حياة الخلية به، فراحوا يصنعونه، لكنهم فوجئوا بأن ما صنعوه ميت لا حراك له.
قال: وكذلك كل غذاء ودواء لا حياة فيه ولا بركة.
قلت: ولكنا نرى سر التأثير.
قال: لا تقل سر التأثير، بل قل: سراب التأثير.
قلت: فهمت قصدك من هذا، ولكـني أريـد أن أسـألك سـؤالا كنت سألت مثله..
قاطعني، وقال: تريد معرفة التأثير.. أو تريد معرفة الأمـراض التي أمكن علاجها بهذا النظام.
قلت: لم تعـد مـا في نفسـي.. فالبرهـان على نجاعـة الـدواء حصول الشفاء.
قال: لم يدخل هذا المستشفى مريض إلا وخرج معافى.
قلت: أي أنواع الأمراض؟
قال: كل الأمراض النفسية والجسدية..
قلت: ولكن هنـاك أمراضـا كثـيرة عجـز قـومي عن علاجهـا.. فهل توصلتم إلى علاجها؟

قال: نعم.. ألم يقل ﷺ:(تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله)

قلت: فماذا تستعملون في العلاج؟

قال: المرضـى يمـرون على جميـع أقسـام هـذا المستشـفى لينالوا في كل قسم مـا يحقـق لهم حظهم من الشـفاء.. فالشـفاء عملية شاملة.. ومن الخطأ العظيم تجزئتها.

قلت: كيف تجزأ؟

قال: أليس الإنسان روحا وجسدا، غيبا وشهادة؟

قلت: بلى.. وذلك مما لا يجادل فيه.

قـال: ولكنكم تجزئـون الإنسـان فتنظـرون إلى إليـه ككـائن حسي لا روح له.. أو لا علاقة له بالروح.. أنتم في عصر تقـدم فيـه الطب، ولكنه مع ذلك تأخر فيه الطب.. تأخر تأخرا عظيما.

قلت: كيف يتقدم ويتأخر، أليس هذا تناقضا؟

قال: تقدم فيه الطب باكتشافاته الكثيرة، واختراعاتـه الـتي لا يوازيها إلا اكتشافاته، فلا تظهـر علـة في الصـباح، وإلا ويكـر عليهـا جند الطب بالمساء.

قلت: هـذا شـيء جميـل، وهـذا تقـدم محض، فكيـف يكـون التخلف في التقدم؟

قال: إن العلة التي ظهـرت في المسـاء سـببها الـدواء الـذي تناوله المريض في الصباح.

قلت: هذا شيء لا بـد منـه، فكـل علاج يفيـد ناحيـة قـد يضـر أخرى؟

قال: الخطر ليس في هذا؟

قلت: فيم إذن.

قال: في التجارة بأجساد الناس؟

قلت: لقد ذهب زمان الرقيق، فكيف يتاجر بالأجساد؟

قال: ألا ترى دعايات الأدوية وإشهاراتها، ما الفـرق بينهـا وبين إشهارات الأغذية والملابس؟.. ثم كيف يتحول الدواء الـذي تتوقـف عليه حياة الإنسان إلى تجـارة رائجـة مربحـة؟.. ثم لمـاذا تتنـافس مراكز البحث، وتتصارع، من أجل الظفر بدواء يسـد العلـة، ويفـرغ الجيوب؟.. ثم لماذا يحقر الطب بعضه بعضا، وغرضه واحد؟

قلت: فما الذي ينقص الطب ليتقدم؟

قال: البركة.. العلاج بالبركة، وهي تبدأ من معالجة الإنسان، لا أعضاء الإنسان؟

قلت: معالجـة الإنسـان، لا أعضـاء الإنسـان؟ مـا هـذا، وهـل الإنسان إلا أعضاؤه؟

قال: ألم تسمع قـول نبيـك ﷺ:(المؤمنـون كرجـل واحـد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بـالحمى والسـهر)(1)، وقولـه ﷺ:(المؤمنون كرجـل واحـد إن اشـتكى رأسـه اشـتكى كلـه، وإن اشتكى عينه اشتكى كله)(2)

قلت: وضح ما تريد، فما وجه الإشارة في هذا؟

قال: أنتم الآن في عصر التخصصات العلمية الدقيقة، فلـذلك تنظرون إلى الإنسان كمجموعـة أعضـاء وأجهـزة، فـإن دخلت إلى طبيب الأمراض التنفسية لم يلحظ منـك إلا رئتيـك وهمـا تشـهقان وتزفران، وكأنك رئة تتحرك، فلا يتعامل معك إلا على أساس ذلـك، ولا يبالي بعد أن يمس ببلسم الشـفاء رئتيـك أن تـذهب بعـدها إلى أي طبيب آخر.

وإن دخلت إلى طبيب أمراض القلب لم يسمع لما تقـول، ولا لما تشكو بل يكتفي بسماع خفقان قلبـك، ورؤيـة حركـات بطينـك وأذينك.. وهكذا مع كل الأطباء.

قلت: فما المخرج؟

قال: أن يتعامل الطب مع الإنسان.

قلت: كيف؟

قال: مع الإنسان روحا وجسدا، ونفسـا وعقلا وقلبـا، فـيراعي طاقاته ولطائفه، ويستخدمها جميعا في الاستشفاء.

قلت: تقصد الجمع بين الغيب والشهادة؟

قال: إن كان الإنسان غيبا وشهادة، فذلك ما أقصد.

قلت: فمن الطبيب الذي استطاع أن يجمع ذلك كله؟

قال: رسول الله ﷺ، فقد كان يداوي بأدوية الغيب والشهادة؟ وعلمنا أن نداوي بالغيب والشهادة.

قلت: ولكن رسول الله ﷺ لم يكن طبيبا؟

قال: فإن لم يكن طبيبا، فمن الطبيب(3)؟

قلت: رسول الله ﷺ هاد ومعلم ورسول.

---

1) مسلم.

2) مسلم.

3) ذكر بعض الباحثين (د. محمد سليمان الأشقر، أحـاديث الطب النبـوي هـل يُحتج بهـا؟، نشـر في إسـلام أون لاين، بتـاريخ: 12/08/2004)كلامـا لا يمكن أن يقبـل من أي مسلم يحترم رسول الله ﷺ، وقد أساء فهم النصوص إساءة عميقة، وقد انطلق في رأيه هذا بذكر مواقف الناس من طب النبي ﷺ، ولا بأس من تخليص كلامه للدلالـة على مبلـغ الخطر الذي يحمله تصوره أو تصويره لرسول الله ﷺ، فقد ذكر مذهبين:

قــال: والمعلم هــو الــذي علم النــاس جميعــا، والأطبــاء من الناس.

قلت: أهذا النظام الذي تعتمدونه ينطلــق من هــدي النــبي ﷺ في العلاج بالعسل والأعشاب ونحوها؟

قال: تخطئون حين تتصــورون هــذا.. رســول اللــه ﷺ لم يكن عشابا.. كان ربانيا، وقد دلنا بكل سلوكه على طرق الشفاء وطرق تناول الشفاء.. فالشفاء يستخلص من هديه كله، ومن حياته كلها.

المذهب الأول: أنه ﷺ معصوم من خطأ الاعتقاد في أمور الدنيا، بل كل مــا يعتقــده في ذلك مطابق للواقع، وكذلك ما يقوله ويخبر به.

قال:« ولم نجد أحدا من قدماء الأصوليين صرح بمثــل هــذا المــذهب، ولكنــه لازم لمن جعل جميع أقواله وأفعاله ﷺ حجة حتى في الطبيــات والزراعــة ونحوهــا، وهــو لازم أيضــا لمن صحح منهم أن تقريره ﷺ لمخبرٍ عن أمر دنيوي يدل على صحة ذلك الخبر، كما فعل السبكي وأيده المحلي والبناني »

المذهب الثاني: أنه لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقا للواقع، بــل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ.

قال: وليس في ذلك حطّ من منصبه العظيم الذي أكرمه اللــه بــه؛ لأن منصــب النبــوة مُنصب على العلم بالأمور الدينية، من الاعتقــاد في اللــه وملائكتــه وكتبــه ورســله واليــوم الآخر، ومن الأمور الشرعية. أمــا إن اعتقــد أن فلانــا مظلــوم فــإذا هــو ظــالم، أو أن دواء معينا يشفي من مــرض معين، فــإذا هــو لا يشــفي منــه، أو أن تــدبيرا زراعيــا أو تجاريــا أو صناعيا يؤدي إلى هدف معين، فإذا هــو لا يــؤدي إليــه، أو يــؤدي إلى عكســه، أو أن تــدبيرا عسكريا أو إداريا سينتج مصلحة معينة، أو يدفع ضررا معينا، فإذا هــو لا يفعــل، فــإن ذلــك الاعتقاد لا دخل له بــالنبوة، بــل هــو يعتقــده من حيث هــو إنســان، لــه تجاربــه الشخصــية، وتأثراته بما سبق من الحوادث، ومــا ســمع أو رأى من غــيره؛ ممــا أدى إلى نتــائج معينــة. فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن أو اعتقد.

وقد اختار د. محمد سليمان الأشقر هذا المذهب، واستدل لذلك بالأدلة الآتية:

1. قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾(الكهف:110)، وقــد تكــرر التأكيــد على بشرية الرسول ﷺ بخلاف أمور الشريعة، فإن كلامه فيها لا يستقر فيه خطأ، كما هو ثابت في علم أصول الفقه. فالأصل استمرار حاله في أمور الدنيا كمــا كــان قبــل النبــوة، لما لم يدل على انتقاله عن ذلك دليل.

2. قوله ﷺ:« إنما أنا بشر، فإذا أمرتكم بأمر دينكم فاقبلوه، وإذا أمــرتكم بشــيء من دنيــاكم فإنمــا أنــا بشــر »، وفي روايــة:« أنتم أعلم بــدنياكم » فهــذا الحــديث، برواياتــه المختلفة، يؤصل النبي ﷺ أصلا عظيما في الشريعة، ويبينه لنا، ويشعرنا بــأن بعض أفــراد الأمة قد يكونون أحيانا أعلم منه ﷺ بما يتقنونه من أمور الــدنيا، والمقصــود أهــل الخــبرة في كل فن وصناعة، وأنه لا داعي شرعا لالتفاتهم إلى ما يصدر عنــه ﷺ من ذلــك إلا كمــا يلتفتون إلى قول غيره من الناس (انظروا هذه الجرأة على مقام رسول الله ﷺ)

3. إن الحباب بن المنذر، قال في سياق غزوة بدر: يا رسول الله: أرأيت هــذا المــنزل، أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هــو الــرأي والحــرب والمكيــدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فــانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضــاً فنملؤه ماء، ثم نقاتــل القــوم فنشــرب ولا يشــربون. فقــال رســول اللــه ﷺ: لقــد أشــرت بالرأي.

4. وقالت عائشة:« كان رســول اللــه ﷺ يســقم عنــد آخــر عمــره، أو في آخــر عمــره. فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فينعتون له الأنعات، وكنت أعالجها له »

قلت: لم أفهم هــذا.. فــإني لا أرى العلاج إلا مــا يــدخل إلى الجــوف ليقــوم بتــدمير مــا يجب تــدميره، أو تــرميم مــا يســتحق الترميم.

قال: ذلك علاج الشهادة.. وقد يدمر ما لا يستحق التــدمير، أو يبني ما لا يحتاج إليه من البناء.

قال: ورسول الله ﷺ الذي تستندون إليه في علاجكم.

قال: كان ﷺ ينظر إلى الإنسان بعد أن نفخت فيــه الــروح.. لا قبل أن تنفخ فيه.. فلذلك كان يصف كل أنواع الأدوية..

قلت: أتقصد أن في هديه ﷺ كل تفاصيل الطب؟

قال: كل قوانين الطب.. لا تفاصــيله.. وفي هــذا المستشــفى ينطلق الأطباء والخــبراء من تعــاليم أســتاذهم الأكــبر ﷺ ليكتشــفوا دواء كل علة، ويرسموا البسمة على كل شفة.

قلت: ما الفرق بين القوانين والتفاصيل؟

قــال: القــوانين إلهيــة والتفاصــيل بشــرية.. ولا تفاصــيل بلا

وهو ينقل عن ابن خلدون قوله:« الطب المنقول في الشرعيات ليس من الــوحي في شيء. وإنما هو أمر كان عاديا للعــرب.. فإنمــا بُعث ليعلمنــا الشــرائع، ولم يبعث لتعريــف الطب ولا غيره »

وينقل عن القاضي عياض قوله:« فمثل هذا وأشــباهه من أمــور الــدنيا الــتي لا مــدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمهــا: يجــوز عليــه ﷺ فيهــا مــا ذكرنــاه [أي الخطــأ]، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنمــا هي أمــور اعتياديــة يعرفهــا من جربهــا وشــغل نفسه بها، والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفــة الربوبيــة، ملآن الجــوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية. ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الــدنيا واســتثمارها لا في الكثــير المؤذن بالبله والغفلة »

وهو يصنف الأحاديث على هذا الاعتبار فينفي الاستفادة من كثير من الأحــاديث مــع أن النصوص واضحة فيها، ومن الأمثلة التي ذكرها لذلك قوله ﷺ:« مــا ملأ آدمي وعــاء شــرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فــإن كــان لا محالــة فثلث لطعامــه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه »

ومنها أحاديث الحجامة، مع كثرة الأحاديث الواردة فيها.. وغيرها من الأحاديث.

قال تعقيبا على هذه الأحاديث بعد ذكره لها:« فهذه الأحاديث المذكورة في هــذا النــوع الثاني، ونحوها من الأحاديث التي تدخل في صــلب الأمــور الطبيــة والعلاجيــة، لا ينبغي أن تؤخذ حجة الطب والعلاج، بل مرجع ذلك إلى أهل الطب، فهم أهل الاختصــاص في ذلــك. وقد يتبين في شيء من هذه الأحاديث الخطأ من الناحية الطبية الصرفة »

ولسنا ندري موقف هذا الدكتور الجريء على رسول الله ﷺ من رجــل ينشــر وصــفات طبية صريحة تتعلق بنواح خطيرة من صحة النــاس، ثم يــزعم أنــه ملهم، بــل إنــه مــوحى إليه... هل يسلم له أم يطالب العدالة بأن تزج بــه في الســجن لتلاعبــه بالنــاس الــواثقين فيه!؟

إنها جرأة خطيرة سببها الجهل بقــدر رســول اللــه ﷺ... أمــا آثارهــا ــ لــو انتشــرت بين الناس ـ فهي عدم الثقة في رسول الله ﷺ مطلقا في أمور الغيب والشهادة.

أما ما استدل به من النصوص فهو مرتبط بحوادث لها علاقة بحياته، وهي تحمل طــابع التعليم والتربية، لا طابع المعلومة التي يحــرص رســول اللــه ﷺ على أن تنتقــل إلى أمتــه لتنتفع بها.

قوانين.

قلت: فما الفرق بينهما؟

قال: لقد علم قومك أن أسباب كثير من العلل هي الجـراثيم، وهو قانون من قوانين الصحة، فراحوا يتعرفون عليها، ويقاومونها..

قلت: أجل.. هذا صحيح.. فقد عرفت صناعة الأدوية كثيرا من المضـادات الحيويـة، وهي مـواد اكتشـفت أصـلاً في العضـويات الدقيقـة، إلا أنهـا أصـبحت اليـوم تنتج تركيبيـاً على نطـاق واسـع لاستخدامها في عضويات دقيقة أخرى أو وقف نموها.

قال: ففيم تستعمل هذه المضادات؟

قلت: في معالجة الالتهابات الجرثومية أو الفطرية.

قال: فما أساس التعرف عليها؟

قلت: لقد كان باستور أول من لاحـظ تـأثير هـذه المضـادات، في حين أثبت ألكسندر فليمنغ لأول مرة في عــام 1929 أن عفن Penicillium notatum ينتج مادة البنسلين القادرة على القضاء على بعض أنـواع الجـراثيم.. وفي عـام 1940 تمكن العالمـان فلـوري وشاين من صنع كميات كافية من البنسلين للاستعمال السـريري.. ويعتبر عـزل الستربتوميسـين من قبـل واكسـمان والغراميسـيدين من قبـــل دوبـــوس ubos وعـــزل السيفالوسـبورين، من أهم الاكتشـافات المبكـرة للمضـادات الحيويـة المفيـدة في معالجـة الالتهاب التي تصيب الإنسان.

قال: فما نتج عن هذه الاكتشافات؟

قلت: لقـد نتج عنهـا الكثـير من أنـواع المضـادات الحيويـة، والبحث ما زال مستمرا لاكتشاف المزيد منها.

قال: فما اكتشفه باستور وغيره كان قانونا من قوانين الطب استتبع التفاصيل الكثيرة التي لا تزالون تبحثون فيها.

قلت: أجل.. وقد كرمت البشـرية باسـتور أعظم تكـريم على اكتشافه هذا.

قال: فلتكرم البشرية محمدا ﷺ، فإنه حقيق بالتكريم.

قلت: هي تكرمه على أدوية السماء التي جاء بها.

قــال: لا.. لا يكفي ذلــك.. بــل ينبغي أن تكرمــه على أدويــة الأرض، فإن ما ذكره ﷺ يفوق كل ما ذكره أطباء العالم جميعا.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ستكتشف ذلك عندما تدخل إلى أقسام هذا المستشفى لترى التفاصيل الكثيرة التي انبنت على القوانين الشفائية التي جاء

بها رسول الله ﷺ.
قلت: وهل أطباء هذا المستشفى ينطلقون من هـدي رسـول الله ﷺ في العلاج؟
قال: أجل.. وهم يعـالجون كـل الأمـراض حـتى مـا استعصـى على قومك منها.
قلت: فهل يعالجونها بالمضادات الحيوية؟
قال: يعالجونها بما تعجز كل أدويتكم عن علاجها.
قلت: اضرب لي مثالا على ذلك يوضح لي هذا.
قال: هل يعالج قومك المرضى بالصدقة؟
ضحكت، وقلت: لو فعلوا ذلك لرجمهم الناس بالحجارة.
قال: فقد كـان ﷺ يـداوي النـاس بالصـدقة، بـل قـال:(داووا مرضاكم بالصدقة)، وفي حديث آخر:(ما عولج مريض بأفضـل من الصدقة)(1)
قلت: فهل لذلك علاقة بالبركة التي تستعملونها علاجا؟
قال: أجل..
قلت: فما محلها منه؟
قال: تقوم البركـة على اسـتمداد الشـفاء من الطـبيب الأول، والصدقة سبيل من سبل نزول الدواء منه.
قلت: فهل تعالجون بهذا في هذا المستشفى؟
قال: نعالج به وبغيره.. نعالج بكـل مـا يرتبـط بالبركـة.. فنحن نبحث عنها كما تبحثون في مخابركم عن العناصر والمركبات.
قلت: ولكن البركـــة بين قـــومي صـــارت لعبـــة بين أيـــدي المشعوذين.. فلذلك أساء الناس الظن بها.
قـال: الباطـل لا يمحـق الحـق، والمنكـر لا يبطـل المعـروف، والحقيقة لا تضرها دعاوى الجاهلين.

***

قلت: حـدثتني عن علاجـك، فحـدثني عنـك.. فهـل أنت من مدائن السلام.. أم من مدائن الصراع؟
قـال: كـل من تـراه في مـدائن السـلام هـرب من أرض الصراع.. ولست غريبا عنهم في ذلك.
قلت: لقد عرفت الكثير في هذا المستشفى.. فما اسمك في أرض الصراع.
قال: لا يهمك اسمي.. فالاسم قناع من الأقنعة الـتي تغفلـون

1) الديلمي.

بها عن الحقائق.
قلت: أتخاف على نفسك من شركات الغذاء والأدوية وهيئات الرقاة أن تنصب لك كمينا أو تدس لك سما؟
قال: من تعلم السلام لا يعرف الخوف.. ولا يدب إلى قلبه ما يدب إلى قلوب الغافلين.
قلت: فلم لا تذكر اسمك إذن؟
قال: من عرفه نسي اسمه.. ألم تسمع قول أبي يزيد:(كنا بنا، ففنينا عنا، فصرنا بلا نحن)
قلت: بلى.. وقد سأله رجل لا يعرفه عن أبي يزيد، فقال: أنا منذ ثلاثين سنة أبحث عنه، ولم أجده.
قال: فأعلم قومك أنهم لن يفلحوا حتى ينزعوا هذه الألقاب التي يعبدونها من دون الله.. فالله لا يبارك إلا فيمن لبس لباس العبودية.
قلت: إن لم تنبئني باسمك، فأنبئني عنك.. هل كنت في أرض الصراع طبيبا؟.. وهل كان المرضى يأتونك ويزدحمون على بابك؟.. وبم كنت تعالجهم؟
قال: لم أكن طبيا.. ولم يكن الناس يعرفونني.. ولكن قلبي كان يمتلئ ألما حين أرى خلقا كثيرا من خلق الله لعبة بين أيدي الأطباء والمشعوذين.. يستغلون حاجتهم إلى الشفاء ليذيقوهم ألوان الألم.
قلت: أبين قومك مشعوذون؟
قال: وهل خلا شعب من الشعوب من المشعوذين؟.. أليس أولئك الدجالون الذي يلبسون عباءة القرآن الكريم من أخطر المشعوذين؟..
قلت: تقصد الرقاة..
قال: وهل هناك غيرهم من المحرفين لدين الله.. المتلاعبين بالمرضى.
قلت: علمت موقفكم منهم.. فقد تجولت في أنحاء المستشفى وأبصرت الحملة التشديدة التي يحملها هذا المستشفى على هؤلاء.
قال: ليسوا وحدهم.. بل هم مع أطباء قومك خليط واحد.. لا يتقون الله في المرضى.. ولا يتألمون لما يصيبهم.
قلت: علمت ما أصابك من هم وألم بسبب هؤلاء.. فما الذي حولك إلى هذا السبيل.. هل مرضت أو مرضت أمك وأختك بالسل

كما مرض جورج اوشاوا وأمه وأخته؟

قال: أجل.. لقد ابتلاني الله بمرض خطـير.. ذهبت لأجلـه إلى الأطباء، فلعبوا بي مـا شـاء لهم أن يلعبـوا.. ثم ذهبت إلى الرقـاة، فوصفوا لي من فنون الدجل ما وصـفوا.. وبعـد أن عضـني اليـأس بنابه.. وجلست في البرزخ الذي بين المـوت والحيـاة.. لاح لي من سماء الأمل بصيصا من نور.. فلاحظتـه بعين بصـريتي.. ثم وجـدت يدي تمتد إليه لتشرب من كأسه العذبة شرابا لن أنسى مذاقه..

قلت: فما فعل هذا الشراب العجيب؟

قال: لقد سرى في أوصالي.. وتشربته عروقي.. ونشطت له خلاياي.. ونهضت من مرضي بقوة لم أدر سرها.. ونشاط لا أعرف سببه.. وبعد بحث عن العلة هداني الله إلى البركة..

قلت: وكيف عرفت أنهـا البركـة.. ولم تكن آثـار تلـك الأدويـة التي استعملتها.. ولا الرقى التي قرئت عليك؟

قال: لقد أيأسني الأطباء من حالتي.. أعلموني أن مـا أتناولـه ما هو إلا مجرد أدوية مهدئة سـرعان مـا يـزول أثرهـا.. أمـاالمرض فهو قائم في مكانه.. بل نشط غاية النشاط.. وأنـه لن يـبرح حـتى يجتث شجرتي من أصولها.

قلت: فعندما شفيت ماذا قالوا؟

قال: تعجبـوا كثـيرا.. أعـادوا تحليلاتهم وجميـع مـا يسـتعملونه للكشف.. فرأوا جسمي ببراءة الطفولة وصفاء الجمال.

قلت: والرقاة؟

قال: هم أيضا ملأوا قلبي يأسا بعد أن استلوا كل ما في جيبي من أموال.

قلت: فلم لم تكتف بشفائك، وذهبت تبحث عن سـر الشـفاء الذي حصل لك؟

قال:لقد ملأ الله قلبي حنانا ورحمة.. فكـانت مـدامعي تنهمـر للآلام وقلبي يتفطر للأنين.. فلذلك سـرت بين المرضـى أبشـرهم، وبين المعلولين أمسح الكآبة عنهم.

قلت: فهل وجدت سر ابتسامة الأنين؟

قال: من بحث بنفسه لن يجد إلا السراب؟

قلت: فبمن بحثت إذن؟

قال: بحثت عن الطبيب الذي يملك كل ألـوان الشـفاء.. فمن وجد الطبيب وجد الشفاء.. ألم تسـمع قـول الحكيم:(سـبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليـه، ولم يوصـل

إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)
قلت: فمن وصل إلى الطبيب وصل إلى الشفاء؟
قال: أجل.. بل يصل إلى ما هو فوق الشفاء.. إلى المعرفة.. ومن عرف الله لم يعالج جسده فقط.. بل يعالج روحه وكيانه وواقعه.
قلت: فقد وجدت العلاج في المعرفة؟
قال: المعرفة هي مبدأ العلاج.. ألم تسمع قول المسيح ﵇ للقعيد:(إيمانك شفاك)
قلت: بلى..
قال: فلذلك يبدأ المريض عندنا بقسم الغيبة.. فلا يحضر حتى يغيب.. ولا يعالج جسده حتى تعالج روحه.
قلت: فكيف اختاروك معلما للبركة في هذا المستشفى؟
قال: لقد هداني الله إلى هذا النظام.. فاختارني أهل الحل والعقد في مدائن السلام إلى تنفيذه.
قلت: وهل يحتاج تنفيذه إلى مستشفى؟
قال: لا.. ولا إلى دجالين يقومون بابتزاز الناس بالتجارة فيه.. فهو يقوم على الإخلاص.
قلت: فأين يعالج المريض به؟
قال: في بيته أو في السوق أو في المعمل أو في الشارع.. فهذا العلاج لا يحتاج إلا برمجة للحياة تتوافق مع أصول الشفاء.
قلت: لقد سمعت صاحب (نظام الغذاء الميزان)يعتمد برنامج الست، فما برنامجكم؟
قال: لقد مررت في حصون العافية على قاعة التنظيم، وعرفت سر الأربعين.
قلت: أجل.. أذكر ذلك.
قال: لقد عرفنا من النصوص أن للأربعين أسرار في تحويل الإنسان جميعا لا خلاياه وحدها، فلذلك كل متدرب يبدأ بالأربعين.. وأكثر المرضى يخرجون بالبرء التام.. وفيهم من يحتاج إلى المزيد من الدورات العلاجية.
قلت: فماذا يفعل في الأربعين؟
قال: يتعلم الإخلاص والحكمة والسلام.. ويتعلم كيف يدخل الطعام المبارك والدواء المبارك إلى جوفه ليقوم بمهمة الشفاء.
قلت: ولكن حياة الإنسان طويلة.. فكيف تقنعون بالأربعين؟
قال: التزامه بالصدق في الأربعين يهيئه لأن يسير حياته

جميعا وفق ما عاشه في هذه المدة.

***

قلت: فهل للبركة سبل يمكن تحصيلها بها؟

قال: أجل.. ونحن في هذا المركز نقوم بكل الوسـائل للبحث عن مواطنها.

قلت: فهل اخترعتم أجهزة لذلك؟

قال: يمكن أن تسميها أجهزة، ويمكن أن لا تسميها.

قلت: كيف؟..

قال: نحن نعتمد هنا على المتوسمين الـذين قـال اللـه فيهم: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(الحجر:75)

قلت: فكيف تعتمدون عليهم؟

قال: لقد أعطاهم الله تعالى البصيرة التي يـرون بهـا مواضـع البركة كما يرى خبراءكم العناصر والمركبات.

قلت: ولكن قـومي يملكـون مجـاهر تحـول من الـذرة جبلا.. ومن النملة فيلا.

قال: ولهؤلاء من البصيرة ما يخترقون به جميع الأسـوار الـتي لا تحلم جميع مجاهركم برؤيتها.

قلت: فماذا وجد هؤلاء المتوسمون؟

قال: لقد وجدوا أربعة عناصر تكتمل البركة باكتمالها.

قلت: ما بـالكم معشـر مـدائن السـلام.. كـل شـيء تجعلونـه أربعة؟

قـال: ألم يقــل ﷺ:(خــير الصــحابة أربعــة، وخــير الســرايا أربعمائة، وخير الجيـوش أربعـة آلاف ولا تهـزم اثنـا عشـر ألفـا من قلة)(1)

قلت: بلى.. فما سر ذلك؟

قـال: الأربعـة تجمـع الأركـان والأصـول.. فلـذلك تـرى أكـثر الحقائق تنحصر في الأربع.

قلت: فما هذه الأربع التي يبحث عنها هذا المرصد؟

قال: المصدر، والوسائط، والمواقيت، والأحوال.

قلت: هذه أسماء.. فما مسمياتها؟ وما وجه الحصر فيها؟

قال: لا بد للبركة من مصدر تنطلق منه كالشعاع لا بد لـه من شمس تمد به.

قلت: هذا صحيح.

---

1) أبو داواد والترمذي والحاكم عن ابن عباس.

قال: ولا بد لشعاع الشمس من محل تنزل به.

قلت: وتلك هي الوسائط؟

قال: أجل.. وهي التي تتلقى نورها من المصدر، كما تتلقون النور من القمر.

قلت: فهمت هذا، فما المواقيت؟

قال: لكل بركة مواقيتها الخاصة بها.

قلت: فالمحال؟

قال: قد توجد جميع أنواع البركات التي ذكرنا.. ولكن المستقبل لا يكون صالحا لتقبلها، فلذلك لا ينال من خيرها.

قلت: فهمت هذا، فأين أتعلم هذه العلوم؟

قال: سر في هذا المركز، فستلقى المتوسمين الذي يعلمونك.

قلت: ألا تسير معي؟

قال: سأرجع إليك عندما تنتهي لنذهب إلى سائر المراكز.

قلت: فكيف أطلبك؟

قال: لن تحتاج إلى ذلك..

مصدر البركة

سرت في أرجاء القاعة المكتظة بالمتوسمين، فوجدت قوما يجلسون إلى رجل قد علق خلفه لوحة كتب عليها قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن: 78)، فقلت: لا شك أن هذا هو متوسم المصدر.

قال ـ من غير أن يسمعني ـ: أجل.. فالبركة من الله.. والخير من الله.. ألم تسمع قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف:26)، وقال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:57)، وقال تعالى:﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(الزمر:6)

قلت: بلى.. فما في هذا من أسرار البركة؟

قال: لقد أخبر تعالى أن ما ينزل من السماء ينزل مباركا..

ألم تسمع قوله تعالى في القرآن الكريم: وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(الأنعام:155)، وقال تعالى: وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ(الانبياء:50)، وقال تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(المؤمنون:29)، وقال تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ(صّ:29)، وقال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ(الدخان:3)

وقال تعالى يذكر سر البركة في المطر: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(قّ:9)

بل إنه تعالى عندما ذكر الحديد، وذكر منافعه ـ التي هي بركاته ـ عبر عنها بالإنزال، فقال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (الحديد:25)

وعندما ذكر اللباس ومنافعه عبر عنها بالإنزال، فقال تعالى: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(لأعراف:26)

قلت: فهمت هذا.. وهذا يعني أن البركة في كل هذه الأشياء، ولكن إشكالا عظيما يطرح هنا.

قال: تقصد أن هذه الأمور ينالها الكافر والمؤمن، والصديق والشقي..

قلت: أجل.. ولم تعدو ما في نفسي.. ولا عجب، فأنت من المتوسمين.

قال: هم ينالونها كما ينالها المؤمنون.. ولكنهم ينالونها مجردة من البركة.. أو هي كما قال معلمنا: تدخل أجوافهم ميتة لا حراك لها.. بل قد تدخلها حية تصارعهم وتسيمهم ألوان العذاب.

قلت: لا يزال فهمي كليلا دون إدارك سر هذا.

قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(لا تلحفوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شيئاً وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته)[1]، فقد أخبر ﷺ أنه يعطيه ولكنه عطاء ممحوق البركة.. وما كان كذلك كان ضرره أقرب من نفعه.

قلت: لقد ذكرتني بما روي في الحديث أن فتى من أسلم قال: يا رَسُولِ اللَّهِ إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به؟ فقال ﷺ:(ائت فلاناً، فإنه قد كان تجهز فمرض)، فأتاه فقال:(إن رَسُول اللَّهِ ﷺ يقرئك السلام، ويقول:(أعطني الذي تجهزت به)، فقال

______

1) مسلم.

الرجل مخاطبا أهله:(يا فلانة أعطيه الذي تجهزت بـه، ولا تحبسـي منه شيئاً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه)(1)

قال: فقد أدرك هذا الصحابي الجليل سر البركة.. فلـذلك راح ينفر من الأشياء الممحوقة.

قلت: وهـذا يـدل على أن رسـول اللـه ﷺ علمهم من أسـرار البركة ما جعلهم يلتمسون مواضعها.

قال: أجل.. ويدل لذلك ما ورد في الحـديث من قولـه ﷺ:(إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيـه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشـبع؛ واليد العليا خير من اليد السفلى)(2)

قلت: عرفت هذا، واقتنعت به، وقد سمعت من معلم البركــة ما جعلني أبحث عن عناصر البركـة ومركباتهـا.. فـأي بلسـم رأيتـه أيتها المتوسم يملأ الأشياء بالبركة؟

قال: أليس الله هو مصدر البركة؟

قلت: بلى.. وقد رأينا من النصوص ما يدل على ذلك.

قــال: ولكن قومــك يبحثــون عن البركــة عنــد المشــعوذين والدجالين.. حتى انحرف مفهوم البركة، وأصبح نوعـا من الــدجل.. أو نوعا من الصكوك كتلك الصكوك التي كان رجال الدين يبيعونها.

قلت: أجل.. هذا صحيح..فلماذا تركوا مصدر البركة؟

قـال: لأمـرين: أمـا أحـدهما، فهم يـنزهون اللـه في نفوسـهم تنزيها يجعله بمنأى عن العالم أو معزولا عن العالم، وذلك يسـلمهم إلى الثاني، وهو تصورهم استحالة الوصول إلى ما في يـد اللـه من بركـــات.. أو أن ذلـــك لا يكـــون إلا بعـــد المـــرور على وســـائط المشعوذين.

قلت: هذا صحيح.. فكيف نتقي الأمر الأول؟

قال: بفهم قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَى عَبْـدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً (الفرقان: 1)، وقوله: تَبَـارَكَ الَّذِي إِنْ شَـاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْـراً مِنْ ذَلِـكَ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ وَيَجْعَـلْ لَـكَ قُصُـوراً (الفرقـان: 10)، وقوله: تَبَـارَكَ الَّذِي جَعَـلَ فِي السَّـمَاءِ بُرُوجـاً وَجَعَـلَ فِيهَـا سِـرَاجاً وَقَمَـراً مُنِـيراً(الفرقـان: 61)، وقوله: وَتَبَارَكَ الَّذِي لَـهُ مُلْكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا وَعِنْـدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (الزخرف:85)

---

1) مسلم.
2) البخاري ومسلم.

قلت: هذه آيات كثيرة، ولكل منها تفسيره الخاص.

قال: ولكنها تتفق جميعا في تقرير معنى واحـد.. معـنى بركـة الله.. فلذلك من اتصل بالله نال من بركاته مـا لا ينالـه عنـد جميـع أولياء الدنيا وصالحيها.

قلت: كيف ذلك؟

قـال: ألا يبحث النـاس عن الأوليـاء والصـالحين لينـالوا منهم بركاتهم؟

قلت: بلى..

قال: فلو علموا أن موزع البركات حاضـر لا يغيب.. وكـريم لا يبخل.. وعدل لا يظلم.. ورحيم لا يقسو.. أكـانوا يتركونـه، ويبحثـون عن الوسائط؟

قلت: لا.. وغبي من يفعل هذا.. كيف يـترك القـريب، ويقصـد البعيد.. وكيف ييمم وجهه للضعيف، وفي إمكانه الاتصـال بـالقوي.. ولكن الناس يرون الوسائط ولا يرون الله.. ألم يقل الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(الأنعام:103)

قال: بلى.. ولكنه لا يشترط أن تراه ببصرك حتى تنال خيره.. فأنت تنال خيره دون أن تراه.

قلت: صحيح هذا.. فكيف أتصل به لأنال بركات فضله؟

قال: ألم تسمع قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُـرَى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَـذَّبُوا فَأَخَـذْنَاهُمْ بِمَـا كَانُوا يَكْسِبُونَ (لأعراف:96)

قلت: الإيمان والتقوى.

قـال: أجـل.. فالإيمـان يعرفـك بـه.. والتقـوى تحجـزك عن معصيته وتقربك إلى طاعته.

قلت: وهل البركة محصورة في هؤلاء؟

قال: أجـل.. وهـذا بنص القـرآن الكـريم.. فلا تنـال البركـة إلا المباركين.

قلت: فهل تطبق لي هذا المعنى على ما ذكـره معلم البركـة من حياة الأشياء؟

قال: ذلـك سـهل.. فالغـذاء إن حـل في جـوف المـؤمن حـل سعيدا مسرورا، فيملأ جوفه وخلاياه بالبركـات، ولكنـه إن حـل في جوف الشقي حل تصحبه اللعنات.. فلا يبارك له فيه.

قلت: مـا هـذا؟.. إن ادعـاء مثـل هـذا يحتـاج إلى مصـادر معصومة.. فهل حدثت الأشياء أو حدثتك؟

قال: لقد ورد في النصوص ما يقرر هذه الحقيقة تقريرا يلبسها ثوبها اليقين.. ألم تشفق الذراع المسمومة على رسول الله ﷺ، فتخبره عن سميتها(1)..

قلت: بلى..

قال: ألم يحن الجذع لفقد رسول الله ﷺ، فلم يسكن حتى ضمه ﷺ ؟

قلت: بلى، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى لزق جذع فأتاه رجل رومي، فقال أصنع لك منبرا تخطب عليه، فصنع له منبرا، فلما قام عليه النبي ﷺ يخطب حن الجذع حنين الناقة إلى ولدها، فنزل إليه رسول الله ﷺ فضمه إليه، فسكن فأمر به أن يحفر له ويدفن (2).

قال: ألم يكن ﷺ يبادل هذه الأشياء مشاعرها، فكان يقول عن أحد: (هذا جبل يحبنا ونحبه)(3)

قلت: بلى.. وقد كان يخاطبه كما يخاطب الأحياء.

قال: إن قدرة الجبل على مبادلة النبي ﷺ لمشاعره يرفعه إلى مستويات أعلى من مستوى الإنسان المستعلي الجاهل المستكبر.

قلت: فهمت كل هذا.. ولكني لم أفهم سر عداوة الغذاء الذي يتناوله الجاحد لمن تناوله.

قال: ألم تسمع قوله تعالى، وهو يبين أثر شرك المشركين، فقال تعالى:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً﴾(مريم: 90 ـ91)

قلت: بلى.. وقد ذكر العلماء ـ انطلاقا من هذه الآية ــ الأثر الشديد الذي خلفه الشرك في الأشياء، فذكر عن بعضهم أنه قال: (إن الله تعالى لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم تك في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة وكان لهم منها منفعة فلم تزل الأرض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني آدم تلك الكلمة العظيمة وهي قولهم:﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾ (مريم: 88)، فلما قالوها اقشعرت الأرض وشاك الشجر)

قال: لقد كان ابن عباس يرجع ما في الأرض من الأذى بسبب هذا قال: (اقشعرت الجبال وما فيها من الأشجار والبحار وما فيها من الحيتان فصار من ذلك الشوك في الحيتان وفي الأشجار

---

1) انظر: شعب الإيمان: 1/160.
2) الترمذي.
3) البخاري ومسلم.

الشوك)(1)

قلت: ولكن هذا النص قد يكون منسوبا لابن عباس، فكيف تستدل به؟

قال: أنا لا أجزم بهذا النص.. ولكني أقول لك: إن الصور والخصائص التي نراها للأشياء لها علاقة كبيرة بانفعالاتها التي يسببها سلوكنا، ولذلك قد نستلذ طعوما أو مناظر في بعض الأيام، ثم نستقبحها أياما أخرى، وقد نعزو ذلك إلى نفوسنا فقط ونعزل الكون من هذا الأثر المتناقض للأشياء(2).

قلت: أللأشياء تأثيرها في الفرح والكآبة التي تصيبنا؟

قال: أجل.. وقد ورد في الآثار ما يدل على سرور الأشياء، والذي قد يسري إلى الناظرين ليشعرهم بالأنس والسعادة، فقد روي أن الجبل يفخر إن مر عليه ذاكر لله تعالى، ففي الأثر عن ابن مسعود:(إن الجبل ليقول للجبل: هل مرَّ بك اليوم ذاكر لله؟ فإن قال: نعم، سُرَّ به)، ثم قرأ عبد الله قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة:116)قال:(أفتراهن يسمعن الزور ولايسمعن الخير)(3)

وفي أثر آخر:(ما من صباح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضا، يا جاره هل مر بك اليوم عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك، فمن قائلة لا، ومن قائلة نعم، فإذا قالت: نعم، رأت لها بذلك فضلا عليها)

قلت: أدركت هذا.. ولكن هذا مرتبط بالحياة عموما، وأنا أسأل عن أشياء ملموسة لها تأثيرها في البركة.

قال: اسم الله..

قلت: اسم الله!؟

قال: أجل.. فاسم الله الذي يتلفظه القلب المؤمن هو سر البركة.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْأِكْرَامِ﴾(الرحمن: 78)، فقد نسب البركة للاسم.. بل ورد في النصوص ما يصرح بهذا، فقد قال ﷺ:(اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سألت به أعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به

1) القرطبي: 11/158.

2) ومما قد يدل على هذا ما ذكره بعض الأساتذة في علم الجزيئات المكونه للأجسام أنه عند ذكر البسمله على الكوب المملوء بالماء فإن بلورات الماء تتشكل في أروع وأجمل أشكالها، وعندما يذكر أي كلام بذيء تتشكل في مجموعات بشعة الشكل، فانظر لاستجابة كل شيء وصلاح حاله بذكر الله عز وجل.

3) ابن أببي شيبة.

فرجت)(1)

قلت: ألهذا ورد في النصوص الحث على تسمية الله في كل شيء؟

قال: أجل.. وقد ورد في الحديث ما يقرر كل ما ذكرناه، فقد قال ﷺ:(كل طعام لا يذكر اسم الله تعالى عليه فإنما هو داء، ولا بركة فيه، وكفارة ذلك إن كانت المائدة موضوعة أن تسمى وتعيد يدك، وإن كانت قد رفعت أن تسمى الله وتلعق أصابعك)(2)، وقال ﷺ:(أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة، ولا تناموا عليه، فتقسو قلوبكم)(3)

قلت: إن هذا الحديث يربط بين ذكر الله في الطعام، وبين الداء.. أيمكن أن تحل بنا الأدواء بسبب الغفلة عن ذكر الله؟

قال: أجل.. ألم يقل ﷺ: (ما اجتمع قوم في مجلس فتفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان مجلسهم ترة عليهم يوم القيامة)(4).. ألم يقل ﷺ:(ما اجتمع قوم فتفرقوا عن غير ذكر الله، إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة)(5)؟

قال: وهكذا.. إذا أكلوا طعاما لم يذكروا الله فيه كان عليهم حسرة ونقصا وظلمة.

قلت: فقد عرفت إذن من أسرار البركة سر بركة اسم الله.

قال: ليس اسم الله فقط.. بل اسم الله.. وكلام الله.. فلذلك أعلم المرضى والأصحاء كيف يسمون الله.

قلت: أللتسمية أصول؟

قال: نعم.. لها روح وجسد.

قلت: فما جسدها؟

قال: أنتم تتقنونه.. فأنتم لا تنسوها في أكلكم وشربكم، بل في لهوكم وعبثكم.

قلت: وروحها.

قال: استشعار حضور الله.. وتناول الأشياء من يد الله.. أتدري سر قوله تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ

---

1) ابن ماجة.
2) ابن عساكر.
3) الطبراني في الأوسط، وابن عدي وابن السنى وأبو نعيم في الطب، والبيهقي.
4) أحمد وابن حيان.
5) أحمد.

أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (الأنعام:121)

قلت: هذه الآية تنهى عن أكل ما لم يسم عليه الله تعالى من الحيوانات.

قال: لأن ذلك هو أدب الذبح.. فمن ذبح لتصوره أنه يحق له أن يتمتع بلحمها كان قاتلا.. فلا فرق بين أن تقتل إنسانا أو حيوانا.. ولكن إن ذبحتها.. وقلت لها، وأنت تذبحها: اعذرني أيتها البهيمة.. فلولا أن الله تعالى أذن لي بذبحك ما ذبحتك، فإنما أذبحك باسم الله.

قلت: فما تقول البهيمة حينئذ؟

قال: تسلم وجهها لله.. كما سلمه إسماعيل ﷺ، وتقول: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (الكهف: 69).. بل إنها ستمتلئ فرحا وسرورا، وتقول لك: هلم اذبحني باسم الله.. فإنه شرف عظيم لهذا الجسد أن يدفن في جسد من يعبد الله ويذكره.

قلت: فهل سمعت صوتها، وهي تخاطب الإنسان هذا الخطاب؟

قال: ألم يخبرك المعلم عن المتوسمين؟

قلت: فما سر سماعك؟

قال: لن تفهمه حتى تعرف سر (بنيان الله).. أنسيت أنك لا تزال في مدرسة السلام الابتدائية.

وسائط البركة

لم أبتعد قليلا عن المتوسم الأول، حتى ناداني أحد المتوسمين، وقال: تعال.. فإن لي أخبارا أريد أن أسر بها إليك.

قلت: أهناك أسرار في مدائن السلام؟

قال: من الحقائق ما لا يمكن للكل سماعه، فلذلك نحتاج إلى إسراره لمن يحتاج إليه.

قلت: لا أعلم إلا أن العلم ينبغي أن ينشر.. ولم أسمع إلا أن رسول الله ﷺ قال:(من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)(1)..

قال: سمعت هذا.. فاسمع قوله ﷺ:(كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)(2).. واسمع قول علي، وقد أشار إلى صدره:

---

1) الحاكم والخطيب.
2) أبو داود والحاكم.

(إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة).. واسمع قول عيسى ﷸ:(لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، فإن الحكمة خير من الجوهر، ومن كرهها فهو شر من الخنازير).. وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب، فذكر له السائل الحديث الذي ذكرت لي، فقال له:(اترك اللجام، واذهب، فإن جاء من يفقه وكتمته، فليلجمني، فقد قال الله تعالى: وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً (النساء: 5) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى)

ثم ولى مغضبا، وهو يقول: ماذا تريد مني:

أأنثرُ دراَ بين سارحةِ ... وأنظمُ منثوراً

لعمري لئن ضيعتُ ... فَلَسْتُ مُضَيعاً

لَئِنْ سَهَّل اللّه العَزِيزُ ... وصادفتُ أهلاً

بَثَثْتُ مُفيداً ... وإلاّض فمكنونٌ

وَمَنْ مَنَحَ الجهّالَ ... وَمَنْ مَنَعَ

قلت: رويدك.. فقد أحسنت بي الظن.. وما أنا بتاركك حتى تخبرني بما أردت إخباري به على أن تذكر لي سر الإسرار.

قال: لقد رأيتك اقتنعت بما قال أخي المتوسم، فخشيت أن يسوء فهمك، فتنكر الواسطة.

قلت: لم تعدو ما في نفسي.. فقد أنكرت الواسطة إنكارا كليا.

قال: فلا تفعل.. فقد جات النصوص تأمر باتخاذ الوسائل والوسائط.. فلا ينبغي أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض.

قلت: ولكن لماذا تسر لي هذا.. وقد رأيت أخاك المتوسم ينشر علمه على الملأ؟

قال: أما أنا فلا أصطاد بعلمي إلا الأفراد ممن يمتلئون قناعة بما قال.

قلت: فلم لا تنشره عزيزا.. أم أنك من هواة الصيد؟

قال: لا.. بل إن وظيفتي تستدعي الصيد.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأني لو بثثت علمي لمن لم يتحقق بالتوحيد خشيت عليه أن يغرق في الوسائط، ويغفل عن رب الوسائط.

قلت: لست أدري مدى صحة هذا التورع.

قال: هذا ليس تورعا.. بل هذه السنة.

قلت: كيف تكون سنة بلا دليل؟

قال: بل لها دليلها.. ألم تسمع حديث معاذ عندما قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار فقال: (يا معاذ، هل تدري ما حق اللَّه على عباده وما حق العباد على اللَّه؟)، قلت: اللَّه ورسوله أعلم، قال:(فإن حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على اللَّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)فقلت: يا رَسُول اللَّهِ، أفلا أبشر الناس؟ قال:(لا تبشرهم فيتكلوا)(1)

قلت: بارك الله فيك.. فقد فهمت هذا.. فلنعد الآن إلى السر الذي أردت إخباري به، واسرر بسرك ما أطقت، فإن للجدران آذانا.

بركات الأولياء:

قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(يقول تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبنه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد منه)

قلت: هذا الحديث ينص على أن العبد إذا أخلص الطاعة للّه صارت أفعاله كلها للّه تعالى، فلا يسمع إلا للّه، ولا يبصر إلا للّه أي ما شرعه اللّه له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة اللّه عزَّ وجلّ مستعيناً باللّه في ذلك كله، ولهذا جاء في بعض رواية الحديث:(فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)

قال: صدقت.. وقد فهمت هذا الحديث فهما صحيحا.

قلت: فهمته، ولكني لم أفهم سر ذكره هنا.

قال: هؤلاء العباد الربانيون الذين يسمعون بالله ويبصرون بالله يصيرون في ذواتهم مباركين، فلذلك يكونون من وسائط البركة.. فهم الأقمار التي تستقبل أنوار البركة الإلهية.. ألم تسمع قوله تعالى في حق المسيح عليه السلام وعلى لسانه:﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾(مريم:31)، وقوله في حق ذرية إبراهيم عليه السلام:﴿ وَبَارَكْنَا

---

1) البخاري ومسلم.

عَلَيْـهِ وَعَلَى إِسْـحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَـا مُحْسِـنٌ وَظَـالِمٌ لِنَفْسِـهِ مُبِينٌ﴾ (الصافات:113)

قلت: نعم.. وقد كـان ﷺ البركـة عينهـا.. وقـد ذكـرت حليمـة السعدية خبر البركـة الـتي نـزلت عليهـا وعلى قومهـا منـذ أخـذت رسول الله ﷺ لترضعه، فقالت ضمن حديث طويل:(فلمـا أخذتـه، رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بمـا شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حـتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فـإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شـرب، وشـربت معـه حـتى انتهينـا ريـا وشبعا، فبتنا بخير ليلة.

وقال صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخــذت نسـمة مباركـة ؛ قـالت: فقلت: واللـه إني لأرجـو ذلـك، قـالت: ثم خرجنــا وركبت أنــا أتــاني، وحملتــه عليهــا معي، فواللــه لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حـتى إن صـواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! اربعي علينا، أليست هذه أتانك الــتي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى واللـه، إنهـا لهي هي ؛ فيقلن: والله إن لها لشأنا.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ومـا أعلم أرضـا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنــا شـباعا لُبَّنَـا، فنحلب ونشـرب، ومـا يحلب إنسـان قطـرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم سرحوا حيث يسـرح راعي بنت أبي ذؤيب، فـتروح أغنـامهم جياعـا مـا تبض بقطـرة لبن، وتـروح غنمي شـباعا لبنـا.. فلم نـزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته)(1)

قــال: وهكــذا المقربــون والصــالحون يغيث اللــه بهم البلاد والعباد..، وقد روي عن بعض الصحابة قال: لمـا كـان غـزوة تبـوك أصاب النـاس مجاعـة فقـالوا: يـا رَسُـول اللَّهِ لـو أذنت لنـا فنحرنـا نواضحنا فأكلنا وادهنا؟ فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(افعلوا)، فقيل لـه: يـا رَسُـول اللَّهِ إن فعلت قـل الظهـر ولكن ادعهم بفضـل أزوادهم ثم ادع اللَّه لهم عليها بالبركة لعل اللَّه أن يجعل في ذلك البركة، فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(نعم)، فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضــل أزوادهم، فجعل الرجـل يجيء بكـف ذرة، ويجيء الآخـر بكـف تمـر، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شـيء يسـير، فـدعا

1) سيرة ابن هشام: (1/ 301)

رَسُول اللَّهِ ﷺ بالبركة، ثم قـال:(خـذوا في أوعيتكم)، فأخـذوا في أوعيتهم حتى مـا تركـوا في العسـكر وعـاء إلا ملئـوه وأكلـوا حـتى شبعوا وفضل فضلة. فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(أشهد أن لا إلــه إلا اللَّه وأني رَسُــول اللَّهِ لا يلقى اللَّه بهمــا عبــد غــير شــاك فيحجب عن الجنة)(1)

قلت: مـا شـاء اللـه.. لقـد حـل ﷺ مشـكلة تمـوين الجيش بالبركة.. فلماذا نخاف على أرزاقنا ما دام الأمر بهذه البساطة.

قـــال: أنتم تخـــافون على أرزاقكم لأنكم عـــزلتم اللـــه عن التصريف في الكـون.. ثم حـاولتم أن تـدبروا كـل شـيء بعقـولكم العاجزة، فسقطتم في الشباك التي نصبتها لكم أنفسكم من حيث لم تشعروا.

قلت: إن كلامك هذا يـدل على أن البـاحث عن البركـة يحتـاج إلى البحث عن أهلها المباركين ليصيبه من بركتهم.

قـال: أجـل.. ألسـتم تبحثـون عن الأطبـاء المهـرة، وترحلـون لأجلهم إلى بلاد الله الواسعة، وتنفقون الأموال العريضة؟

قلت: بلى.. ولعلنا نفعل أكثر مما ذكرت.

قال: فلا تغفلوا عن فعل ما هو دون ذلك بكثـير.. وهـو البحث عن أهل اللـه المبـاركين ليصـيبكم من دعـائهم وبـركتهم مـا يرفـع بلاءكم، ويملأكم بالبركات.

قلت: ولكن الله تعالى أمرنا بتوحيد وجهة القلـوب لـه، فقـال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّي فَـإِنِّي قَـرِيبٌ أُجِيبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (البقرة:186)، وقد روي أن رجلا قال له:(إنا نستشفع بـك على الله، ونستشفع بالله عليك)، فسبح رسول الله ﷺ، حتى رؤى ذلك في وجوه أصـحابه، وقـال:(ويحـك أتـدرى مـا اللـه،إن اللـه لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك)(2)

وقد أخبر تعالى عن قول يعقوب ﵇ قولـه: إِنَّمَـا أَشْـكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (يوسف:86)

ولهذا كان ﷺ يحض أمته على إفراد الله بالمسـألة، كمـا قـال ﷺ لابن عبـاس:(إذا سـألت فاسـأل اللـه وإذا اسـتعنت فاسـتعن بالله)، وكان ﷺ يخطب، ويقـول:(أيهـا النـاس، واللـه مهمـا يكـون عندنا من خير فلن ندخره عنكم، وإنه من يسـتغن يغنـه اللـه، ومن يستعف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ومـا أعطي أحـد عطـاء

---

1) مسلم.
2) أبو داود وغيره.

خيرا وأوسع من الصبر)

قال: أجل.. كل ما ذكرته صحيح.. ولذلك تـراني لا أصـطاد إلا من قال مثل ما قلت، أو اقتنع بمثل ما اقتنعت.. ولكني أضيف إلى ذلك التمـاس أهـل الخـير لينـال من بركـاتهم.. وليس في ذلـك أي شرك أو انحراف.

بركات البسطاء:

قــال: بلى.. ولكن النصــوص مــع ذلــك وردت بــالبحث عن التماس أهل البركات التماسا لما جعله اللـه فيهم ممن الخـير، ألم تسمع حديث أويس؟

قلت: ومن أويس؟

قال: ألا تعرف أويس؟

قلت: فعلمني من علمه ما علمك الله.

قال: هذا رجل صالح، وهو من سادات التابعين، وقد أخبر عنه ﷺ، ودعا الصحابة إلى البحث عنه طلبا لاستغفاره.

قلت: أهذا في السنة؟

قال: أجـل..فقـد قـال ﷺ:(يـأتي عليكم أويس بن عـامر مـع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان بـه بـرص فـبرأ منـه إلا موضع درهم له والدة هـو بهـا بـر لـو أقسـم على اللّه لأبـره، فـإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)(1)

قلت: هذا حديث عظيم..

قال: وفيه فوائد عظيمة وأصول نافعة في هذا الباب.

قلت: فاذكر لي منها ما أنتفع به.

قال: هو يشير إلى نوعيـة هـؤلاء المبـاركين الـذين ينتفـع بهم الناس.

قلت: تقصد أن أويسا يمثل هذه النوعية.

قال: أجل.. فأويس كان إنسانا بسيطا متواضعا مخلصا.

قلت: بل روي أنـه لمـا قصـده النـاس فـر على وجهـه هاربـا منهم.. ولم ينشر أي إعلان عن البشارة التي بشره بها رسول الله ﷺ.. ولم يتخذ ما بشره به ﷺ شبكة يصطاد بها أموال المسلمين.

قــال: ولم يفتح عيــادة يبصــق فيهــا في أفــواه النــاس.. أو يطعمهم من خبزه ليبتز ما في جيوبهم.

قلت: لكأني بك تعرض لشيء.

قال: أجل.. أعرض بقومك الذين اتخذوا بعض الناس وسـائط

1) مسلم.

بينهم وبين الله، فأجلسوهم على العروش، وراحـوا يتقربـون إليهم ناسين الله وغافلين عنه.

قلت: هم أحسنوا الظن بهم.. ولعلهم انتفعوا بهم.

قال: لا.. الولي هو الزاهد العفيـف.. ألم تسـمع قولـه ﷺ:(ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخـبركم بأهـل النـار؟ كـل عتل[1] جـواظ[2] مسـتكبر)[3].. ألم تسمع قوله ﷺ:(رب أشعث مدفوع بـالأبواب لـو أقسـم على اللـه لأبره)[4]

قلت: بلى.. وقد ورد في روايات أخرى ما يؤكد هـذا المعـنى، فقد قال ﷺ:(رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره)[5]

قـال: وفي حـديث آخـر يـبين سـر الإخلاص الـذي تحلى بـه أويس، فقال:(أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حـظ من صلاته وكان رزقـه كفافـا فصـبر عليـه حـتى يلقى اللـه عـز وجـل، وأحسن عبادة ربـه، وكـان غامضـا في النـاس، عجلت منيتـه وقـل تراثه، وقلت بواكيه)[6]

قلت: فهؤلاء الذين تلتمس بركاتهم؟

قـال: أجـل.. ألم يخـبر ﷺ أن اللـه تعـالى يـبر قسـمهم.. أي يستجيب لهم إذا أقسموا عليه.

قلت: بلى.. وقد صرحت بذلك النصوص.

قال: فالبركات تلتمس عند هـؤلاء البسـطاء.. لا عنـد منتفخي البطون والجيوب الذين يدعون لأنفسهم، ويغفلون عن الدعوة لله.

قلت: فكيف تلتمس عند هؤلاء؟.. وأين نجدهم؟

قال: في غمار الناس تجـدونهم.. ألم تسـمع حـديث أبي عبـد الله أحمد بن يحيى الجلاء عندما قال: سمعت أبي يقول: كنت عند معروف في مجلسه فدخل عليه رجل، فقال: يا أبـا محفـوظ رأيت في هذه الليلة عجبا، قـال: ومـا رأيت رحمـك اللـه؟ قـال: اشـتهي علي أهلي سـمكا فـذهبت إلى السـوق فاشـتريت لهم سـمكة وحملتها مع حمـال، فمشـي معي فلمـا سـمعنا آذان الظهـر، قـال الحمال:(يا عم هل لك أن نصلي)، فكأنه أيقظني من غفلـة فقلت

---

1) الغليظ الجافي.
2) هو الجموع المنوع. وقيل: الضخم المختال في مشيته. وقيل: القصير البطين.
3) البخاري ومسلم.
4) أحمد ومسلم.
5) الحاكم وأبو نعيم.
6) أحمد والترمذي والبيهقي.

له:(نعم نصلي)
فوضع الطبق والسمكة عليه على مستراح، ودخل المسـجد، فقلت في نفسي:(الغلام قد جاد بالطبق أجود أنا أيضا بالسـمكة)، فلم يزل يركع حتى أقيمت الصلاة، فصلينا جماعة وركع بعد الصلاة وخرجنا، فإذا الطبق على حاله موضوع، فجئت إلى البيت، وحـدثت أهلي بهذا، فقالوا لي: قل له يأكل معنا من هذا السمك، فقلت له: تأكل معنا من هذا السمك، فقال: أنا صائم فقلت له: فأفطر عندنا، قال: نعم أروني طريـق المسـجد فأريتـه، فـدخل المسـجد وجلس إلى أن صلينا المغرب.
فجئت إليـه وقلت لـه: تقـوم رحمـك اللـه، فقـال: أو نصـلي عشاء الآخرة فقلت في نفسي: هذه ثانية، يريد أن فيه خيرا، فلمــا صلينا عدت بـه إلى مـنزلي ولنـا ثلاث أبيـات: بيت فيـه أنـا وأهلي، وبيت فيه صبية مقعدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سـنة، وبيت كان فيه ضيفنا.
فبينا أنا مع أهلي إذ دق داق الباب في آخر الليل، فقلت: من يدق الباب فقالت: أنا فلانة، فقلت: فلانة قطعة لحم مطروحـة في البيت كيـف يسـتوي لهـا أن تمشـي، فقـالت: أنـا هي، افتحـوا لي، ففتحنا لهـا، فـإذا هي، فقلت: أي شـيء الخـبر، فقـالت: سـمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير، فوقع في نفسي أن أتوسل إلى اللـه عـز وجل به، فقلت:(اللهم بحق ضيفنا هـذا وبجاهـه عنـدك إلا أطلقت أسري، فاستويت وقمت وأنا في عافية كما تروني)
فقمت إليه أطلبه في البيت، فإذا البيت خـال ليس فيـه أحـد، فجئت إلى الباب فوجدته مغلقا بحاله، فقال معـروف:(نعم.. فيهم صغار وكبار)، يعني الأولياء.
قلت: أيمكن أن نعالج أنفسنا بمثل هذا السلوك؟
قال: إن كنتم مؤمنين، فعالجوا أنفسكم بـه، فهـو أقـل تكلفـة من كثير من الأدوية التي تشترونها.
قلت: ولكن السنة أمرتنا بالتداوي.
قـال: وقـد أمرتنـا بهـذا الـدواء.. ألم تسـمع قولـه ﷺ:(داووا مرضاكم بالصدقة)، وفي حديث آخر:(ما عولج مريض بأفضـل من الصدقة)(1)
قلت: لقد ذكر النبي ﷺ علاج المرضى بالصدقة.. فمـا علاقـة ذلك بهذا.

1) الديلمي.

قال: إن لم يدع لك لسان الفقير دعا لك قلبه، فإن جحد قلبه دعت لك الملائكة، فإن لم يدع لك أحد، فالله شاكر حليم، يعطيك ما عجز الكل عن إعطائه لك.

قلت: فهل تعالجون في هذا المستشفى بهذا العلاج.. فإني لم أر من يعالج به.

قال: نحن في هذا المستشفى نعالج بكل علاج.. فقد أخبرنا ﷺ بوجود الدواء، فنحن لا نقصر في البحث عنه.. أما ما ذكرت من عدم علمك بمن عالج به.. فذلك لغفلتك وغفلة قومك عن هذا الترياق العجيب، ولا يضر الدواء عدم تناول المريض له.. ولا يضر الشمس عدم اهتمام الكفيف بها.

قلت: فهل عالج الصالحون بمثل هذا؟

قال: الصالحون عالجوا بكل الأدوية.. وهذا منها .. وقد روي أن رجلا كان به قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فسأل بعض الصالحين عنها، فقال:(اذهب فاحفر بئراً في مكان الناس بحاجة إلى الماء فإني أرجوا أن ينبع هناك عينً ويمسك عنك الدم)، ففعل الرجل فبرأ.

فهكذا يفعل الصالحون والربانيون، فأنبئني لو أن هذا الرجل جاء لقومك من الرقاة، بماذا سيشيرون عليه؟

قلت: يخبرونه ـ بعد رقية التشخيص ـ بأن الشيطان ركضه ركضة يحتاج معها إلى التجول على الرقاة جميعا ليجد من يحرق له شيطانه، وقد يموت قبل ذلك.

قال: وسأزيدك أخرى لترى منهج الصالحين في التسليم للنصوص المقدسة، قال بعضهم: مرضت مرضا خطرا، فرآني جار لي صالح، فقال استعمل قول رسول الله ﷺ:(داووا مرضاكم بالصدقة)، وكان الوقت ضيقا، فاشتريت بطيخا كثيرا، واجتمع جماعة من الفقراء والصبيان، فأكلوا ورفعوا أيديهم إلى الله عز وجل، ودعوا لي بالشفاء، فوالله ما أصبحت إلا وأنا في كل عافية من الله تبارك وتعالى)

قلت: تلك أزمنة الصالحين.

فقال: كل الأزمة أزمنة الصالحين، ولا زمان للصالحين..

قلت: فهمت كل هذا ووعيته، وقد أدركت سر أمره تعالى بالدعاء للمتصدقين، كما قال تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ (التوبة:103)

قال: ولهذا كان من سنة السلف الصالح الدعاء للمتصدقين.

قلت: أيدخل في هذا الدعاء لمن أطعم الطعام؟

قال: أجل.. فإطعام الطعام من الإحسان، وقد كان ﷺ إذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم، فدعا فى منزل بعضهم، فقال:(اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم)(1)

وروي أنه ﷺ دخل منزله ليلة، فالتمس طعاما فلم يجده، فقال:(اللهم أطعم من أطعمنى، واسق من سقانى)

وقد دعا لمن سقاه لبنا فقال:(اللهم أمتعه بشبابه)، فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء.

وكان يدعو لمن يضيف المساكين، ويثنى عليهم، فقال مرة:(ألا رجل يضيف هذا رحمه الله)

قلت: ودعا فى منزل سعد بن عبادة، فقال:(أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة)

قال: ولما دعاه بعض الناس هو وأصحابه فأكلوا، فلما فرغوا قال ﷺ:(أثيبوا أخاكم)، قالوا: يا رسول الله ؛ وما إثابته؟ قال:(إن الرجل إذا دخل بيته، فأكل طعامه، وشرب شرابه، فدعوا له، فذلك إثابته)

بركات الملائكة

قلت: عرفنا وسائط البشر، فهل من بركات الله ما يمكن أن نلتمسه من غيرهم؟

قال: ألا تعرف حديث الأبرص والأقرع والأعمى؟

قلت: بلى.. أولئك النفر الذين قال فيهم النبي ﷺ:(إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا. فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر. (شك الراوي)، فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملا قال بارك الله لك فيها.

---

1) مسلم.

فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قـال: أن يـرد اللـه إلي بصري فأبصر الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قـال: فـأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا. فأنتج هذان وولد هذا، فكـان لهـذا واد من الإبـل ولهـذا واد من البقـر ولهـذا واد من الغنم)(1)

قـال: هـذا الحـديث يـدل على آثـار البركـات ومصـدر من مصادرها.

قلت: أتقصد الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؟

قـال: أجـل.. لقـد أخـبر ﷺ أن اللـه تعـالى ابتلى هـؤلاء بهـذا الملاك.. ولم يخبر أن هذا خاص بهم.

قلت: أفي إمكان أي أحد منا أن يحصل له ما حصل لهؤلاء؟

قال: وأي حرج في ذلك.. ولكن لا بنفس الصورة.. فقد يظهر له الملاك في أي صورة من الصور.

قلت: ولكن الملائكـة ـــ عليهم الصـلاة والسـلام ـــ يظهـرون للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

قال: ولكن الصحابة رأوهم.

قال: ذلك في عهده ﷺ.

قال: ألم يقل ﷺ لحنظلة:(والـذي نفسـي بيـده لـو تـدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في فرشكم وفي طرقكم)(2)؟

قلت: أيمكن ـ إذن ـ أن نستفيد من دعوات الملائكـة ـــ عليهم الصلاة والسلام ـ؟

قال: أجل.. ألم يخبر اللـه تعـالى عن دعـاء الملائكـة ـــ عليهم الصلاة والسلام ـ للمؤمنين، فقـال تعـالى: الَّذِينَ يَحْمِلُـونَ الْعَـرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْـتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُـوا سَـبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (غافر: 7)

قلت: بلى.. ولكن كيف نرى الملائكة ـ عليهم الصلاة والسـلام ـ حتى نلتمس منهم هذه البركات؟

قال: لا حاجة لأن تراهم.. هم معك في كل حين لا بفارونــك.. إنما الشأن أن تستشعر وجـودهم وتحـترمهم.. وسـتراهم يسـعون في خيرك.

1) البخاري ومسلم.
2) مسلم.

قلت: إن قومي ينكرون علي إن خاطبت الملائكة أو تحدثت عنهم بهذا الأسلوب.

قال: ولماذا يخاطبون الجن، ويخترقون أسوار عالمهم؟

قلت: لأنهم جن.

قال: الإيمان بالجن ليس من أركان الدين، والإيمان بالملائكة ــ عليهم الصلاة والسلام ــ من أركانه.. وكونه من أركان الدين يستدعي صحبة خاصة لهم لعلاقتهم بالسلوك والتوجه إلى الله.

قلت: هم يزعمون الانتساب للسلف الصالح في هذا.

قال: من سلفهم في هذا.. هل الحجاج، أم زياد بن أبيه؟

قلت: الصحابة والتابعون ومن بعدهم.

قال: فأخبرهم أن الربيع بن خثيم كان إذا أصبح قال:(مرحبا بملائكة الله، اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)

وقد كان أبو بكر بن عياش لما كبر يأخذ إفطاره، ثم يغمسه في الماء في جر كان له في بيت مظلم، ثم يقول:(يا ملائكتي طالت صحبتي لكما، فإن كان لكما عندالله شفاعة فاشفعا لي)

محال البركة

ما ابتعدت قليلا عن المتسوم الثاني حتى ناداني المتوسم الثالث، وقال: لقد عرفت وسائط البركة، فتعال معي لنبحث عن محالها.

قلت: فما محالها؟

قال: كثيرة جدا.. فالنبي ﷺ يقول مثلا:(تحول إلى الظل، فإنه مبارك)(1)، وقال:(ثلاث فيهن البركة: البيع إلى أجل، والمقارضة، وإخلاط البر بالشعير للبيت لا للبيع)(2)، وقال:(كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه)(3)

قلت: فقد أخبر ﷺ عن هيئات معينة تكون فيها البركة.

قال: أجل.. بل أخبرنا ﷺ عن مواضع تنزل البركة من الطعام، فقد روي أنه كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتي بتلك القصعة (يعني وقد ثرد فيها)، فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رَسُول اللَّهِ ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(إن اللَّه جعلني

1) الحاكم.
2) ابن ماجة وابن عساكر.
3) البخاري.

عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً)، ثم قال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(كلــوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيها)(1)

قلت: فقــد أخــبر ﷺ أن ذورة الطعــام تتــنزل عليــه البركــة، فلذلك أمر بالأكل من الجوانب.

قـال: أجـل.. وقـد صـرح ﷺ بـذلك في حـديث آخـر، فقـال: (البركـة تـنزل وسـط الطعـام، فكلـوا من حافتيـه ولا تـأكلوا من وسطه)(2)

قلت: وقـد أمـر ﷺ بلعـق الأصـابع والصـحفة وقـال:(إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة)(3)

قال: وأمر رسول اللـه ﷺ من سـقطت عنـه اللقمـة برفعهـا معللا ذلــك بطلب البركــة، فقــال ﷺ:(إذا وقعت لقمــة أحــدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذىً وليأكلها، ولا يدعها للشـيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حـتى يلعـق أصـابعه؛ فإنـه لا يـدري في أي طعامه البركة)(4)

قلت: وقد أمر ﷺ بسلت القصعة، وقال:(إنكم لا تــدرون في أي طعامكم البركة)(5)

قال: وعلى عكس ذلـك أخـبر ﷺ أن الأكـل من أشـياء معينـة تسلب البركة، فقـال ﷺ:(من شـرب في إنـاء من ذهب أو فضـة، فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم)(6)

قلت: وهل يدخل في هذا النهي عن الأكل بالشمال؟

قال: أجل.. فقد كان ﷺ يأمر بالأكل باليمين، وينهى عن الأكل بالشمال، ويقول:(إن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله)

قلت: ألا نفهم من هذا تحريم الأكل بالشمال؟

قال: بلى.. فالنص واضح.. فالآكل بشماله إمـا شـيطان، وإمـا مشبه به، بل إنه ﷺ اشتد على رجل كان عنده يأكل بشماله، فقال له:(كل بيمينك)، فقال: لا أستطيع، فقال:(لا استطعت)، فما رفـع يده إلى فيه بعدها، فلو كان ذلك جائزا، لما دعا عليه بفعله.

قلت: إن ما قلته يـدعونا لتجـريب الأطعمـة المختلفـة للبحث عن أسرار البركة فيها.

قال: أجل.. فقد قال ﷺ يشـير إلى هـذا:(إذا سـقطت لقمـة

---

1) أبو داود بإسناد جيد.
2) أبو داود والترمذي.
3) مسلم.
4) مسلم.
5) مسلم.
6) البخاري ومسلم.

أحدكم، فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يـدعها للشـيطان، وليسـلت أحدكم الصحفة، فـإنكم لا تـدرون في أي طعـامكم تكـون البركـة)(1).. ولكن الأطعمة المباركة، لا الأطعمة الممحوقة.

قلت: أهناك أطعمة ممحوقة؟

قـال: أجـل.. إنهـا الأطعمـة الـتي تتفننـون في تخريبهـا في معاملكم لتبدلوا خلقتها.

قلت: لا.. نحن لا نبـدل خلقتهـا، بـل نسـوغ نكهتهـا، ونحسـن منظرها.

قال: وما أدراكم لعل سر بركتها في لونها أو طعمها، ألم يقل ﷺ:(ماذا في الأمرين من الشفاء: الثفاء والصبر)(2)، فقد وصـفهما ﷺ بالمرارة، وهو يشير إلى ما تختزنه مرارتهما من العلاج.

وقال في الكبـاث(3):(عليكم بالأسـود منـه، فإنـه أطيبـه)(4)، فقد أشار ﷺ إلى لونه.

قلت: اضرب لي على هذا مثالا ـ يا معلم ـ فإني لا أكاد أفهم.

قال: سأضرب لك مثالا من العمران.. فإني أعلم شغفكم به.

قلت: نعم.. وسيكون مفهوما للعامة والخاصة.

قال: أرأيت لو أن خبيرا من الخبراء توصل إلى اخـتراع مـادة توضع على مبانيكم، فتسحب كل ما فيها من إسمنت.

قلت: لم؟

قال: لعله يرى أن هذا الإسمنت مشوه للبنيـان.. فلـذلك رأى من الكمال نزعه منها.

قلت: ولكن هـذا الخبـير الغـبي لا يـدري مـاذا يفعـل.. إنـه سيسقط كل عمران الدنيا على رؤوس أهلهـا.. فلا يمكن أن تقـوم الخرسانة بلا إسمنت.

قال: وقومك يفعلون هذا مع الغذاء المبارك.. هم يستخصلون منه ما يشاءون من العناصر، فيهدمون أركانه، ثم يطلبـون منـه أن يحافظ على بركته.

قلت: اضرب لي على ذلك مثالا من الغذاء لا من البنيان.

قال: الأمثلة كثيرة.. وقـد عـرفت تشـويههم للملح والسـكر.. ولكني سأضرب لك مثالا مرتبطا بالبركة.. ماذا قال رسول الله ﷺ

1) أحمد ومسلم.
2) أبو داود في مراسليه والبيهقي.
3) الكباث، هو ثمر الأراك، وقد ذكر أطباء المسلمين أن منافعه كمنافع الأراك، فهو يقوي المعدة، ويجيد الهضم، ويجلو البلغم، وينفع من أوجاع الظهر، وكثير من الأدواء.
4) البخاري ومسلم.

عن اللبن؟

قلت: لقد وردت الأحاديث في فضل اللبن، ولهذا كان ﷺ يقول:(إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيرا منه، وإذا شرب لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن)(1)

قال: فقد اعتبر ﷺ اللبن غذاء يجزي عن الطعام والشراب.

قلت: هذا صحيح..

قال: ولكني أرى قومك يبيعون لبنا مشوها يكتبون عليه:(منزوع الزبدة)، ألم يسمعوا أن النبي ﷺ شرب لبناً، ثم دعا بماء فتمضمض وقال:(إن له دسماً)(2)، بل أمر بذلك، فقال:(مضمضوا من اللبن فإن له دسماً)(3)؟

قلت: ليتهم ـ يا معلم ـ يقتصرون على ذلك.. إنهم لا يقدمونه إلى الأفواه إلا بعد أن يذيقوه ألوان العذاب.. فهم يحولونه إلى غبار.. ثم يضعونه في علب، ثم يقطعون به البحار والفيافي، ليصل بعدها إلى الأفواه وقد خارت قواه.

قال: وليس ذلك فقط.. ألم يقل ﷺ:(عليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر)(4)

قلت: بلى..

قال: ولكنهم يحبسونها.. ثم يطعمونها ـ غصبا عنها ـ بفضلات الصناعة وسمومها.. ثم يقولون ــ إذا تضرروا ــ:إن الله سقانا(5) سما لا لبنا(6).

---

1) أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

2) البخاري ومسلم.

3) أبو داود وابن ماجة.

4) أبو السنى وأبو نعيم.

5) فقد ذكر الله تعالى أنه يسقينا اللبن، قال تعالى: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ(النحل:66)، وقال تعالى: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(المؤمنون:21)

6) وكمثال على ذلك ما قامت به شركة مونسانتو Monsanto Chemical Co التي اشتهرت في السابق بإنتاج السموم الناقعات رفيعة المستوى مثل "دي دي تي"، ومبيد "الديوكسين"، فقد قامت بتمويل بحوث في الهندسة الوراثية بأكثر من نصف مليار دولار لاختراع حقنة لإجبار الأبقار على إنتاج حليب أكثر، ولسوء الحظ فقد نجح العلماء في إنتاج حقنة هرمونية تؤدي لزيادة إدرار اللبن في الأبقار على مدار العام، وقد يصل إنتاج البقرة الواحدة إلى 27 كيلو جراما من اللبن يوميا، ويؤدي ذلك إلى زيادة هرمون "آي جي إف-1"في الحليب بكميات تزيد عن 80% من المعدل الطبيعي.

ولقد تمكنت مافيا صناعة الألبان في الولايات المتحدة الأمريكية من إخفاء تقرير مهم يؤكد على خطورة هذه الحقنة وتأثيراتها الضارة على كل حيوانات الاختبار (تقرير ريتشارد، أوداجليا ودزليكس، 1989)، ولم يعرض هذا التقرير على إدارة الرئيس

قلت: لقد ذكرتني ـ يا معلم ـ بما يفعلونه مع الدجاج والبيض.. فهم يحبسون الدجاج في أقفاص.. ثم يأمرونه بأن يوفر لهم من البيض ما يحتاجون إليه.. وعلى المزاج الذي يرضي جيوبهم.

قال: والأخطر من ذلك كله ما تسمونه بالهندسة الوراثية، فهي وإن استغلت في بعض الجوانب الإيجابية إلا أن شرهكم جعلكم لا تتوقفون عند حد.

قلت: أجل.. بل إن البشر اليوم يتوقون إلى هندسة وراثة الإنسان، ليحولوه إنسانا آخر.

قال: بل مسخا آخر.. وقد سمعت بعض مغروريكم يقول: (في غضون العشرين سنة المقبلة ستطرح في الأسواق مئات الأصناف المتطورة من (النواقل العصبية)التي تسمح بتنشيط الدماغ، وتحسين الأداء الفكري، وتعديل المشاعر والأحاسيس، بالكيفية التي تريد، وستظهر كذلك (أجهزة الراديوات الدماغية)القادرة على التقاط الموجات الكهربائية الصادرة عن الدماغ، وتعديل كيفيتها، بحيث يمكن تسريع عملية التفكير أو إبطائها، وهذه الأجهزة سوف تعيننا على التفكير بوضوح، وعلى التواصل فيما بيننا بصورة أفضل)(1)

قلت: ألا تعلم ــ يا معلم ــ أن البشر وضعوا خريطة جينة للبشر؟

قال: كان الله في عونكم..

"كلينتون" ولا على إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية (إف دي آي)التي ما زالت تصر على أن هرمون "آي جي إف-1" يتحطم في المعدة! ولقد ثبت أن هذا الادعاء غير صحيح؛ لأنه من المعروف علميا أن معدل نمو الرضع يكون عاليا؛ نتيجة لوجود هذا الهرمون في اللبن، ووصوله لجميع خلايا الجسم، وأنه إذا تحطم هذا الهرمون في المعدة انعدمت فوائده.

ولتأكيد هذه الفرضية أجرى العلماء دراسة على مجموعتين من البشر: المجموعة الأولى تستهلك 12 أوقية من الحليب يوميا، والمجموعة الأخرى تستهلك 24 أوقية (ثلاثة أكواب)من نفس الحليب المصرح بتناوله من إدارة الأغذية والأدوية (إف دي آي). وأكدت التحليلات أن أفراد المجموعة الثانية تزيد لديهم نسبة هرمون "آي جي إف-1" (أكثر من 10% في مصل دمائهم)مقارنة بالمجموعة الأولى!.. من مقال بعنوان « شرب الحليب.. خطر يهدد صحتك! » لطارق قابيل، منشور بموقع:« إسلام اون لاين » بتاريخ 06/07/2002.

1) هو تيموتي ليري... ويذكر ريتشارد سيلزر بعض المجالات التي يمكن تسميتها إيجابية مع بعض التحفظ في مدى صحة ذلك، فيقول:« إن أهم التطورات التي ستفضي إليها البحوث في العشرين سنة المقبلة، ستكون بلا شك العقاقير المضادة للفيروسات، واللقاحات التي ستؤدي إلى انقراض الأمراض السارية من على وجه الأرض.. أما علم الهندسة الوراثية، فسوف يساعد في القضاء على العاهات الوراثية، التي ضربت المجتمعات منذ زمن بعيد.. يقيني أن التحكم بالتقنيات المختصة بمعاملة الموروثات البشرية ستخلف سلالات بشرية متفوقة، وأن هذه الحقيقة قد بدأت بشائرها اليوم »

قلت: إنها ستقلب تاريخ الطب رأسا على عقب، وسيعالج الإنسان انطلاقا من مورثاته.

قال: أنا أتشاءم كثيرا من اختراعاتكم واكتشافاتكم..

قلت: لم ـ يا معلم ـ ألم يأمرنا الله بالسير في الأرض للبحث فيها وتيسير حياتنا؟

قال: بلى.. ولكن السير المبارك يفتح البركات، والسير الممحوق يفتح اللعنات.

قلت: أهناك سير مبارك وسير ممحوق؟

قال: أجل..

قلت: كيف ذلك؟

قال: سمعت أن قومك يستغلون ما فتح الله عليهم من الهندسة الوراثية في وضع نسخ عن الإنسان.

قلت: نعم.. فنجاحهم في استنساخ الحيوان جعلهم يفكرون في استنساخ الإنسان.

قال: ألم أقل لك: إنكم في عصر الدجاجلة.. ولن تنجيكم منه إلا الفطرة.. الفطرة المباركة.

قلت: يا معلم.. فلنعد للبركة.. لقد عرفت أن الغذاء قد يحوي عناصر مباركة فيثمر في نفس آكله الصحة والعافية والقوة.

قال: نعم.. هذا صحيح.

قلت: والأصل في هذا أن هذا الطعام الذي يحوي هذه العناصر المباركة يستفيد منه الجميع.. لأنه لا يستحيل طعاما آخر في فم آخر.

قال: هذا صحيح.

قلت: ولكن النصوص تخبر أن هناك أشياء أخرى لها تأثيرها في البركة، فقد كان النبي ﷺ يدعو في دعائه فيقول:(اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه)

قال: لأن البركة من الله، فهو الذي يجعل الطعام مباركا أو ممحوق البركة، ألم تسمع قوله ﷺ:(إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه، فإن البركة تنزل في وسطه)(1)، وفي حديث آخر يقرر هذا، فيقول:(إن البركة تنزل في وسط الطعام، فكلوا من حافته ولا تأكلوا من وسطه)(2)، فقد أخبر ﷺ أن البركة تتنزل.

قلت: أي أن دعاءنا قبل الطعام يجعل غذاءنا مباركا بتنزيل

(1) ابن ماجة.
(2) الترمذي والحاكم.

الله البركة.
قال: ليس بالدعاء فقط.. بل في حالتك النفسية أثناء تناول الطعام.. لأنك قد تأكله، وقلبك يمتلئ حقدا عليه وصراعا معه.. فلا يزيدك أكلك له إلا جوعا ومرضا.
قلت: وهل يمكن أن يحقد أحد على الطعام؟
قال: أجل.. إذا أكله، وهو يعيبه.. ألم يكن ﷺ يثني على الطعام إذا حضر؟
قلت: بلى.. كان يثني عليه كل الثناء، وقد قال لما قدم له الخل:(نِعم الإدامُ الخلُّ)(1)، وفي حديث آخر قال ﷺ:(اللهم بارك في الخلِّ فإنَّه كان إدام الأنبياء قبلي)(2).. وعندما قدم له الضب، ولم يكن يشتهيه لم يعبه، بل قال:(لا تفعلا، إنكم أهل نجد تأكلوها، وإنا أهل تهامة نعافها)(3)
قال: وكل ذلك لئلا يجرح شعور الطعام، فإن الطعام لا يرضى أن يدخل أجواف من يذمه.
ضحكت، وقلت: وهل له من العقل ما يرضى به أو يسخط.. ماذا تقول يا معلم؟
قال: إن الطعام لا ينيلك بركته إلا إذا كان راضيا، وهذا سر من أسرار البركة، ألم تسمع ما ورد في الحديث عن ابن أعبد قال قال علي: يا ابن أعبد! هل تدري ما حق الطعام؟ قلت: وما حقه؟ قال: تقول:(بسم الله، اللهم! بارك لنا فيما رزقتنا)؛ ثم قال: أتدري ما شكره إذا فرغت؟ قلت: وما شكره؟ قال: تقول:(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا)(4)، فقد ذكر أن للطعام حقا.. لا يكون له هذا الحق إلا إذا كان له من الوعي ما يطالب به بحقه.
قلت: يا معلم.. هذا جاء على أساليب العرب.. وليس المراد به ما فهمته من ظاهره.
قال: وما ورد من تسبح الطعام أجاء أيضا على أساليب العرب، فقد ورد في نصوص صريحة لا تحتمل أي لبس، ألم تسمع قول ابن مسعود:(كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، بينما نحن مع رسول الله ﷺ ليس معنا ماء فقال لنا:(اطلبوا من معه فضل ماء)، فأتي بماء فوضعه في إناء ثم

---

1) مسلم.
2) ابن ماجة.
3) يعني الضب، رواه الطبراني في الكبير، وفي رواية: كلوه لا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي.
4) ابن أبي الدنيا في الدعاء، وأبو نعيم في الحلية وابن حبان.

وضع يده فيه، فجعل المـاء يخـرج من بين أصـابعه. ثم قـال:(حي على الطهور المبارك والبركة من الله)، فشربنا منه، قال عبد الله: كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه، وهو يشرب.

وكانوا يسمعون تسـبيح الطعـام، عن ابن مسـعود قـال:(كنـا نأكل مع النبي ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)(1)

قلت: صدقت.. وقد ورد في الحديث أن رسـول اللـه ﷺ أتي بطعام ثريد، فقال:(إن هذا الطعام يسبح)قـالوا:(يـا رسـول اللـه، وتفقه تسبيحه؟ قال: نعم ثم قال لرجل: ادن هذه القصعة من هذا الرجل، فأدناها منه فقال: نعم يا رسول اللـه، هـذا الطعـام يسـبح! فقال: ادنها من آخر، وأدناها منه فقال: هذا الطعام يسبح. ثم قال: ردها فقال رجل: يا رسول الله، لو أمرت على القوم جميعا، فقال: لا إنها لو سكتت عند رجل لقالوا من ذنب ردها فردها(2).

قال: أترى من له القدرة على التسبح جمادا لا يعقل؟

قلت: لا.. بل عاقلا وسيد العقلاء.

قال: فهذا سر من أسرار البركة.

أمسك بيدي من لا أعرفه، ولكن يلوح عليه من الجهد ما يـدل على كونـه من الخـبراء، فقـال من غـير أن أسـأله: نعم.. أنـا من الخبراء.. وقد سمعتك تسأل معلمك عن سـر البركـة في الـدعاء.. وأنـا سـأجيبك على ضـوء إختصاصـي، فأنـا مختص في الهندسـة الوراثية(3)، فركز معي، فسأعلمك أسرارا مهمة في هذا العلم.

قلت: علمني مما علمك الله.

قــال: يــتركب كــل جين من حــوالي 70 ألــف وحــدة في المتوسط من وحدات المـادة الوراثيـة D N A وهي الـنيكليودات، وكل جين يتركب من وحدات المادة الوراثيـة في تتـابع معين، وأي تغيـير في نوعيـة أو تتـابع هـذه الوحـدات يغـير في تحكم الجين، وبالتـالي في إظهـار صـفات مختلفـة لـه، وهـذا التغيـير يكـون إمـا بالإضـافة أو الحـذف لواحـد أو أكـثر من هـذه الوحـدات، أو بتغيـير نوعية واحد أو أكثر من هذه الوحدات، أو بتغيير التتابعـات الخاصـة بهذه الوحدات داخل الجين.

قلت: فما هي العوامل التي تجعل الجين يتغير عما هو عليه؟

قـال: أسـباب ذلـك كثـيرة، فـذلك إمـا أن يكـون عن طريـق المطفرات الطبيعية مثل أشعة X وجاما والأشعة فـوق البنفسـجية

1) أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه.
2) أبو الشيخ.
3) هو الأستاذ الدكتور عاصم محمد علي رحمه الله.

وغيرها.. أو عن طريق المركبات الكيميائيـة من مبيـدات وأحمـاض وأغذية وغيرهـا.. أو عن طريـق أي شـيء في البيئـة أو الأمـاكن أو النباتات أو الإنسان أو الحيوان الـتي يعيش فيهـا أو معهـا الشـخص المتأثر، حيث يصدر عن هذا كله إشعاعات تـؤدي إلى حـدوث مثـل هذه التغييرات.

قلت: ولكن الدعاء مجـرد كلام.. فهـل لـه تـأثير على وضـعية هذه الجينات؟

قـال: أجـل.. حـتى الكلمـة الـتي تصـدر من أي شـخص لهـا ذبذبات سواء كانت طيبة أو خبيثة تؤدي إلى مثل هـذه التغيـيرات.. ألم تسمع قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر:21)

قلت: بلى.. فما وجه الإشارة فيها؟

قـال: هـذا يـدل على أن القـرآن الكـريم لـه من التـأثير على الأشياء ما يفوق القنبلة الذرية نفسها.

قلت: فهمت هذا.. ولكني لا أزال أتساءل، فقـد ادعيت صـعبا تحتاج إلى إثباته.

قـــال: ذلـــك يحتـــاج إلى بعض التفصـــيل، فاصـــبر علي.. إن نيكليوتيدات الجين تتكـون من نـوعين في مجموعـات.. أمـا النـوع الأول، فهو نوع يطلق عليـه Extr ons، وهو خاص بـالمواد الكيميائيـة المنتجة، أي الجزء الطبيعي الدنيوي.. وهو مـا عرفتـه مـع معلمـك في أسرار البركة في العناصر.

أمــا النــوع الثــاني، فيطلــق عليــه Intr ons، وهــو الجــزء ذو التكــرارات العاليــة والحســاس، والــذي يقــوم بتشــكيل الجــزيء الطبيعي الناتج عن Extr ons.

وهذا النوع الأخير تزيد نسبته برقي الكـائن، فتصـل في أرقى الكائنات وهو الإنسان إلى 70 بالمائة من المادة الوراثية.

والغالب أنه هـو المكـون للتركيبـة الروحيـة، وهي تتـأثر تـأثرا كبيرا بالأحاسيس والعبادات والأفعال الصالحة أو السيئة.

قلت: اضرب لي مثالا يوضح لي هذا.

قال: أتعرف الإنسولين.

قلت: نعم.. أعرفـه، فلـه دوره الخطـير في التمثيـل الغـذائي للسكر.

قال: فجزيء الإنسولين الناتج من الفرد التقي الصالح يختلف اختلافا كبيرا في شكل الجزيء عن إنسولين الفرد المنحرف، ولو أنهما معا يقومان بوظيفتهما في التمثيل الغذائي للسكر، ولكن يختلفان في الكفاءة ومدى استفادة الجسم من كل منهما.

قلت: بورك فيك.. فقد فهمت أسرار كثيرة من هذا.. كنت أعجب منها.. لقد أدركت سر قوله ﷺ:(اللهم! إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين)(1)

وقد كنت أعجب من حديث جابر بن عبد الله في قوله: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش، وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. فقيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليهم من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله)(2)

فقد كنت أعجب من بقاء قوتهم مع هذا الأكل القليل.

وقد كنت أعجب من تلك الأكلات القليلة التي يقتصر عليها الصالحون مع حفظ الله لقواهم الأمد الطويل، وقد فهمت من هذا سر قوله ﷺ:(المؤمن يأكل في معي واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء)(3)

قال: وافهم مع هذا سر قوله ﷺ:(ماء زمزم لما شرب له)(4) فقد اعتبر ﷺ لنية الشارب تأثيرا في الفوائد التي يجنيها من شربه من ماء زمزم.

قلت: وأصرح من ذلك قوله ﷺ:(ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهي هزمة جبرائيل وسقيا الله إسماعيل)(5)

قال: فللنية والصدق فيها واليقين في فضل الله تأثير عظيم

---

1) الترمذي.

2) مسلم.

3) البخاري وغيره، وقد ورد في سبب ورود هذا الحديث أن ثمامة لما كان في الأسر جمعوا ما كان في أهل النبي ﷺ من طعام ولبن فلم يقع ذلك من ثمامة موقعا فلما أسلم جاءوه بالطعام فلم يصب منه إلا قليلا فتعجبوا فقال النبي ﷺ:« إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وأن المؤمن يأكل في معي واحد »

4) رواه ابن ماجه وغيره.

5) الدارقطني والحاكم.

في ذلك، ولهذا لا يستفيد من هذا النوع من العلاج إلا الصادقون أصحاب القلوب الطيبة(1).

مواقيت البركة

لم أبتعد قليلا عن المتوسم الثالث، حتى ناداني أحد المتوسمين، فقلت: أتريد أن تسر لي شيئا أنت الآخر.. قل.. فكلي آذان صاغية.

قال: لا.. بل سأقول لك ما يمكن أن تعلنه على الملأ.

قلت: أهو سبيل من سبل الحصول على البركة؟

قال: أجل.. فليس لنا من دور ـ نحن المتوسمين ـ سوى

---

1) وقد رويت الحكايات الكثيرة عن تأثير شرب ماء زمزم العلاجي، ومن ذلك ما حدثت به سيدة فاضلة اسمها – يسرية عبد الرحمن حراز – كانت تؤدي فريضة الحج ضمن وزارة الأوقاف عن المعجزة التي حدثت لها ببركات ماء زمزم فقد ذكرت أنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى نتج عنها صداع نصفي لا يفارقها ليل نهار، ولا تهدئ منه المسكنات.. كما أنها كادت تفقد الرؤية تماما بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها.. وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون فأكد أنه لا سبيل إلى وقف الصداع إلا باعطائها حقنة تقضي عليه، وفي نفس الوقت تقضي على العين المصابة فلا ترى إلى الأبد، وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي، ولكنها كانت واثقة برحمة الله تعالى ومطمئنة إلى أنه سيهيئ لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك.. ففكرت في أداء عمرة، كي تتمكن من التماس الشفاء مباشرة من الله عند بيته المحرم

وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة، ولم يكن عدد الطائفين كبيرا وقتئذ، مما أتاح لها – كما تقول – أن تقبل الحجر الأسود، وتمس عينها المريضة به.. ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوبا منه وتغسل به عينها.. وبعد ذلك أتمت السعي وعادت إلى الفندق الذي تنزل به

فوجئت بعد عودتها إلى الفندق أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماما، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يذكر

كيف تم استئصال قرحة بدون جراحة؟!.. كيف تعود عين ميئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية بدون علاج؟! وعلم الطبيب المعالج بما حدث، فلم يملك إلا أن يصيح من أعماقه: الله أكبر إن هذه المريضة التي فشل الطب في علاجها عالجها الطبيب الأعظم في عيادته الإلهية.

ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرؤها، فيروي صاحب هذه الحكاية الدكتور فاروق عنتر فيقول: لقد أصبت منذ سنوات بحصاة في الحالب، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية، ولكنني أجلت إجراء العلمية مرتين.. ثم عن لي أن أؤدي عمرة، وأسأل الله أن يمن علي بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة بدون جراحة؟

وبالفعل سافر الدكتور فاروق إلى مكة، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم، وقبل الحجر الأسود، ثم صلى ركعتين قبل خروجه من الحرم، فأحس بشيء يخزه في الحالب، فأسرع إلى دورة المياه، فإذا بالمعجزة تحدث، وتخرج الحصاة الكبيرة، ويشفى دون أن يدخل غرفة العمليات.

لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه، ويتابعون حالته.

انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية، لمحمد كامل عبد الصمد.

البحث عن هذا.
قلت: فبأيها اختصصت أنت؟
قال: بالمواقيت.
قلت: أأنت ساعاتي إذن؟
قال: يمكنك أن تقول ذلك.. فأنا دائم الترقب للساعات والدقائق.. أنتظر بشغف كل مناسبة من مناسبات الخير.
قلت: لم؟
قال: لأنال من بركاتها ما لا يمكن تحصيله في سائر الأيام.
قلت: أليست كل الأزمان أزمان خير؟
قال: بلى.. ولكن الله تعالى خص مواقيت مخصوصة بمزيد من الخير.. ألا ترى التجار في أرض قومك قد يبيعون في بعض المناسبات ما لا يبيعونه في جميع أوقات السنة؟
قلت: بلى.. ذلك صحيح.. وأنا أراهم في تلك المناسبات يزهون جذلين.
قال: لأن تلك الأيام هي أيام بركاتهم.
قلت: فهل جعل الله في أيام دهرنا مناسبات خاصة للبركات؟
قال: بلى.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآياتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(ابراهيم:5)
قلت: بلى.. ولكن هذه لأيام هي أيام نصره لهم..
قال: فقد كانت أياما مباركة لهم.. فلهذا أمره بتذكيرهم بها.
قلت: نحن نفعل ذلك.. ولكن ليس كما تقصده.
قلت: فما تفعلون؟
قلت: نحن ننشد الأشعار، ونملأ الدنيا ضجيجا فرحا بأيام نصرنا.
قال: أنتم تمحقون نصركم بذلك.. فبركة النصر التواضع وطأطأة الرأس ومراجعة النفس لتجديد المسيرة، ألم تسمع قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:58)
قلت: وما فيها من العلم؟
قال: هذه الآية تبين سنن التعامل مع النصر.
قلت: عرفت هذا.. ولكني أبحث عن سر اهتمامك

بالمواقيت.

قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا)(1)، وقوله في الحديث الآخر يعمق هذا المعنى:(اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم)(2)

قلت: قد سمعت ذلك منك، وبورك فيك..فهل لهذه المناسبات أيام مخصوصة في السنة لا تتعداها؟

قال: منها الأيام، ومنها الشهور، ومنها الساعات، ومنها اللحظات.

أيام البركة

قلت: فما أيام البركة؟

قال: هي أيام كثيرة منها ما يتكرر في السنة، ومنها ما يتكرر في الأسبوع.

قلت: فما أعظمها؟

قال: ليلة القدر.. ألم تسمع ما قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾(الدخان:3)

قلت: بلى.. وقد أخبر الله تعالى فيها عن تنزلات الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فيها ومعهم الروح، فقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾(القدر:4)

قال: ولذلك كانت مناسبة عظيمة لرفع الحاجات إلى الله..

قلت: فأنتم تعالجون بليلة القدر؟

قال: أجل.. وكيف لا نعالج بها.. بل إن المرضى عندنا يعدون الأيام والليالي ليظفروا بها.

قلت: فما تفعلون فيها؟

قال: ألم يبين لنا ﷺ ما نفعل، فقال:(من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)(3)، فنحن نحييها بالقيام والتضرع.. ونحن نستن بسنة رسول الله ﷺ في ذلك، فقد كان رَسُول اللَّهِ ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره(4).

---

1) الطبراني في الكبير.
2) ابن أبي الدنيا في الفرج والحكيم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية.
3) مسلم.
4) مسلم.

قلت: وما أثر ذلك في الشفاء؟
قال: إن أكثر المرضى يشفيهم الله تعالى ببركات هذه الليلة.
قلت: وهل رأيت بعض ذلك؟
قال: وهل أحتاج إلى أن أرى؟
قلت: من باب الطمأنينة، لا من باب الشك.
قال: لا أحتاج إلى أن أرى غيري.. لأني ـ أنا ـ حصل لي من الخير بسبب هذه الليلة المباركة ما دعاني إلى البحث في مواقيت البركات.
قلت: أكنت مريضا؟
قال: بأخطر أمراض عصركم.. وقد أيأسني الأطباء.. وكان من رحمة الله أني اجتمعت بالطبيب الذي قرأ نتائج تحليلاتي في ليلة من ليالي العشر من رمضان.
قلت: فماذا فعلت؟
قال: حزنت حزنا شديدا.
قلت: فإلى أي شيء أسلمك حزنك؟
قال: إلى الله.. لقد قلت لنفسي: أليس هذا الطبيب سوى ذرة تائهة في ملكوت الله.. ثم بت قائما لله.. فأحسست بقشعريرة تسري في أوصالي.. وكأن ملائكة ربي وضعت مراهمها على أدوائي.. ومنذ ذلك الحين، قبل عشرين سنة، لم أحسس بأي ألم، فلم يهتز لي عرق، ولم يتصدع لي رأس.
قلت: فهل رجعت إلى طبيبك لتخبره عما حصل لك من بركات تلك الليلة.
قال: ذهبت صباحا إليه، فوجدت أهله يبكون، فسألتهم عنه، فأخبروني بوفاته.. فلم أعد بعدها إلى الأطباء.
قلت: ولكن انتظار ليلة القدر يطول.. إنها سنة كاملة.. ومع ذلك فقد يظفر بها، وقد لا يظفر.
قال: ولكنها ليلة مباركة، ومع ذلك.. فإن من استعجل عندنا نرسله للحراسة في سبيل الله.
قلت: وما علاقة ذلك بليلة القدر؟
قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله) (1).

---
1) البخاري ومسلم عن ابن عمر.

قلت: فهل هناك غير ليلة القدر؟
قال: الليالي العشر.
قلت: وما الليالي العشر؟
قال: تلك التي أقسم الله تعالى بها، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:2)
قلت: وما هي؟
قال: هي الليالي العشر من ذي الحجة.. فقد قال ﷺ:(ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام)، يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال:(ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجُلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء)(1)
قلت: فهل هناك غيرها؟
قال: هناك ما هو أيسر من ذلك، وأقرب.
قلت: وما هو؟
قال: يوم الجمعة.
قلت: ذلك يوم يسير، فهو يوم يتكرر كل أسبوع.
قال: وقد أخبر ﷺ عن بركة هذا اليوم، فقال:(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت(2)؟ فقال ﷺ:(إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء)(3)
قلت: فما فيه من البركات؟
قال: كثيرة هي بركاته، أولها أن رسول الله ﷺ أخبر أن الملائكة تشهده، فينال العبد من بركاتها ما يناله، فلذلك دعانا ﷺ إلى الاستعداد الصحيح لنيل بركات الملائكة في هذا اليوم، فقال:(أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها)(4).. بل ورد في حديث آخر ما يصرح بذلك، فقال ﷺ:(إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا، من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم

---

1) البخاري.
2) أي بليت.
3) أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي وابن خزيمة وغيرهم.
4) ابن ماجة.

يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء)[1]

قلت: ما شاء الله هذه بركات عظيمة.. ما أكثر غفلتنا عنها.

قال: بل هناك ما هو أعظم من ذلك كله.

قلت: وهل هناك ما هو أعظم من ذلك؟

قال: أجل.. فقد ذكر ﷺ يوم الجمعة فقال:(فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل اللّه شيئاً إلا أعطاه إياه)، وأشار بيده يقللها[2].

قلت: هذا خير عظيم، فأي ساعة هي؟

قال: لم تحدد النصوص ذلك بدقة.

قلت: لم؟

قال: ليشتد الناس في البحث عنها.. كما يشتدون في البحث عن ليلة القدر.

قلت: أأنتم تعالجون بها؟

قال: ألم يخبرك المعلم بأن مستشفى السلام يستعمل كل وسائل العلاج وأسبابه؟

شهور البركة

قلت: فحدثني عن شهور البركة.

قال: أعظمها شهر رمضان، فقد قال الله تعالى يذكر فضله وبركاته: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة:185)

قلت: لقد اكتسب شهر رمضان بركاته من القرآن الكريم.

قال: ولذلك كان أعظم مناسبة للبركات، فهو الشهر الذي تقترب فيه السماء من الأرض.

قلت: أهذه معلومة فلكية؟

قال: لا.. هذه معلومة ربانية.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)[3]

قلت: فما نفعل في رمضان لننال بركاته؟

قال: ما كان يفعله ﷺ، فهو أدرى بالبركات وأسرارها.

---

1) البيهقي وابن عساكر.
2) البخاري ومسلم.
3) البخاري ومسلم.

قلت: وما كان يفعل ﷺ ؟

قال: ألم تسمع قول ابن عباس، فقد قال: كان رَسُول اللَّهِ ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرَسُول اللَّهِ ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة)(1)

قلت: عرفت فضل رمضان.. فهل هناك شهور أخرى يمكن تلمس البركات منها؟

قال: لقد ذكر الله تعالى أربعة أشهر مباركة، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (التوبة:36)

قلت: تقصد الأشهر الحرم؟

قال: أجل.. فهي أشهر مباركة.. ونحن في هذا المستشفى نكثف العلاج فيها.

قلت: فما هي هذه الأشهر.. فنحن اليوم نتعامل بأشهر تحن للشمس، وتتنكر للقمر.

قال: لقد أخبر عنها ﷺ، فقال في حجة الوداع:(إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.. السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمرحم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)(2)

قلت: وسائر الأشهر.. أهي ممحوقة البركة؟

قال: في إمكانك أن تملأها بالبركات.

قلت: كيف ذلك.

قال: ألم تسمع ما روي في الحديث أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال:(اللهم بارك لنا في شهرنا هذا الداخل)(3)

قلت: أيمكن أن تسري بركة هذا الدعاء إلى الشهر كله، فتجعله مباركا؟

قال: أجل.. وقد كان النبي ﷺ يتحرى هذا، فقد كان إذا رأى الهلال قال:(اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام

---

1) البخاري ومسلم.
2) البخاري.
3) ابن منده وبان عساكر، وقد ذكر الحديث، وقال: توالى على هذا الدعاء ستة من أصحاب النبي ﷺ سمعوه منه، والسابع حدير أبو فوزة السلمي.

ربي وربك الله)(1)
وفي حديث آخر قال الراوي: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال:(الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله)(2)
وفي حديث آخر أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال:(هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، آمنت بالله الذي خلقك، ثلاث مرات، ثم يقول:(الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا)(3)

ساعات البركة

قلت: فحدثني عن ساعات البركة.
قال: هي ساعات تتكرر يوميا.
قلت: وذلك ما يجعلها أيسر مواقيت البركات وأقربها.
قال: أولها البكور، ألم تسمع قوله ﷺ:(اللهم بارك لأمتي في بكورها)، قال الراوي: وكان ﷺ إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار، وكان صخر تاجراً، وكان يبعث تجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله(4).
قلت: بلى.. وقد أخبر ﷺ بحماية الله لمن صلي الصبح، فقال:(من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشيء)(5)
قال: ولذلك ترانا في هذا المستشفى نتحصن بالصبح.. فاليوم عندنا يبدأ بالفجر، لا بالضحى كما رأيته في أرض الصراع.
قلت: والثاني؟
قال: السحر.. ألم تسمع قوله ﷺ:(تسحروا، فإن في السحور بركة)(6)
قلت: وقد سمى ﷺ السحور بالغذاء المبارك.
قال: وقد عرفت في حصون الصحة الأثر الصحي للسحور والفطور.
قلت: أجل.. فحدثني عن الثالث.
قال: هو ما عبر عنه ﷺ بقوله:(إذا مضى شطر الليل، أو

---

1) الترمذي، وقال: حديث حسن.
2) الدارمي.
3) أبو داود.
4) أَبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.
5) مسلم.
6) البخاري ومسلم.

ثلثاه، ينزل الله إلى السماء الـدنيا فيقـول: هـل من سـائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مسـتغفر يغفـر لـه، حـتى ينفجـر الصبح)(1).

وفي حديث آخر، قال ﷺ:(ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا، كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملـك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسـألني فأعطيـه؟ من ذا الذي يسـتغفرني فـأغفر لـه؟ فلا يـزال كـذلك حـتى يضـيء الفجر)(2).

قلت: هذا حديث عظيم.. وفيه بركات عظيمة.

قال: ولكن قومك يحرفونه.

قلت: سمعتهم يروونه كثيرا.

قال: هم لا يروونه ليستفيدوا من بركاته.. بل يروونه ليجـادلوا به.. فهم لا يسمعون قولـه تعـالى:(أنـا الملـك، أنـا الملـك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسـألني فأعطيـه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟)

قلت: فما يسمعون؟

قال: لا يسمعون منه إلا النزول.

قلت: لم؟

قال: ليجادلوا.. ألم يقل ﷺ:(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل)، ثم تلا رسول اللّه ﷺ قولـه تعـالى: ﴿مَـا ضَـرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(الزخرف:58))(3)

قلت: أجل.. وقد خرج رسول اللّه على الناس وهم يتنـازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل، ثم قال:(لا تضربوا كتاب اللّه بعضه ببعض، فإنه ما ضل قـوم قـط إلا أوتوا الجدل)، ثم تلا الآية.

لحظات البركة

قلت: فحدثني عن لحظات البركة.

قال: قـد يمتلئ قلبـك في أي لحظـة من اللحظـات خشـوعا ورقة.. فلا تفرط في تلك اللحظـة، فهي من اللحظـات المباركـات التي قد تنقلب بها حياتك انقلابا كليا.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألم تسمع قوله تعـالى: ﴿هُنَالِـكَ دَعَـا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَـالَ رَبِّ

1) مسلم.
2) مسلم والترمذي.
3) أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(آل عمران:38)

قلت: بلى.. فما فيها من مواقيت البركة؟

قال: عندما دخل زكريا ﵇ على مريم ـ عليها السلام ـ فوجـد عندها من رزق الله المبارك شعر بقدرة الله المطلقة، فامتلأ كيانه بالرغبة فيما في يد الله، فسأل الله.

قلت: أتعالجون في هذا المستشفى بهذه اللحظات؟

قال: أجل.. نحن نملأ قلوب المرضى بالإيمان إلى أن يصبحوا كالأرواح المجردة.. وحينـذاك نطلب منهم أن يـدعو من لا يـرد من دعاه.

قلت: ومن أسوتكم في ذلك؟

قال: أيوب ﵇.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألم يستعمل هذه اللحظة من لحظات الإيمان في شفاء العلة التي دامت سنين، فقال تعـالى: وَاذْكُـرْ عَبْـدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ(صّ:41)، فما إن قال ذلك حتى نودي من سرادقات الغيب: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَـلٌ بَـارِدٌ وَشَرَابٌ(صّ:42)

قلت: فيمكن بهذا أن نحول من كل حياتنا ليلة قدر.

قال: أجل.. ألم تسـمع قـول أبي العبـاس المرسـي:(أوقاتنـا والحمد لله كلها ليلة القدر)

قلت: بلى.. وقد سمعت قول ابن عطاء اللـه:(من بـورك لـه في عمـره أدرك في يسـير من الـزمن من منن اللـه تعـالى مـا لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة)

قال: عرفت فالزم.

ثانيا ـ منازل البركة

سـرت قليلا أبحث عن متوسـم يـدلني على منـازل البركـة، وكيفية تحصيلها، فبينما أنـا كـذلك إذ لاح لي رجـل قـد انتحى جانبـا عن الناس، ووضـع بسـاطا على الأرض، ثم اسـتلقى على ظهـره، فلم أجد نفسي إلا وأنا بين يديـه أقـول: يـا أخي.. ليس هـذا محـل نوم.. ولا محل كسل.. هذه منازل السلام .. وهـذه ديـار البركـات.. فلا تفسد علينا وعلى الناس ما في هذه الديار من البركات.

قال: بورك في نصيحتك.. ولكني لست كما ظننت.

قلت: أنا لم أظن.. بـل أتيقن.. كيـف تقـف مواقـف التهم، ثم تريد أن نحسن بك الظن.

قـال: أخـبرني عنـك أولا من أنت حـتى أعـرف كيـف أتعامـل معك؟

قلت: وما شأنك بي.. أنا أطلب منك أن تحمل بساطك.. فإن شئت النوم، فاذهب إلى بيتك، فهو أهنأ لك.

قال: أنا لا أريد أن أنام.. ولكني بسطت بسـاطي، واسـتلقيت لأعبد الله على جنب.. ألا تعرف هذا النوع من العبادة؟

قلت: لم أسمع بهذا النـوع من العبـادة إلا في حـق المرضـى الذين لا يطيقون القيام ولا الجلوس، فقـد رخص لهم الشـرع بدلـه في الصلاة على جنب.

قال: لا.. ذلك خاص بالمرضى.. وهذا عام لجميع النـاس.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامـاً وَقُعُـوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ (آل عمران:191)؟

قلت: بلى.. ولكني لم أسمع منها ما سمعت.

قال: وهل عرفت ما سمعت حتى تحكم علي؟

قلت: حالك يدل على ما في نفسك منها.. أنت تريـد أن تـبرر بها عملك هذا.

قال: قل لي: ما ذا تفهم من الآية؟

قلت: فسـرت هـذه الآيـة على أنهـا تـبين كيفيـة أداء الصـلاة بالنسبة للمرضـى، أي أنهم إذا اسـتطاعوا فليـؤدوا الصـلاة قيامـا، فإن لم يقدروا على ذلك فقعودا، أو فعلى أحد جنبيهم، ويـدل لهـذا قوله ﷺ:(صـل قائمـاً، فـإن لم تسـتطع فقاعـداً، فـإن لم تسـتطع

فعلى جنبك)[1]

وفسرت بأنهم الذين لا يقطعون ذكر الله في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم.

قال: صدقت.. ويمكنك أن تفسرها بما فعلته الآن.. وبما أنكرت علي.

قلت: كيف أفسرها بذلك، وأنا لا ازال أنكر عليك.

قال: أنا أحد المتوسمين..

قلت: أتدعي التوسم أيضا.. كيف تدعيه.. وأنت لم تعرفني؟

قال: وما علاقة التعرف عليك بالتوسم، أأنت شمس من شموس البركة، أم قمر من أقمارها؟

قلت: ولكن المتوسمين الذين لاقيتهم عرفوني قبل أن أعرفهم بنفسي.

قال: ذلك مذهبهم، وهذا مذهبي.. وقد سألت الله تعالى أن يستر علي أسرار الخلائق حتى لا أرى منها ما يرى المتوسمون.

قلت: لم طلبت ذلك؟.. أليس في ذلك مزيد فضل؟

قال: لا.. خشيت أن يتسرب إلى نفسي من ذلك ما يحجبني عنه.. فلذلك سألت الله أن لا أرى من ذلك قليلا ولا كثيرا.

قلت: عرفت إخوانك من المتوسمين.. وأنا الآن أبحث عن متوسم يدلني على منازل البركة.. فقد عرفت جميع سبل البركة ما عدا منازلها.

قال: إذا لم تعرف منازلها لم تعرفها.

قلت: كيف؟

قال: لأن البركات فائضة في الكون.. ولكن الشأن في استقبالها.

قلت: فكيف تستقبل؟

قال: بالمنازل.

قلت: فدلني على المتوسم الذي يدلني عليها.

قال: أنت تجلس بين يديه.

انتفضت قائلا: معذرة.. أأنت هو متوسم المنازل؟.. ولكن ماذا تفعل هنا؟

قال: لقد جلست هذا المجلس لأستقبل البركات.

قلت: ألا تستقبلها إلا بهذه الصورة؟

قال: لا.. أنا أستقبلها بكل الصور، فقد أستقبلها قائما، أو

---

1) البخاري.

قاعـدا، أو مضـطجعا، أو نائمـا.. وقـد أسـتقبلها في السـوق أو في المقبرة، أو في الفيافي، أو في الشوراع، أو في المســاجد، أو في المدارس.. فكل هذه محال يمكن أن تملأني بالأحوال المباركة.

قلت: فلم اخترت الآن هذه الهيئة لاستقبال البركات؟

قال: أنا لم أخترها.. ولكني وجدت نفسـي وأحـوالي لا تنتظم إلا بهذه الضجعة، فاضطجعتها.

قلت: فلم لم تقهر نفسك؟

قال: أقهرها عن الحرام.. ولا أقهرها عن عبادة الله.

قلت: كيف ذلك؟

قال: إذا وجدت قلبي في هذه الحالة خاشـعا للـه مجتمعـا بـه ممتلئا ذكرا وفكرا.. فلماذا أخرج من هذه الحـال.. فـأتكلف مـا قـد يضر بحالي.

قلت: ففي جلوسك أو اضطجاعك هذا ماذا تفعل؟

قال: أبرمج نفسي بالبرامج التي تهيئها لنزول البركات.

قلت: تبرمج نفسك!؟

قال: خاب من لم يبرمج نفسه كل يوم بالبرامج الصالحة.

قلت: كيف تبرمجها؟

قـال: أنظم جسـدي ونفسـي وعقلي وروحي ليجتمـع شـتاتها وتتوحد وجهتها وتستعد لاستقبال بركات الله.

قلت: أأنت تبرمج هذه الأجهزة الأربع؟

قال: أجل.. كما تبرمجون أجهزتكم وتنظمونها لتســتفيدوا من بركاتها.. أرأيت لو أن جهاز استقبالك الـذي تتفـرج بـه على أحـوال الدنيا لم يتوجه الوجهة الصحيحة.. أكنت ترى شيئا؟

قلت: لا.. لن أرى شيئا.

قال: وهل ذلك لشح الأمواج التي تنقل لك أحوال العالم.

قلت: لا.. هي منتشرة في كل مكان، ولم يضق بها الفضاء.

قال: فما سبب عدم استقبالك لها؟

قلت: صحن استقبالي.

قال: فكذلك البركـات يمتلئ بهـا الفضـاء، ولكن الشـأن ليس فيها، بل في عزوفكم عنها، وإدارة ظهوركم لها.

الجسد

قلت: فلنبدأ بالجسد.. كيف تبرمجه ليستقبل أمواج البركات؟

قال: أوصل إليه من أسرار البركة مـا يملـؤه حيويـة ونشـاطا

ليؤدي الرسالة التي وكلت إليه.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألم تعلم ما كان يفعل رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام؟

قلت: كان يجمع كفَّيْـهِ ثم ينفُث فيهمـا، ويقـرأ فيهمـا بسـورة الإخلاص، والفلق، والناس، ثم يمسح بهما ما اسـتطاع من جسـده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبلَ مِنْ جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

قال: فهذا نوع من برمجة الجسد ليحيطه بأنواع البركات.

قلت: لم أفهم هذا.

قال: ألا تعرف أن كل خلية من خلاياك كـائن حي كلـف بـأداء وظيفة معينة في جسدك؟

قلت: أتقصد أنه كائن مستقل عني؟

قال: هو فيك، ولكنه في ذاته مستقل عنك.

قلت: أأنا لست فردا واحدا؟

قال: لا.. بل أنت فرد واحد.. ولكنك مكـون من كم هائـل من الجنود الذين يحفظون كيانـك إلى أن تتم الوظيفـة الـتي جئت إلى الأرض بسببها.

قلت: أنت تريد أن تقنعني بأن كل خلية من خلاياي كائن حي.

قال: ليس في ذلك أي غرابة.. ألا تـرى المدينـة تظـل مدينـة واحدة، ولو أن ملايين البشر يسكنونها؟

قلت: هذه دعوى عريضة لو سمعها قومي لرموك بالحجـارة، أو لوضعوك في مارستان المجانين.

قـال: لا.. ليسـت هـذه دعـوى، هـذه حقـائق تـدل عليهـا كـل الأدلة.. وتشير إليها كل الشـواهد، ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿ وَيَـوْمَ يُحْشَـرُ أَعْـدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُـونَ حَتَّى إِذَا مَـا جَاءُوهَـا شَـهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُـودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُـلَّ شَـيْءٍ وَهُـوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْـهَدَ عَلَيْكُمْ سَـمْعُكُمْ وَلا أَبْصَـارُكُمْ وَلا جُلُـودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِـيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾(فصلت:19 ـ 22)؟

قلت: بلى.. ولكن هـذه الآيـة مثـل قولـه تعـالى: ﴿ الْيَـوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْـوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَـا أَيْـدِيهِمْ وَتَشْـهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَكْسِـبُونَ﴾ (يّــس:65)تشـير إلى حـال الكفـار والمنـافقين يـوم القيامـة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على

أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت.
قال: ومن قال بأن ذلك خاص بالآخرة؟
ضحكت، وقلت: وهل رأيت رجلا يتحـدث مـع عينـه أو يسـمع بصره أو يجادل جلده؟
قال: فأنت تعتمد الحس لتؤول القرآن الكريم؟
قلت: لا.. ولكن الشـرع لم ينكـر علينـا الاسـتدلال بـالحس.. فالحس أول المدارك، وقد رأيت في حصون العافية ما يبين فضله وقيمته.
قال: أجبني.. وأرجو ألا تجادلني.
قلت: لن أجادلك.. ولكني لن أقلدك.
قال: لا يجوز لأحد تقليد أحد.. فكلنا في العبودية سواء.
قلت: سل ما بدا لك.
قال: ما الغرض من استشهاد الشهود في الآخرة؟
قلت: هو إخبار الشهود بما يعلمون من حال المشهود عليه.
قال: ألا يقتضي العلم الحياة؟.. وهل رأيت علما بلا حياة؟.. أو عالما بلا حياة؟
قلت: لا.. العلم يقتضي الحياة.. بل يقتضي الحياة المستقلة.
قال: فقد عرفت إذن حياة أعضاء الإنسان المستقلة.
قلت: لم أفهم.
قـال: ألم تسـمع قولـه ﷺ وهـو يصـور بعض مشـاهد عدالـة الآخرة، واستشهاد الجوارح.
قلت: قـد وردت في ذلـك نصـوص كثـيرة، منهـا مـا روي عن أنَس بن مالك قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ﷺ:(أتدرون مم أضحك؟) قلنا:(اللّه ورسوله أعلم)، فقال ﷺ :(من مجادلة العبد ربـه يـوم القيامـة، يقـول: رب ألم تجـرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقـول: لا أجـيز عليَّ إلا شـاهداً من نفسـي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شـهوداً، فيختم على فيه، ويقـال لأركانـه: انطقي، فتنطـق بعملـه، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)(1)
وقـد ورد في بعض الأحـاديث إشـارة إلى هـذا الصـنف الـذي تستنطق جوارحه، وهم المنـافقون الـذين حـاولوا أن يحتـالوا على قلب الحقـائق في الـدنيا، وخـداع الخلـق بهـا، فلـذلك تبقى هـذه الأحبولة في أيديهم يوم القيامة، ويتصـورون أنهم سـيخادعون اللـه

1) ابن أبي حاتم ورواه مسلم والنسائي بنحوه.

كما خادعوا الخلق،، قال ﷺ في حديث القيامـة الطويـل:(ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابـك وصمت وصلّيت وتصدقت، ويثني بخير ما اسـتطاع - قـال - فيقـال له ألا نبعث عليك شاهدنا؟ - قال: فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه، فيختم على فيه، ويقال: لفخذه انطقي - قال - فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمـل، وذلـك المنـافق، وذلـك ليعـذر من نفسه، وذلك الذي يسخط اللّه تعالى عليه)(1)

قال: فقد أخبر ﷺ عن نطق الجوارح.. والجـوارح لا تنطـق إلا بما تعلم.. ولا يمكن أن يستشهد اللـه في الآخـرة من لا يعلم.. وإلا كان الاستشهاد عبثا أو شهادة زور.

قلت: فأنت تقصد بأن هذه الجوارح التي هي كياننـا الخـارجي جواسيس علينا قد تفضحنا يوم القيامة.

قـال: لا.. هي ليسـت جواسـيس.. هي أنت.. ولكن كـل جـزء منها كائن مستقل ممتلئ عبودية لله، فهـو يرضـى عنـك إن عـدت الله، ويسخط عليك إن عصيته.

قلت: أجسدي يسخط علي؟

قال: ألم تسمع قولـه ﷺ في ذلـك المجـادل وهـو يتوجـه إلى جوارحه، فيقول:(بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)(2)

قلت: بلى.. فقد نص على ذلك الحديث.

قال: ولهذا تخاصـم روحـك جسـدك يـوم القيامـة، ألم تسـمع قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾(الزمر:31)

قلت: بلى.. ولكن هذه الآية في الخصـومة بين المستضـعفين والمستكبرين.

قال: لا.. الآية أعم من ذلك.. ألم تسمع الأحاديث السابقة؟

قلت: بلى.. فلمن النصرة؟

قال: قد ورد في ذلك أثر عن ابن عباس لا ندري مدى صحته، يقول:(لا تزال الخصـومة يـوم القيامـة بين الخلائـق حـتى تختصـم الروح والجسد، فيقول الجسد للروح: أنت الذي حركتـني وأمرتـني وصرفتني وإلا فأنا لم أكن أتحرك ولا أفعل بدونك فتقول الروح له: وأنت الذي أكلت وشربت وباشـرت وتنعمت فـأنت الـذي تسـتحق العقوبة فيرسـل اللـه سـبحانه إليهمـا ملكـا يحكم بينهمـا، فيقـول: مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشـي دخلا بسـتانا فقـال المقعـد

1) مسلم وأبو داود.
2) ابن أبي حاتم ورواه مسلم والنسائي بنحوه.

للأعمى أنا أرى مـا فيـه من الثمـار ولكن لا أسـتطيع القيـام وقـال الأعمى أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيئا فقال له المقعد تعـال فاحملني فأنت تمشي وأنا أتناول فعلى من تكون العقوبـة فيقـول: عليهما قال: فكذلك أنتما)(1)

قلت: فهمت هذا ووعيته، فكيف أحصل البركـة لأعضـائي.. أو كيف أجعل خلاياي تحبني، فلا تخاصمني في الـدنيا، ولا تشـهد علي في الآخرة؟

قال: ذلك شيء يسير.. أعطها ما تتمنى وما تحب.

قلت: ما بك.. كيف أعطيها ما تتمنى.. أتريد مني أن أهيم في أودية الأماني؟

قال: جوارحك تحب عبادة الله والسجود مع كل الأشـياء للـه، ألم تسمع قولـه تعـالى: أَفَغَيْـرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُـونَ وَلَـهُ أَسْـلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْـهِ يُرْجَعُـونَ (آل عمـران:83)، فقد أخبر تعالى عن إسلام كل شيء لله.

وأخبر عن سجود كل شيء للـه، فقـال: وَلِلَّهِ يَسْـجُدُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَـةُ وَهُمْ لا يَسْـتَكْبِرُونَ (النحل:49)

بل إن في القرآن الكريم إشارة تكـاد تكـون صـريحة لسـجود جوراح الكفرة لله، فقد قال تعـالى: أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْـجُدُ لَـهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ وَالنُّجُـومُ وَالْجِبَـالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَـذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(الحج:18)

قلت: فهي تسجد.. فلماذا تكون بركتها في إعطائها ما تتمـنى من السجود؟

قال: هي تحب السجود الاختياري، وتباركه.

قلت: فكيف أسجد بها هذا السجود؟

قال: بسجودك تسجد.. ألم تسمع قوله ﷺ:(لا تبسط ذراعيك وادعم على راحتيـك، وتجـاف عن ضـبعيك، فإنـك إذا فعلت ذلـك سجد لك كل عضو منك معك)(2)

قلت: بلى.. وقد كان مما يدعو به رسول الله ﷺ:(سـجد لـك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي، فهـذه يـدي ومـا جـنيت بهـا على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم اغفر لي الذنب العظيم)(3)

---

1) ابن منده، انظر: ابن كثير: 4/54.
2) الحاكم.
3) رواه أبو يعلى.

قال: وكان علي يقول إذا ركع:(اللهم لك خشعت ولك ركعت ولـك أسـلمت وبـك آمنت وأنت ربي وعليـك تـوكلت، خشـع لـك سمعي وبصري ولحمي ودمي ومخي وعظـامي وعصـبي وشـعري وبشري سبحان الله سبحان الله سبحان الله، فإذا قال: سمع اللـه لمن حمده قال: اللهم ربنا لك الحمـد، فـإذا سـجد قـال: اللهم لـك سجدت ولك أسلمت وبك آمنت وعليـك تـوكلت، وأنت ربي سـجد لـك سـمعي وبصـري ولحمي ودمي وعظـامي وعصـبي وشـعري وبشري سبحان الله سبحان الله سبحان الله)(1)

قلت: وقد كان ﷺ يقول في دعائه في سجود القرآن:(سـجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره)(2)

قلت: هذا غذاؤها، فما سمها؟

قال: الحرام.. أكل الحـرام.. ألم تسـمع قولـه ﷺ:(أيمـا لحم نبت من حرام، فالنار أولى به)(3)؟

قلت: وعيت هذا.. فلم كـان ﷺ يمـرر كفـه على جسـده بعـد القراءة؟

قـال: ليوصـل بركـة مـا قـرأه إلى جسـمه وجوارحـه، وكأنـه يطعمهـا مـا تشـتهي من الطعـام، ولهـذا كـان ﷺ يمسـح بهمـا مـا استطاع مِن جسده، ويبـدأ بهمـا على رأسـه ووجهـه مـا أقبـل من جسده، يفعلُ ذلك ثلاث مرات، فإذا اشتكى كلف من يقوم بذلك.

قلت: فهمت هذا.. ولكني لا أزال أتعجب من مسحه ﷺ بيــده اليمنى على المريض ثم دعائه له، فقد كان ﷺ يمسح بيده اليمــنى على المـريض، ويقـول:(اللهم رب النـاس، أذهب البـأس، واشـفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغـادر سـقما)(4)، وكـان يقول:(امسح البأس رب النـاس، بيـدك الشـفاء، لا كاشـف لـه إلا أنت)، وكان أحيانا يضع يده على جبهة المـريض، ثم يمسـح صـدره وبطنه ويقول:(اللهم اشفه)وكان يمسح وجهه أيضا.

قال: هذا من أسرار بركات الجسـد، فاليـد الـتي تمسـح على الجسد مصحوبة بالدعاء تنزل ببركاتها وما يصحبها من جنود الدعاء على الألم فترفعه.

قلت: هي كالمرهم إذن.

قـال: إن صـحبتها البركـة، فهي خـير من المـرهم.. وإن لم

---

1) عبد الرزاق في المصنف.
2) الترمذي وقال: حسن صحيح.
3) أحمد.
4) أحمد وأبو د اود وغيرهما.

تصحبها، فلا خير فيها.

قلت: أتعالجون باليد المباركة إذن؟

قال: إن ظفرت بيد مباركة، فلا تفرط فيها.

قلت: أأطلب منها أن تداوي جسدي؟

قال: إن استطعت، فاطلب منها أن تداوي روحك(1).

قلت: وفي إمكانها ذلك..

قال: ألم تسمع حديث شيبة بن عُثمان الحَجَبى؟

قلت: بلى.. فقد حدث نفسه بقتل رسول الله ﷺ كان عامُ الفتح، فقد قال يحدث نفسه: قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة، فأثار منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدا، ما تبعته أبدا، وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر فى نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، فأصلت السيف، فدنوت أريد ما أريد منه، ورفعت سيفى حتى كدت أشعره إياه، فرفع لى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى، فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه، فالتفت إلى رسول الله ﷺ، فنادانى:(يا شيب؛ ادن منى)، فدنوت منه، فمسح صدرى، ثم قال:(اللهم أعذه من الشيطان).. قال: فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلى من سمعى، وبصرى، ونفسى، وأذهب الله ما كان فى نفسى، ثم قال:(ادن فقاتل)، فتقدمت أمامه أضرب بسيفى، الله يعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى كل شئ، ولو لقيت تلك الساعة أبى لو كان حيا لأوقعت به السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون، فكروا كرة رجل واحد، وقربت بغلة رسول الله ﷺ، فاستوى عليها، وخرج فى أثرهم حتى تفرقوا فى كل وجه، ورجع إلى معسكره، فدخل خباءه، فدخلت عليه، ما دخل عليه أحد غيرى حبا لرؤية وجهه، وسرورا به، فقال:(يا شيب؛ الذى أراد الله بك خير مما أردت

---

1) من الأحاديث الواردة في السمح باليد: قوله ﷺ:« إذا اشتكى أحدكم فليضع يده حيث يجد ألمه ثم ليقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبعا » مسلم.

ومنها قوله ﷺ:« امسحه بيمينك وقل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات » الترمذي.

وعن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله! بعثتني إلى قوم هم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، فوضع يده على صدري وقال: اللهم! ثبت لسانه واهد قلبه، يا علي! إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء، فما أشكل علي قضاء بعد » الحاكم وابن سعد، وأحمد والعدني، وأبو داود والترمذي، وقال: حسن.

لنفسك)، ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى مـا لم أكن أذكـره لأحد قط، قال: فقلت: فإنى أشهد أن لا إله إلا اللـه، وأنـك رسـول الله، ثم قلت: استغفر لى. فقال:(غفر الله لك)(1)

قال: أرأيت أثر ذلك المسح المبارك؟

قلت: أليس ذلك خاصا به ﷺ ؟

قال: هو خاص به ﷺ، وينتقل لورثته ببركة اتباعهم له..

قلت: فهل تذكر لي مثالا يقـرب لي هـذا المعـنى، فـإني أجـد بصيرتي تميل إليه، ولكني لا أجد لمصورتي ما يقنعها.

قال: مصورتك تريد الصور.

قلت: أنت عرف ذلك.

قال: أرأيت لو وضعت قطع حديد صغير متنـاثرة، ثم وضـعت فوقها مغناطيسا جذابا؟

قلت: إن قربته منها انجـذب إليهـا، فـإن ضـعف قربـه حركهـا وحولها إلى الاتجاه الذي أريد.

قال: فكذلك الروح الممغنطـة بنـور الـذكر والـورع تمـر على الخلايا بجاذبيتها الإيمانيـة، فتحولهـا صـفوفا منتظمـة، ليس لهـا من دور غير خدمة صاحبها.

النفس

قلت: فلنتحدث عن برمجة النفس.. لقد زعمت بـأن جسـدي مستقل عني.. أتراك تزعم بأن نفسي مستقلة هي الأخرى؟

قال: هي كذلك مستقلة عنك.. ألم تسمع قولـه تعـالى: وَمَـا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَـا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُـورٌ رَحِيمٌ(يوسـف:53)، فقـد أخـبر تعـالى أن النفس تـأمر صـاحبها بالسوء.. وأمرها له يدل على مغايرتها له.

وقد أخبر تعالى في آية أخرى بأنها تلوم صاحبها، فقال تعالى: وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(القيامة:2)، ولومها له يـدل على أنهـا تخالفه وتغايره.

قلت: فما النفس حتى أعرف مغايرتها لحقيقتي؟

قال: سرها ستعرفه في (بنيان الله)

قلت: فعرفني الآن من أسرارها ما أفهم به مغايرتها لي.

قال: نفسك هي الجهاز الذي يخدم وجودك على هذه الأرض.

قلت: أليس الجهـاز الـذي يخـدم وجـودي على الأرض هـو

---
1) ابن سعد.

جسدي؟
قال: لا.. جسدك هو مركبك الذي تركبه.
قلت: ونفسي؟
قـال: هي جهـاز تزويـده بمـا يحتاجـه لينطلـق.. فهـل يمكن لسيارتك أن تسير بلا وقود؟
قلت: لا.. لا يمكن ذلك.
قال: فالنفس هي الـتي تخـبرك عن حاجتـك للوقـود، وتـدلك عليها.. وهي التي تملأ فمك منها.
قلت: لم أفهم هذا.
قال: لقد خلق الله لجسـدك حاجـات كثـيرة، ولا يتـولى هـذه الحاجات إلا النفس.
قلت: فكيف تتولاها؟
قال: بأخلاق طبعت عليها تسمونها الغرائز.
قلت: تقصـد الشـهوة والغضـب والشـح والحـرص والأنانيـة وغيرها.
قال: أجل.. فقد أخـبر تعـالى أنـه طبـع النفس بهـذه الأخلاق، فقال: وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ (النساء:128)
قلت: فلم طبعت عليها.. ولم لم تطهر منها؟
قال: لن يستقيم وجود الإنسان على هذه الأرض من دونها.
قلت: فلم نسمع الأمر بقهر النفس وعدم تلبية طلباتها؟.. ألم يقل الله تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَـافَ مَقَـامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَـوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(النازعـات:40 ـ 41)؟
قال: بلى.. ولكن اللـه تعـالى نهى عن إعطـاء النفس هواهـا، ولم يأمر بقهرها.
قلت: كيف ذلك؟
قال: لو أمر بقهرها، وقتل شـهواتها، ودفن غرائزهـا مـا قـال: يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَـا تَشْـتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (الزخرف:71)، فقد أخبر تعالى أنـه يعطي لأهل الجنة ما تشتهيه أنفسهم من الملذات، وهذا يعني أنهم لم يقتلوها.
قلت: فما معنى النهي عن إعطاء النفس هواها؟
قـال: لقـد خلـق اللـه تعـالى في النفس الحـرص على بقـاء الإنسان سليما معافي في الأرض، ليسـقيم بقـاؤه، فهي لـذلك قـد تغفل عن غير هذه الوظيفـة، فلا تـرى إلا صـاحبها، فتجتهـد ـــ على

حسب علمها البسيط ــ في حفظـه، ولكنهـا قـد تخطئ، فتتيـه في أودية الأماني.

قلت: وما مثل ذلك حتى أفهمه؟

قـال: مثـل أم حنـون حريصـة على ولـدها.. ولكنهـا لغفلتهـا وغبائها تظل تطعمه إلى أن يصاب بالتخمة خوفا عليـه من الجـوع، وقد تمنعه من مصالحه خوفا عليه من الألم.

قلت: فهذه الأم هي النفس.

قال: أجل.. فهي تبحث عن الأماني متصورة أن الكمال فيهـا، فتحجب صاحبها عن بركات الكون.

قلت: فهي حجاب من حجب البركة؟

قال: وهي محال من محالها.

قلت: كيف يستقيم ذلك؟

قال: كل محل من المحلات إذا وجه لغير وجهته أو انحرف به صاحبه عن غايته يصير حجابا من الحجب.

قلت: فكيف تصير النفس محلا لاستقبال البركات؟

قال: بأربعة.

قلت: أعلم أنها أربعة.. فليس هناك غير أربعة.. فما هي؟

قال: الطمأنينة، والاعتدال، والتوازن، والسلام.

الطمأنينة:

قلت: فحدثني عن الطمأنينة.

قال: هي التي قال الله تعالى فيها: يَا أَيَّتُهَــا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِـيَّةً فَـادْخُلِي فِي عِبَـادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي (الفجر:27 ـ 30)

قلت: فما الطمأنينة؟

قـال: هي السـكون العظيم الـذي يملأ أرض الجسـد راحـة، وجهاز النفس سلاما.

قلت: أريد لغة صريحة.. فلا أفهم مثل هذه الألغاز.

قال: عندما يكون البحر هائجا قد تغـرق السـفن الـتي يقلهـا، وعنـدما تزلـزل الأرض تنحـدر الأحيـاء في الأخاديـد الـتي تحفرهـا الزلازل.

قلت: لم تزدني إلا غموضا.

قال: الأرض المطمئنة هي الأرض التي يصلح فيها كـل نبـات، ويخضر فيها كل زرع.

قلت: بدأت أفهم.

قال: أليس الإنسان ترابا كالتراب؟
قلت: بلى.. فقد نص القرآن الكريم على ذلك.
قال: فالتراب لا يكون صالح نافعا مباركا إلا إذا كان هادئا مطمئنا لترقد فيه البذور، ثم تنبت كل أنواع الزهور.
قلت: أهكذا النفس؟
قال: أجل.. النفس الهادئة المطمئنة نفس مستقرة لا تزعزعها رياح الغضب، ولا أعاصير الجشع، ولا عواصف الأنا الكاذبة.
قلت: فهذه النفس مستعدة للبركة.
قال: أجل.. ألم تسمع قوله ﷺ: (إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس وحسن أكله بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس وسوء أكله لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول)(1)؟
قلت: لقد أخبر ﷺ في هذا الحديث أن لسخاوة النفس وسماحتها تأثيرا في حصول البركة.
قال: وأخبر أن للحرص والشح تأثير في سلبها.
قلت: فما تأثير سلبها؟
قال: عدم انتفاع الإنسان بما يأكله، ألم تسمع قوله ﷺ:(لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع)، وقد ورد في حديث آخر:(إن هذا المال خضرة حلوة، ومن سأل الناس أعطوه، والسائل منه كالآكل ولا يشبع)
قلت: فما معنى ذلك؟
قال: معناه عدم انتفاع الإنسان به.. فهو يتصور النقص في الأشياء.. ولكن سلوكه ونفسه هي التي ملأت هذه الأشياء فسادا.
قلت: ولكنا نرى أمثال هؤلاء كالفيلة ضخامة، وكالأحصنة قوة.
قال: أولا ترى عقولهم كعقول العصافير، وأرواحهم كالمستنقعات والمزابل!؟
قلت: بلى..
قال: فما فائدة جسم يسمن لتلتهمه النار؟.. وما فائدة قوة تخفي أعظم ضعف؟
قلت: صدقت.. فما مثال هذه النفس المملوءة حرصا؟
قال: مثال الكلب.
قلت: الكلب!؟

1) البخاري.

قال: أجل.. فهي في اندافعها وهيجانهـا ولهثهـا لا تختلـف عن الكلب.. فلذلك لا تجد البركة ـ إن أرادت النزول ـ محلا تنزل عليـه، ألم تسمع قوله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَـدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (لأعراف:176)

قلت: بلى.. فهذه الآية فيمن انسلخ من العلم.

قال: وهي فيمن اتبع هواه، فهـو يلهث وراء السـراب، وهـو لا يعلم أنه ترك ما يبحث عنه خلف ظهره.. أتدري ما مثله في ذلك؟

قلت: مثل العير في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

الاعتدال:

قلت: فما الاعتدال؟

قال: هو أن لا تأخذ من الأشياء إلا ما تحتاجه منها.

قلت: ولكن الله تعالى سخر لنـا كـل شـيء.. فكيـف تـأمرني بأن لا آخذ إلا ما أحتاجه؟

قال: إن أخذت مـا لا تحتاجـه منعت غـيرك مـا يحتاجـه.. وإذا منعت غيرك ما يحتاجه أصبت بالمحق.. فتأكل، ولا تشـبع.. وتلبس، ولكن تظل عاريـا.. وتسـكن.. ولكن الريـاح السـبعة تظـل تعصـف على جدرانك.

قلت: ولكن الله خلق كـل شـيء بكـرم عظيم.. فنحن نحتـاج إلى لقيمات، ولكن الله خلق لنـا مخـازن من الكـرم لا حـدود لهـا.. ونحن نحتـاج إلى قطـرات من المـاء، ولكن اللـه خلـق لنـا بحـارا وأنهارا ومحيطات.

قال: ولكنه أمرنا مع ذلك بالاعتـدال.. ألم تسـمع مـا روي في الحديث: مر رسول الله ﷺ برجل يتوضأ يغـرف المـاء في وضـوئه فقـال: يـا عبـد اللـه لا تسـرف فقـال: يـا نـبي اللـه وفي الوضـوء إسراف؟ قال: نعم.

ألم تسـمع قبـل ذلـك قولـه تعـالى: وَهُـوَ الَّذِي أَنْشَـأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـاتٍ وَالنَّخْـلَ وَالـزَّرْعَ مُخْتَلِفـاً أُكُلُـهُ وَالزَّيْتُـونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُـوا حَقَّهُ يَـوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(الأنعام:141)، فقد عـدد اللــه نعمــه وفضــله على خلقــه، ثم ختم كــل ذلــك بــالنهي عن الإسراف، وأخبر عن بغضه للمسرفين.

قلت: لقد سمعت عن مضار الإسراف كثيرا، ولكـني أتسـاءل عن علاقته بالبركة.

قـال: البركـة لا تكـون إلا بالاعتـدال.. فالمسـرف لا ينـال إلا المحق.

قلت: لم؟

قال: لأنه برمج نفسه على أنه مهما أكل فلن يشـبع.. فلـذلك يظل يأكل، ولا ينتفع بأكله إلى أن يموت بالتخمة.

قلت: ولكن لم يحرم بركة أكله؟

قال: لأنه أسرف إسرافا منع جسده من الانتفاع بنعم الله.

قلت: اضرب لي على ذلك مثالا.

قال: أرأيت لو أن عمالا كلفوا من الأعمال ما لا يطيقون..؟

قلت: في أي نظام.. نظم السخرة.. أم نظم الحرية؟

قال: في نظم الحرية.

قلت: سيضرب العمال.. وسيتعطل الإنتاج.

قال: فهكذا عمال الجسد.. سيضربون ويندِّدون بكـل صـنوف التنديد إن كلفهم صاحب العمل الذي هو النفس بما لا يطيقون.

قلت: فسر لي ذلك.

قال: أرأيت من طبق قوله ﷺ:(مـا ملا آدمي وعـاء شـرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فـان كـان لا محالـة ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)(1).. فالتزم بـه.. أتـراه يتعب جهازه الهضمي!؟

قلت: كلا.. فإن معدته ستجد الجو المناسـب الـذي ييسـر لهـا هضم الطعام بكل حرية.

قال: وهل يمتص الجسم بركات الأغذية؟

قلت: أجل.. يمتصها بشغف وشوق.. ففرق كبير بين أن تأكل وأنت جائع وجسـمك محتـاج، وبين أن تأكـل وأنت متخم لا تريـد إلا إرهاق جسدك.

قلت: لقد ذكرتني بقوله ﷺ:(زر غبا تزدد حبا)(2)

ابتسم، وقال: أجل.. ونعم ما استشهدت به.

التوازن:

قلت: فما التوازن؟

قال: هو انسجام النفس مع نفسها ومع الكون ومع الله.

---

1) أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم.

2) البزار، والطبراني في الأوسط والبيهقي.

قلت: فكيف تنسجم؟
قال: بالتوازان.
قلت: أعرف الاسم.. ولكني لا أعرف المسـمى، أو لا أعـرف كيف أنال بركاته.
قـال: أرأيت التـاجر الـذي يطفـف في المـيزان، فيأكـل حـق غيره.. هل ينال بركة تجارته؟
قلت: كلا.. فقـد توعـده اللـه تعـالى بالويـل، فقـال: وَيْـلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(المطففين:1)
قال: فمن المطففون؟
قلت: الَّذِينَ إِذَا اكْتَـالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْـتَوْفُونَ وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (المطففين:2 ـ 3)
قال: وهل مع الويل بركة؟
قلت: لا.. فالويل فيروس يظـل يلاحـق صـاحبه إلى أن يلقيـه في هاوية المحق.
قال: فقد فهمت إذن.
قلت: لقـد فهمت التطفيـف في المـيزان.. ولكـني لم أفهم التطفيف في الحياة.
قال: ما حياتك إلا ميزان من الموازين.
قلت: كيف ذلك؟
قال: ألا يوزن الناس يوم القيامة في الموازين؟
قلت: بلى.. وقد قال تعـالى: وَنَضَـعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْـطَ لِيَـوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَـرْدَلٍ أَتَيْنَـا بِهَـا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ(الانبياء:47).. وقـد أخـبر ﷺ أن صـاحب العمـل يوزن، فقال:(يُؤتَى يوم القيامة بالرجل السَّمِين، فلا يَزِن عنـد اللـه جَنَاح بَعُوضَة)(1) ثم قرأ: فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً(الكهـف:105)
وقد ورد في مناقب عبد اللـه بن مسـعود أن رسـول اللـه ﷺ قـال:(أتعجبـون من دِقَّة سـاقَيْهِ، فوالـذي نفسـي بيـده لهمـا في الميزان أثقل من أُحُدٍ)(2)
قال: فقد أخبر ﷺ أن الرجل يوزن.
قلت: كمـا أخـبر في نصـوص أخـرى أن الأعمـال تـوزن، وأن

1) البخاري.
2) أحمد.

الكتب توزن(3).
قال: فهل الحكيم هـو الـذي نـزن نفسـه قبـل أن يـوزن.. أم الحكيم من يترك نفسه لهواها.. فلا يزنها بموازين الحكمة؟
قلت: بل الحكيم من يزن نفسـه قبـل أن يـوزن.. ويكفي في ذلك أن يدمن على العمل الصالح.
قال: لا يكفي العمل الصالح.
قلت: ماذا تقول؟ إن لم يكف العمل الصالح.. فما يكفي؟
قال: وزن العمل الصالح.
قلت: العمل الصالح سيوزن عند الله، وسيلد حسنات كثـيرة، فما الحاجة إلى وزنه في الدنيا؟
قال: العمل الصالح أنواع.. فلذلك تحتـاج إلى المـوازين الـتي تضبطه.. فيتوجه الوجهة الصحيحة المباركة.
قلت: لا يزال ذهني كليلا عن فهم هذا.
قال: أخبرني عن الملح.. هل هو طيب أم خبيث؟
قلت: بل طيب لا خبث فيه.. بل لا يصلح الطعام إلا به.
قـال: أرأيت لـو أتيت إلى قـدر، فملأتهـا ملحـا، أيمكنـك أن تتناولها؟
قلت: حينذاك لا يصلح لها إلا القمامة.
قال: فقد كانت طيبة.
قلت: ولكن الملح أفسدها.
قال: ولكن الملح طيب.
قلت: هو طيب بمقدار محدد، فإن تجاوز المقدار أفسد.
قال: فكيف نعرف المقادير؟
قلت: النساء عندنا يعرفن ذلك بالفطرة.
قال: فمن لم تكن لها فطرة نقية؟
قلت: ننصحها بأن تتخذ ميزانـا أو مكاييـل تعـرف بهـا مقـادير الملح، وإلا فلن يأكل طعامها أحد.
قال: فقد فهمت ما أقصد إذن.
قلت: أتقصد أن يتخد كل واحد منا ميزانا يزن به أعماله؟
قال: أجل.. فالنفس قد تحن لبعض الأعمـال الصـالحة لهـوى

(3) كما جاء في حديث البطاقة، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع لـه في كِفَّة تسـعة وتسعون سـجلا كـل سِجِلّ مَـدّ البصـر، ثم يـؤتى بتلـك البطاقـة فيهـا:« لا إلـه إلا اللـه » فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مـع هـذه السـجلات؟ فيقـول اللـه تعـالى: إنـك لا تُظلَم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان. قال رسول اللـه ﷺ: "فَطاشَـت السـجلات، وثَقُلَتِ البطاقة » رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه.

لها فيه.. فلا يبارك لها في العمل الصالح لتفريطها في غيره.

قلت: اضرب لي مثالا.

قال: أتعرف بشرا؟

قلت: هو فقيه من فقهاء السلوك إلى الله..

قال: أتعرف قصته مع الرجل الذي أرد الحج؟

قلت: أجل.. فقد روى أبو نصر التمار قال: إن رجلاً جاء يودع بشر بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك؟ تزهداً أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله، قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين.

قال: بورك فيك.. فقد رويت القصة بألفاظها.

قلت: وأروي أيضا عن عبد الله بن مسعود قوله:(في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب، يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه)

قال: وبورك فيما ذكرت من حديث ابن مسعود، فقد كان فقيها في دين الله عليما بأسرار البركات.

قلت: أنا أروي الحديث.. ولكني لم أفهم علاقته بالبركة.. ثم علاقة كل ذلك بالصحة.

قال: الصحة شيء متكامل.. فلا صحة لجسد يحمل قلبا مريضا، ونفس تتلاعب بها الأهواء، وعقل تحمل عليه جيوش الظنون.

قلت: لم؟

قال: لأن البركـات لا تتـنزل على أمثـال هـؤلاء.. والبركـة هي سر ابتسامة الأنين.. ألست أراك تبحث عن ابتسامة الأنين؟

قلت: أجل..

قال: فهذا سبيل من سبلها.

قلت: فكيف نقيد أعمالنا بالموازين التي تحفظها من موبقات الهوى.

قال: بأن تستن بسنة أعظم الخلق بركة.

قلت: رسول الله ﷺ.

قال: من أراد العلم قصد العلمـاء.. ومن أراد البركـة لا يقصـد إلا المباركين.

السلام:

قلت: فما علاقة السلام بالبركة؟

قال: البركات لا تتنزل إلا على النفوس المسالمة.

قلت: لم؟

قال: لأن النفوس المحاربة تستقبل البركات بالرماح والأسنة، فتحول بينها وبين النزول إلى أراضي النفوس.

قلت: وهـل هنـاك من يشـبع من البركـة، فيحـول بين نفسـه وبينها؟

قال: أجل.. النفوس المحاربة المصارعة.

قلت: ولكن النفوس لا تحارب إلا من يحاربها.

قال: لا.. النفوس المحاربة تلتذ بحربها.. ولا ترى اللـذة إلا في انتصارها وفي إسقاطها لخصـومها.. فلـذلك لا ترضـى أن تسـتقبل البركات بالسلام.. بل تريد أن تقتنصها بالصراع.

قلت: فإن لم تجد من تحاربه؟.

قال: تصطنع عدوا تحاربه.. الصراع عندها كالغـذاء والمـاء.. لا يمكنها أن تتخلى عنه.

قلت: ولكنها قد تنال بصراعها أشياء كثيرة..

قال: نعم يحصـل ذلـك.. ولكنـه ممحـوق البركـة.. ألم تسـمع بخزائن قارون؟

قلت: بلى.. فقـد آتـاه اللـه ﴿مِنَ الْكُنُـوزِ مَـا إِنَّ مَفَاتِحَـهُ لَتَنُـوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص:76)

قال: ولكنه رفض أن ينسبها لله.. بل تصور أنه حصلها بجهـده وعلمه وصراعه.

قلت: أجل.. وقد قال تعـالى في ذلـك على لسـانه عنـدما نبهـه

قومه: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي(القصص:78)

قال: فقد رفض أن ينسب الأمر إلى أهله.

قلت: أجل.. وذلك شأن المصارعين.

قال: فهل بورك له في ماله؟

قلت: لا.. بل خسف الله به وبداره وبماله الأرض.

قال: وهكذا مصير كل مصارع.. فلن ينال من البركات إلا ما ناله قارون منها.

قلت: ولكنا لم نسمع برجل خسف به غير قارون.

قال: فاذهب إلى المقابر واسألها..

العقل

قلت: فلنتحدث عن برمجة العقل.. لقد زعمت بأن جسدي ونفسي مستقلان عني.. أتراك تزعم بأن عقلي مستقل هو الآخر؟

قال: عقلك تجل من جليات حقيقتك ومظهر من مظاهرها وطاقة من طاقاتتها.

قلت: فهو أنا.. وليس غيري.

قال: هو أنت إذا لم تستعمره النفس، ولم تقيده الأعراف، ولم تستعبده الأهواء.

قلت: فإن استعمر.

قال: يصير أعدى أعدائك.. ولن تنال منه إلا المحق.

قلت: كيف ذلك؟

قال: عقلك هو النافذة التي تطل بها على حقائق الوجود.. وهو النور الذي تتعرف به على واهب النور.. وهو العقال الذي ينظم نفسك لتنسجم مع الكون وتتخلق بأخلاق حقيقتها.. فإن كان كذلك كان لبا.. وكان بركة محضة.. ألم تسمع الله تعالى، وهو يثني كل الثناء على أولي الألباب؟

قلت: بلى.. فقد ورد فيهم قرآن كثير، فالله تعالى يقول: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آل عمران:7)

قال: هذه الآية هي التي تدلك على بركات العقل.. وتنبئك على أسرار المحق.

قلت: فهي مفتاح البركة والمحق المرتباطان بالعقل.

قال: أجل.. فقد ذكـر اللـه العقـول الممحوقـة، وهي العقـول التي لا تتغذى إلا على المتشباهات الـتي تملؤهـا بالفتنـة، وتبشـرها بالجهل.. وذكـر بجانبهـا العقـول المباركـة.. عقـول الراسـخين في العلم الذين لا ينحبجبون بالمتشباهات عن المحكمـات.. ويتعرفـون بكليهما على الحقائق.

قلت: فبركة العقل هي التغذي بغذاء المحكمات.

قال: من تغذى بغذاء المحكمات رزقه الله القـوة على هضـم المتشباهات.. بل جعل له من القوة ما يحول من المتشابه محكما.

قلت: ومن تغذى بالمتشابهات؟

قــال: جعــل اللــه في عقلــه من الغشــاوة مــا يجــادل بــه المحكمات.. فلا تهضم في عقله، كما لا ينهضم الطعام الطيب في بطنه لإدمانه على الخبث.

قلت: فكيف نغذي عقولنا بالمحكمات؟

قال: إذا أدركنا وظيفة عقولنا.. وفهمنـا سـرها.. وتعرفنـا على طاقاتها.

قلت: فما علاقة هذه المعارف بالبركة؟

قـال: الجسـد مـرآة من المـرائي الـتي قـد تتعـرف بهـا على الحقائق.. فلذلك سنستعير الأمثلة عنه.

قلت: ذلك سيبسط المسألة.

قال: أرأيت لو أن شخصا جهل ما يمكن لجهـازه أن يهضـمه.. فراح يطعمه السموم.

قلت: سيقتل نفسه لا محالة.

قال: فكذلك جهـاز العقـل الـذي هـو أمـير النفس.. إذا غـذي بغذاء المحكم هضم وقوى عقله ليهضم غذاء الشبهة.. ولكنه إن لم يغذه بالحكمة، سيقتله تناوله لغذاء الشبهة.

قلت: فسر لي ذلك بما يعمق هذه الحقيقة في نفسي.

قال: ألم تسمع ما قال الله تعالى في مثال البعوضة؟

قلت: بلى.. فقد قـال تعـالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْـتَحْيِي أَنْ يَضْـرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَـةً فَمَـا فَوْقَهَـا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُـوا فَيَعْلَمُـونَ أَنَّهُ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِـيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾(البقرة:26)

قال: فالمؤمنون نظـروا إلى هـذا المثـال من زاويـة المحكم، فتعرفو به على الله، والكافرون نظـروا إليـه من زاويـة المتشـابه،

فحجبوا به عن الحق، ومحقت بركة عقـولهم.. ألم تسـمع مـا قـال الله تعالى في تأثير التسعة عشر؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَـةً لِلَّذِينَ كَفَـرُوا لِيَسْـتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانـاً وَلا يَرْتَـابَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَـافِرُونَ مَـاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ(المدثر:31)

قال: لقد اعتبر الله تعالى عـدتهم فتنـة للـذين كفـروا، ويقينـا للذين أوتوا الكتاب، وزيادة إيمان للذين آمنوا.

قلت: بلى.. ذلك واضح.. فالغذاء واحد.. ولكن التأثير مختلف.

قـال: المؤمنـون غـذوا إيمـانهم بمحكم الإيمـان باللـه، فنـالوا بركات العلوم.. ولكن الغافلين منعوا من هذه المعارف ببحثهم عن المتشابه، فصار الدواء في عقولهم داء، وصار الحـق في أفـواههم باطلا.

قلت: وعيت هذا.. فبركة العقل هي المحكمات.. فبها تتشرب المتشابهات.

قال: وبها تتغذى من كل حقائق الوجود.. ألم يقل الله تعـالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(البقرة:269).. أتدري ما الحكمة؟

قلت: سمعت أن الحكمة هي الفهم عن الله.

قال: بأدوات أهل الله.

قلت: فما علاقة هذا بالصحة.. ألسنا في مستشفى السلام؟

قال: مستشفى السلام يعالج النفس بالعقل.. ويعالج الجسـد بالنفس.

قلت: كيف ذلك؟

قـال: يجعـل للعقـل الإمـارة على النفس، ويجعـل للنفس الإمارة على الجسد، كما يجعل للروح الأمارة على كل ذلك.

قلت: كيف يجعل الإمارة للعقل على النفس؟

قال: النفس قد تسترسل مع شـهواتها، فتحتـاج إلى أن تلجم بلجام العقل.. فالعقل هو العقال الذي تضبط به النفس..

قلت: اربط لي هذا بالصحة.

قال: لن يصعب عليك ربط كل ما ذكرناه بالصـحة.. فالصـحة كل متكامل.. وكل ما يؤثر في عقلك، يؤثر في جسـدك ونفسـك..

ولكني سأخاطبك بما يعي قومك.

قلت: أجل.. فهو أقرب لفهمي.

قال: أرأيت المدمن الذي خرب جسده بنيران شهوات الخمر والمخدرات لمن يسترسل في ذلك؟

قلت: لنفسه الأمارة بالسوء.

قال: ولماذا لا يحكم عقله.. فيتبصر خطر ما هو فيه.

قلت: عقلـه صـار تحت زمـام نفسـه.. فهـو يبحث ويخطـط ليصل إلى ما تشتهيه نفسه.

قال: ولكن لماذا لا ينظر إلى الحقيقة؟

قلت: شــبهات طغت على عقلــه.. فحــالت بينــه وبين فهم الحقائق المرتبطة بصحته.

قال: مثل ماذا؟

قلت: كثـيرة هي.. ولعـل أهمهـا انشـغاله باللحظـة.. فعقلـه وجودي لا يؤمن إلا بلذة الساعة.. ولسان حالـه يقـول (النقـد خـير من النسيئة) أو (درهم في الجيب خير من عشرة في الغيب)

قـال: فقـد منـع عقلـه من غـذاء المحكمـات بتغذيتـه بغـذاء المتشابهات..

قلت: فكيف يفلح هذا العقل؟

قــال: بعودتــه إلى المحكمــات.. فبالمحكمــات يبــارك في المتشابهات، وتصد الشبهات.

قلت: فهل نجلس كجلوسك هذا لنتغذى بالمحكمات؟

قــال: ليس الشــأن أن تجلس بجســدك.. ولكن الشــأن أن يستقر عقلك في ميدان الفكرة.. فما نفع العقل شيء مثـل رعيـه في ميادين الحكمة.

الروح

قلت: فلنتحدث عن برمجة الروح.. فما هي الروح؟

قال: وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَـا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (الاسراء: 85)

قلت: فكيف أبرمج ما لا أعلم؟

قال: ومن قال لك بأن الله تعالى لم يخبرنا عن الروح.. ألسنا سوى الروح؟ فكيف يتركنا الله أسارى جهلنا لذواتنا؟

قلت: ولكن الآية واضحة.. فالله يخبرنا بأن الروح من أمــره.. وأنا لم نؤت من العلم إلا قليلا.

قال: ولم تعتقد أن الله تعالى لم يخبرنا عن الروح؟

قلت: لأنها من الأمور الغامضة التي لا يمكن للعقول الضعيفة معرفة شأنها.

قال: وهل الروح أعظم شأنا من الله؟

قلت: ما تقول؟.. لقد قف شعري مما قلت..

قال: لا تخف.. فأنا لم ألحد في قولي.. ولكني أتساءل.. فـإن كان الله عرفنا بنفسه.. وهو أعظم شأنا.. واستطعنا أن نــدرك من معرفة الله ما نعبده به.. فكيف لا يعرفنا بأرواحنا، أو كيف تزعم أن أرواحنا أعظم من أن نعرفها؟

قلت: ولكــني لم أر في حيــاتي من وصــف طــول روحــه أو عرضها أو لونها أو شكلها.

قال: من ابتغى أن يعـرف الـروح بهـذه الأوصـاف فقـد غـذى عقله بلبان المتشابهات.. ومن تغـذى بلبـان المتشـابهات لم يـدرك من الحقائق إلا ما يصرفه عن الحقائق.

قلت: فكيف أعرف الروح إن لم أعرفها بهذه الأوصاف؟

قـال: كمـا تعـرف اللـه تعـرف روحـك.. ألسـت تعـرف اللـه بأسمائه وصفاته؟

قلت: بلى.. فلا يمكن إدراك الذات.

قال: فكـذلك معرفتـك لروحـك.. تعرفهـا بأوصـافها وطبائعهـا وخصائصها لتتعامل معها على أساس ذلك.. ولن تتنزل البركـات إلا على من عرف سر روحه.

قلت: فأنبئني عن أسرراها.

قال: ستعرفه في بنيان الله..

قلت: ولكني أطلب البركات.. فهـل أحـرم من بركـات روحي حتى أصل إلى ذلك المحل الرفيع؟

قال: لا.. يمكنك أن تعرف من أمور الروح ما يفيدك في تنزل البركات.

قلت: فما هو؟

قال: أن تعرف قبلة الروح.. فلبركات الروح قبلـة واحـدة، لن ينال البركات إلا من توجه لها.

قلت: فما هي قبلة الروح؟

قال: هي التي عبر عنها الله تعـالى بقولـه:﴿ فَأَيْنَمَـا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة:115)

قلت: أراك تشير بها إلى شيء لا أفقهه.

قال: الآية واضحة في الدلالة عليه.. ومما يزيد في توضيحها قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (النور:39)

قلت: لم تفسر الغموض بالغموض؟

قال: لقد خلق الله عباده لمعرفته.

قلت: أفهم هذا.. فقد قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذريات:56)

قال: فالأرواح في أصل خلقتها تتوجه إلى الله.. ولا تجد لذتها إلا في ذلك.

قلت: أجل.. ولكنها تحيد عنها بتلبسها بالشهوات والأهواء.

قال: فهي في تلبسها بذلك تطلب الماء في السراب..

قلت: ما تقصد بذلك؟

قال: هي تطلب الله.. ولكنها تتيه عنه باللذات.. فلذلك تتوجه كل الوجهات تبحث عن الله.. فتتيه عنه بأخطاء النفس والعقل.

قلت: أيمكن أن تقع الروح أسيرة العقل والنفس؟

قال: أرواح الأولياء والأصفياء ملوك على العقول والنفوس.. أما أرواح غيرهم فأسيرة في أيدي النفوس والعقول.

قلت: فكيف تتنزل البركات على الروح؟

قال: بتوجهها إلى الله واستمدادها منه وتلذذها بمعرفته.

قلت: فما علاقة ذلك بالصحة.

قال: أصحة الإنسان، أم صحة أعضاء الإنسان؟

قلت: صحة الإنسان.

قال: لن تستقيم صحة الإنسان إلا بصحة الروح.

قلت: فمن تدنست روحه بأدناس الأغيار..!؟

قال: يظل مريضا، ولو عولج بعقاقير العالم.

قلت: ولكنا نراه بعافية يحسده عليها الصالحون.

قال: قلوب الصالحين لا تعرف الحسد.

قلت: أنا لا أريد حسدهم.. ولكني أريد المقارنة بين صحة الغافلين وصحة العارفين.

قال: أرأيت لو أن شخصا أصابه جرح في جسده، وبجانبه شخص أصابه جرح في قلبه.. فأيهما أكثر عافية، وأيهما أكثر ألما.

قلت: مريض القلب أكثر مرضا.. أما جرح اليد فسرعان ما يندمل.

قال: فلذلك ذكرت لك أن قلوب الصالحين لا تعرف الحسـد.. لأنهم لا ينظـرون إلى عافيـة الأجسـاد، بـل ينظـرون إلى عافيـة الأرواح.. ومن عافاه الله في روحه لا يضره أن يتضرر جسده.. بـل إن من كملت روحه يداوي جسده بروحه.

قلت: أيمكن ذلك؟

قال: نعم.. فمراهم الروح لا تقف بجنبها المراهم.

قلت: أيمكن أن نعالج الأدواء الخطيرة بالروح؟

قال: بالروح المطعمة بلبان البركة يمكنك أن تفعل كل شيء ألم تسمع قوله ﷺ:(قال الله تعالى ما تقرب إلى عبدى بمثـل اداء فرائضي وإنـه ليتقـرب إلى بالنوافـل حـتى احبـه فـإذا أحببتـه كنت رجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها ولسانه الذى ينطـق بـه وقلبه الذى يعقل به إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته)(1)

1) ابن السنى في الطب عن سمويه.

ثالثا ـ مخزن البركة

قصدنا القسم الثالث من أقسام (أدوية السماء)، فقرأت على بابه لافتة مكتوبا عليها قوله ﷺ:(اللهم بارك لنا في ثمرنا)(1)

وقد كان هذا القسم أشبه بمخزن كبير تجبى إليه ثمرات كل شيء، فسألت معلم البركة عنه، فقال: هذا قسم الغذاء المبارك.. وبما أن الله تعالى وزع البركة في رزقه، فإن أهل هذا القسم يلتمسون البركة في كل ما خلق الله من أرزاق.

قلت: لم؟

قال: ألا تعرف العناصر المؤثر في الأغذية والأدوية؟

قلت: أجل.. ففي الأدوية مثلا هناك العناصر الأساسية المقصودة بالأصالة، وهناك المسوغات.

قال: أرأيت لو أن الدواء لم يحتو إلا على مسوغات صرفة، ولم يحتو على أي عناصر فاعلة.. كيف تعتبره؟

قلت: هذا دواء مغشوش قد يصلح للمرضى بالأوهام، ولكنه لا يصلح علاجا للأسقام.

قال: فتلك العناصر المؤثرة في الدواء هي عناصر البركة التي يلتمسها أهل هذا القسم.

قلت: وكيف يعرفونها؟

قال: لديهم مخابرهم التي تبحث في هذا الباب.

قلت: لا أعرف من المخابر إلا المخابر الكيميائة التي تميز أنواع المكونات المختلفة.

قال: لديهم مثل هذا النوع من المخابر.. ولكنهم لا يكتفون بها.

قلت: فإلى ماذا يرجعون؟

قال: أهل هذا المستشفى يحترمون كل ما يأتيهم من العلم، ويتوثقون منه.. فلذلك تجدهم ينشرون الإعلانات، بل الحوافز لكل من وجد البركة في طعام أن يدل عليها، ويبشر بها.

قلت: أيملك الناس مخابر في بيوتهم؟

قال: وقبل أن توجد المخابر كيف كان يعيش الناس؟.. أم أن هذه المخابر التي تعبدونها هي التي حفظت البشر من الفناء..

---

1) مسلم، والترمذي، ونص الحديث:« اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم! إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه »

أليس البشر يموتون في كل العصور؟
قلت: ولكن الله تعالى أمرنا بالرجوع إلى الخــبراء.. ولا يمكن أن يكون هناك خبراء بلا مخابر.
قال: ولكن الخبير هو الذي يحترم كل من يأتيـه.. وينتفـع بـه.. ولا يلغيه لأن عقله لم يدرك ما أتاه به.

***

قال ذلك وانصرف، فبقيت أسير في القاعة وحدي، مدهوشـا بما فيهـا من الخـير والجمـال، فجـأة لاحظت دكانـا لا يختلـف عمـا نعرفه من دكاكين، وقد وقف عليه رجل مهيب، ولكنه يرتـدي بذلـة البقالين، فتعجبت من ذلك، ولم أدر إلا وأنا أقول له بلهجة شـديدة: يا هذا.. أتراك أخطأت أم تعمدت الخطأ؟
قـال بهـدوء: أوضـح، فمن الخطـأ أن تـرمي بالخطـأ دون أن تحدده.. ألم تراجع دروس السلام؟
قلت: وهل للسلام علاقة بهذا؟
قال: في أي مرحلة أنت؟
قلت: في السنة أولى ابتدائي.
ضحك، وقال: أنت لا تزال تتعلم الحروف إذن.. فاسمع مـني: أنت تبحث عن المتوسمين ليدلوك على وسائل البركة وأسبابها.
قلت: لم تعـدو مـا في نفسـي، ولا أحسـبك إلا واحـدا منهم.. ولكن كيف تتاجر في مستشفى السلام؟
قـال: وهـل حـرم اللـه التجـارة.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿ وَآخَــرُونَ يَضْــرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُــونَ مِنْ فَضْــلِ اللَّهِ وَآخَــرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل:20)؟
قلت: بلى، فقـد قـرن اللـه تعـالى في هـذه الآيـة بين الجهـاد والضرب في الأرض.
قــال: بــل قــدم الضــرب في الأرض على الجهــاد، فلا يمكن للمجاهد أن يجاهد لولا وجود من يضرب في الأرض.
قلت: فهمت هذا.. ولكن ما سر البيع في هذا المستشفى؟
قال: أنا لا أبيع.. ولكني متوسم مختص بالبحث فيما بارك الله فيه من الأغذية.
قلت: أهناك أغذية مباركة بالأصالة؟
قال: أجل.. فمن رحمة الله أن جعل في بعض الأغذيــة بركــة يستفيد منها الجميع.. ولولا هذه البركات لهلكت الأرض ومن عليها.
قلت: أهي في الأغذية؟

قال: هي في الأغذية والأشربة.
قلت: فكيف تعرفها؟.. ألديك تحاليل خاصـة تتعـرف بهـا على عناصر البركة؟
قـال: البركـة لا تعـرف بالتحاليـل.. بـل تعـرف بالتوسـم من المصادر المعصومة.. فإن كانت لك القدرة على سماعها كانت لك القدرة على اكتشافها.
قلت: أرأيت لو أنك وجدت البركة في غـذاء من الأغذيـة.. ثم أثبت العلم الحديث بوسائله الحديثـة ضـرره أكنت تتهم البركـة، أم تتهم العلم؟
قال: لا يصطدم العقل الصحيح مع النص الصريح.. فـإن رأيت افتراقهما بحثت عن أسباب الافتراق.
قلت: فما تجد في العادة؟
قال: أجد أغذية البركة قد حـورت وبـدلت.. أو أن من تناولهـا تناولهـا مصـارعا، ولم يتناولهـا مسـالما.. أو أجـد أسـبابا أخـرى قـد عرفتها، وستعرفها.
قلت: فهل تقارن بين ما اكتشفته من أغذية البركـة، وبين مـا توصل إليه العقل والعلم من ذلك؟
قـال: أجـل.. فبرفقـتي بعض الخـبراء.. وهم ملازمـون لي لا يفارقوني.
قلت: فهل تتعلم على أيديهم؟
قال: هم يزعمون أنهم يتعلمون على يدي.
قلت: فهل تطعمني من أغذية البركة؟
قال: بل سأعلمك من علومها.. فقد أرسـل إلي معلم البركـة يطلب ذلك.. ولا مناص لي من طاعته.. ألم يقل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللَّهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء:59)
قلت: فما هي الأغذية التي ستذكر لي بركتها؟
قال: ما ورد في النصوص.. فقد اعتبرنا الأصل في البركة هـو ما ورد في النصوص منها.
قلت: فما ورد في النصوص؟
قال: كثيرة، وقـد تجتمـع في عشـرة، وكلهـا ممـا أشـار إليـه القرآن الكريم.
قلت: فما هي؟
قال: المياه، والهواء، والحبـوب، والألبـان، والتمـر، والزيتـون،

والخضر، والفواكه، والبقول، واللحوم.
قلت: أراك تذكر الماء في الأغذية.. فهل هذا خطأ مطبعي، أم تراها زلة لسان؟
قال: لا هذا.. ولا ذاك.
قلت: فأنت تقصد ما تقول.
قال: أجل.. فالماء هو سيد الأغذية المباركة.. ألم ينص القرآن الكريم على بركته، فقال تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً (ق:9)؟
قلت: بلى.. فمن أين تبدأ تعليمي أسرار بركات المياه؟
قال: ومن قال لك بأني من يعلمك أسرار بركات المياه؟
قلت: ما هذا ـ معشر المتوسمين ـ لقد ذكرت لي الآن بأن معلم البركة دعاك إلى تعليمي أسرار بركات الأغذية.
قال: ذلك صحيح.. فقد طلب مني، ولا مناص لي من تنفيذ طلبه.
قلت: فقد قررت إذن تعليمي.
قال: لقد قلت لك بأني لن أقوم بتعليمك أنا..
قلت: سلمت لك مع تناقضك.. فمن يعلمني؟
قال: ما ذكرته لك من المعلمين.
قلت: لم أسمعك تذكر معلما عدا معلم البركة.
قال: ألم أذكر لك أسماء الأغذية المباركة؟
قلت: بلى..
قال: فهي التي ستقوم بتعليمك.
قلت: إلى الآن لا تزال بقية من عقلي في رأسي.. فلا ترفعها.. فإنها توشك أن تتبخر.
قال: العقل لا يتبخر.. فلا تخف.
قلت: قد لا يتخبر، ولكنه يتلف.. فإن أردت أن لا يحصل له هذا، فوضح لي ما تريد.
قال: ألم يخبرك المعلم عن حياة الكائنات؟
قلت: بلى.. وقد أخبرني عن وعيها.. ولكنه أرجأ التفاصيل المرتبطة بذلك إلى رحلة وعدني بالقيام بها إلى (أكوان الله)
قال: ألم يخبرك بأن الأغذية المباركة تقوم بدور الطبيب في الجسم؟
قلت: أخبرني ذلك.. وقد سرني ما ذكره.
قال: لذلك ستذهب إلى هؤلاء الأطباء ليخبروك.

قلت: ولكني لست سليمان ؟

قال: ومن قال لك بأنك سليمان ؟

قلت: ألم يقل سليمان :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾(النمل:16)؟

قال: وهل ذلك خاص بسليمان ؟.. ألم يكن الصحابة يسمعون تسبيح الطعام.. ألم تسمع قول ابن مسعود:(كنا نأكل مع النبي ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)(1)

بل كانوا يسمعون تسبيح الحصى، فقد قال أبو ذر:(تناول رسول الله ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن)(2)

قلت: ولكن ذلك كان في حضور رسول الله ﷺ، وقد سرى إليهم من بركاته ما جعلهم يسمعون.

قال: نعم بركات رسول الله ﷺ هي سر ما وصلهم من خير.. ولكن هذا الخير لم يكن محصورا في حضوره ﷺ.. ألم تسمع ما روى أبو حمزة الثمالي قال: قال محمد بن علي بن الحسين وسمع عصافير يصحن قال: تدري ما يقلن؟ قلت: لا. قال: يسبحن ربهن تعالى ويسألن قوت يومهن.(3)

ويروي عن علي بن الحسين قال: كنا معه فمر بنا عصافير يصحن فقال: أتدرون ما تقول هذه العصافير؟ فقلنا: لا. قال: أما أني ما أقول إنا نعلم الغيب، ولكني سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين يقول: إن الطير إذا أصبحت سبحت ربها، وسألته قوت يومها، وإن هذه تسبح ربها، وتسأله قوت يومها(4)

قلت: أولئك آل بيت كرام.. وأين أنا منهم؟

قال: هل تحبهم؟

قلت: بل أعشقهم.. ولكني أرى نفسي أدنى من التراب الذي يمشون عليه.

قال: فمن رزق محبة الصالحين رزقه الله بركاتهم وآثارهم.

قلت: أما إن قلت هذا.. فإني مسلم لك.. ولكن كيف أرحل إلى هذه الأغذية المباركة حتى أسمع أصوات بركاتها؟.. هل

---

1) أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه.
2) البزار والطبراني.
3) أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية.
4) الخطيب.

تجعلني قزما، فأدخل فيها كما أرى في أفلام الخيال؟

قال: لا.. لن تحتاج إلى ذلك.. ولم يجعل الله في قدرة جسد الإنسان التمثل في الأشكال.

قلت: فكيف ألج عوالمها إذن؟

قال: بالبصيرة.. فلها القدرة على اختراق الآفاق، ومعاينة السبع الطباق.

قلت: فماذا أفعل؟

قال: اقترب مني.

فاقتربت منه، فوضع يده على صدري، فأحسست ببرد أنامله تسري في عروقي.. ثم لم أره.. ولم أر شيئا مما كنت أراه.

الماء

فجأة لاح لي منظر عجيب قد نزل من السماء.. رأيت شبكة من اللآلئ المترابطة فيما بينها بروابط النور.. كل أربعة مرتبطة بأربعة في اتحاد عجيب يصعب اختراقه[1].. وكلها تشكل بحروف من نور صورة جميلة لقوله تعالى: هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (صّ:42)

لم أكن متعودا على خطاب الأشياء.. ولكن لكثرة ما سمعته عن حياة الكائنات وجدت لساني يقول من غير أن أشعر: من أنت أيتها اللآلئ المباركة.. فوجهك وجه خير.. ولسانك لسان خير؟

نطقت لؤلوة من اللآلئ، وقالت: أنا وأخواتي من اللآلئ نشكل بارتباطنا قطرة من قطرات المياه المباركة التي ملأ الله بها كونه.

قلت: أأنت لؤلؤة من قطرة ماء؟

قالت: كلنا لآلئ من تلك القطرة..

قلت: فلماذا تكتبن قوله تعالى: هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (صّ:42)؟

قال: نحن قطرات ماء بارك الله فينا، فجعلنا دواء للعلل، ومغتسلا من الآلام.

قلت: ولكن هذه الآية في أيوب عليه السلام.

---

1) البناء الفريد للماء يجعل جزيئاته متماسكة، ومرتبطة بروابط هيدروجينية، ويصبح كل جزيء مرتبطاً بأربعة جزيئات مجاورة، وكل منها بأربعة، وهكذا تبدو جميع الجزيئات مرتبطة ببعض في شبكة فراغية متماسكة، و لولا هذا لكانت درجة غليان الماء (-80م)ودرجة تجمده (-100 م)ولاستحال وجود الماء على شكل سائل وصلب على سطح الأرض ولاستحالت الحياة.

قالت: نحن زرنا أقواما كثيرين، وقد تشرفنا بأن زرنا في ذلك اليوم الجميل أيوب ﵇، فمسحنا آهاته، وغسلنا آلامه.

قلت: وهل زرتن غيره؟

قال: لا نزال نزور كل يوم من خلق الله من نطعمه ونسقيه ونعالج آلامه.. وفوق ذلك نطهره ونغسل أدرانه.. وفوق ذلك نملأ أجواءكم سكينة ولطفا وسرورا.

قلت: أأنتن تفعلن كل ذلك؟

قال: ألم تسمع قوله تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً (قّ:9)؟

قلت: بلى..

قال: فقد باركنا الله.. فتعددت أغراض الانتفاع بنا.. فلا يقربنا أحد إلا ونال من بركاتنا.

الماء والسماء:

قلت: لقد ورد في كلام الله تعالى أنكم من السماء.. فهل هذا مجاز أم حقيقة؟

قال: نزه كلام ربك عن غير الحقيقة.. نحن من السماء.. ولدنا في السماء.. ونزلنا إلى الأرض.. وفي كل يوم نحن إلى المصدر الذي منه جئنا.. فنحن بين ارتفاع وانخفاض.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ها هي ذي أختي، وهي خبيرة بما توصلتم إليه من العلم، وستجيبك عني.

سمعت صوتا عذبا من لؤلؤة من اللآلئ تقول: لقد وصل قومك إلى نظريات كثيرة بشأننا.. ولعل أقربها إلى الصواب النظرية التي تقول بأن أصلنا من الفضاء الخارجي، أي السماء.

فهي تذكر أن هناك تيارات من الأشعة الكونية تتحرك دائماً في الفضاء الكوني مكّونة من جسيمات ذات طاقة ضخمة جداً، تحتوي على نوى ذرات الهيدروجين، أي على البروتونات، ولدى حركة كوكب الأرض أثناء دورانه حول نفسه وحول الشمس تخترق هذه البروتونات جو الأرض، وتحصل على الإلكترونات الضرورية، وتتشكل ذرة الهيدروجين، حيث تتفاعل مباشرة مع الأوكسجين مشكلة جزيئات على ارتفاعات كبيرة، وفي ظل درجات حرارة منخفضة تتكاثف على جسيمات من الغبار الكوني مكونة سحباً فضية.

ويعتقد علماؤكم بأن الماء المتشكل بهذه الطريقة خلال

التاريخ الطويل الذي مرت به الكرة الأرضية ـ أثناء تشكلها ــ يكفي لملء جميع المحيطات على سطح الأرض.

قلت: أأنت أيتها اللؤلوة المباركة تعتقدين صحة هذا؟

قالت: أجل.. ولي في ذلـك من نصـوص من القـرآن الكـريم أشعر بأن لها دلالة كبرى على هذا.

قال: وما هي؟

قالت: كثيرة.. فالله تعالى ذكر أنـه أنـزل من السـماء المـاء، وذكر مادة المـاء منكـرة دون تعريـف ليـدل على أن عمـوم جنس الماء نـزل من السـماء، وذلـك في أكـثر من عشـرين آيـة.. فاللـه تعالى يقول ـ مثلا ـ: الَّذِي جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشـاً وَالسَّـمَاءَ بِنَـاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (البقـرة:22)، ويقـول: وَمَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّـمَاءِ مِنْ مَـاءٍ (البقـرة:164)، ويقـول: وَهُـوَ الَّذِي أَنْـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (الأنعام:99)ويقول: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَـاءً (الرعـد: 17)

قلت: فهل كل صواحبك يعتقدن هذا؟

قال: لا.. منهن من ذهب إلى خلاف هـذا.. ونحن نتعـايش مـع اختلافنا.

قلت: فما قلن؟

الماء والأرض:

قالت: هن يقلن بأن منشأنا من الأرض.

قلت: وبم استدللن على ذلك؟

قـالت: هن يقلن بـأن الصـخور المكونـة للطبقـة الواقعـة بين نواة الأرض والقشرة الأرضية.. أي طبقة السيما كـانت تنصـهر في بعض المواقع تحت تأثير الحـرارة الناشـئة عن التفكـك الإشـعاعي للنظـائر المشـعة، حيث تنطلـق منهـا مكونـات طيـارة كـالأوزون والكلـور ومركبـات الكربـون المختلفـة والكـبريت، وأكثرهـا أبخـرة الماء.

وكانت هذه المكونات تقذف إلى الطبقات السـطحية أو على السـطح بواسـطة الثـورات البركانيـة خلال تـاريخ الأرض الطويـل، وتكفي هـذه الكميـة لملء جميـع المحيطـات على سـطح الكـرة الأرضية.

قلت: فهل استدللن على ذلك بشيء من القرآن الكريم؟

قالت: أجل.. فقد قال تعالى: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِـكَ دَحَاهَـا أَخْـرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (النازعـات:31)

قلت: فهل أثر هذا الاعتقاد في احتقار صواحبك لأنفسهن؟
قالت: حاشا لله.. اعرف ما تقول يا رجل.. أتعرف من تخاطب؟
قلت: أعرف.. فأنت جزء من قطرة ماء.
قالت: وهل هان الماء في عينك إلى هذا الحد.. ألم يجعلنا الله حياة لكل شيء؟
قلت: أعلم.. فقد قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (الانبياء:30)
قالت: أكمل الآية ما بالك تبترها.
قلت: لقد قال تعالى: أَفَلا يُؤْمِنُونَ (الانبياء:30)
قالت: أرأيت الشرف الذي أعطانا الله.. إن الله يستدل بنا عليه.. ألم تسمع قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (الملك:30).. ألم تسمع قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (الواقعة:68 ـ 70)؟
قلت: بلى.. قد سألتك عن صواحبك.. كيف ينظرن إلى أنفسهن، وهن يعتقدن أن منشأهن من الأرض لا من السماء.
قالت: وهل الأرض غير السماء؟.. الكون كون الله.. وقد بارك الله في الأرض كما بارك في السماء، فقال تعالى: وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (فصلت:10)
قلت: اعذريني أيتها القطرة المباركة أن أعاتبك.
قالت: لا حرج عليك.. فإن كان الله قد عاتب أنبياءه، فكيف أستكبر عن العتاب أنا؟
قلت: أراك تفخرين كثيرا بنفسك، وبأخواتك.
قالت: أنا وأخواتي لا نفخر.. بل نحن نفرح بالله الذي شرفنا هذا الشرف.. ألا تعلم بأن الله تعالى ذكرنا في القرآن الكريم بصيغة التنكير 33 مرة، وذكرنا بصيغة التعريف 16 مرة؟
قلت: فأنتن تفخرن بذلك.
قالت: دعك من الفخر.. فهو يحمل رائحة من روائح إبليس.
قلت: كيف؟
قالت: الفخر يدل على الترفع والتكبر على خلق الله.. ونحن لا نحتقر شيئا مما خلق الله.. فإن الله ما احتقره حين خلقه.. ألا ترانا نغسل النجاسات، ونطهر الأرض من الفضلات..ولم نتكبر ولم

نستعل ولم نعترض؟.. بل نحن نقوم بكل ذلك بلذة لا تضاهيها لذة.
قلت: فما منتهى لذتكم؟
قالت: أن يجعلنا الله شرابا لأهل الجنة.. ألم تسمع قوله تعالى: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (الأعراف: 50)، فقد جعلنا الله للمؤمنين وحرمنا على الكافرين.
قلت: ذلك في الآخرة.. ففي الدنيا.. بم تلتذون؟
قالت: بأن يجعلنا الله دواء للمؤمنين، أو أعاصير على الجاحدين..
قلت: أأنتم جنود من جنود الله؟
قالت: أجل.. ألم تسمع قوله تعالى: كذبت قبلهم قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فدعا ربه أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (القمر:9 ـ 13)

الماء والإنسان:

قلت: حدثينا عن الماء والإنسان.. فأنا أبحث عن أسرار بركات الماء على الإنسان.
قال: بركات الماء على الإنسان لا تحصى.. فهو ضرورة من ضرورات الحياة الأرضية، فبدونه لا يمكن لإنسان أن يعيش، فجنين الإنسان يحتوي على97بالمائة من وزنه ماء، وتقل هذه النسبة إلي 91بالمائة في جسد الطفل الوليد، ثم إلي66بالمائة في جسد الفرد البالغ.
وتختلف نسبة الماء في كل عضو من أعضاء جسد الإنسان باختلاف وظيفته، فهي في الرئتين90بالمائة، وفي الدم82بالمائة، وفي خلايا الدماغ70بالمائة.
زيادة على هذا.. فإن الإنسان يمكنه العيش أسابيع عديدة بدون طعام، ولكنه لا يستطيع العيش بدون ماء إلا لفترة محدودة جدا لا تتجاوز بضعة أيام....!!
قلت: لم؟
قالت: لأن الماء يعين الإنسان علي القيام بجميع العمليات الحياتية في جسمه مثل عمليات الهضم، والتخلص من الفضلات، والتنفس، وتجديد الدم.. وليس الأمر قاصرا على ذلك.
قلت: ماذا تقصدين؟
قالت: لنا علاقة بكل ما يحيط بالإنسان من أشياء.. فنحن

نخدم ظاهره وباطنه.
قلت: وضحي ما تقصدين.
قالت: ألا تعلم أن درجة غليان الماء مرتفعة، وذلك لقوة رابطته التشاركية، لذلك فهو يمتص قدرة حرارية كبيرة لكي يتبخر، وهذه الخاصية تعطي الماء دوراً فريداً في نقل القدرة من مكان لآخر، فالماء الذي يتبخر من المحيطات تسوقه الرياح مئات وآلاف الكيلومترات إلى أماكن باردة، فعند تبرد البخار وتحببه وتساقطه على شكل قطرات مطر ينشر معه الطاقة التي امتصها أثناء تبخره، فيساهم في رفع درجة الحرارة في تلك المناطق وتلطيف حرارة الجو وكذلك في أثناء تساقط الثلوج فكم هذه الحرارة المنتشرة كبيرة إذا علمنا أنه يتبخر كل عام 520 ألف كيلوا متر مكعب من الماء.
قلت: بلى.. قد أشار القرآن الكريم إلى هذا، فقال تعالى في غزوة بدر:﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾(لأنفال:11)
قالت: لقد كان يوما مباركا ذلك اليوم.. لقد كنا ننزل من السماء وكأننا نرقص فرحا وجذلا.
قلت: أكنت من بينهم؟
قالت: أجل.. فقد شرفني الله في أن أخدم رسوله.
قلت: وهل تعرفينه؟
قالت: وكيف لا نعرفه.. وهل لنا لذة إلا معرفة أهل الله.. لقد كان ﷺ يحترمنا احتراما عظيما.. وقد نقل لنا بعض الصحابة صورة من هذا الاحترام فقال:(أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى)[1]
قلت: أتملكين كل هذه المشاعر؟
قالت: ألم تعلم أنا نشكل الدموع التي تبكي بها السماء على فراق الصالحين.. ألم تسمع قوله تعالى:﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان:29)؟
قلت: الآية أخبرت بأن السماء لا تبكي.
قالت: لا تفصل الآية عن سياقها.. هي أخبرت بأنا لا نبكي على المعارضين لله.. وهي تشير إلى بكائنا على المسالمين

1) مسلم وغيره.

المستسلمين.
قلت: فهل تشرفت برؤيته ﷺ ؟
قالت: بل تشرفت بشربه لي.. لقد كانت أسعد أيام حياتي.

شراب العسل:

قلت: فحدثيني عنه.

قالت: لقد كـان أول مـا يفعلـه رسـول اللـه ﷺ إذا اسـتيقظ، وبعد فراغه من الصلاة يتناول كوباً من الماء مـذاباً فيـه ملعقـة من العسل.. وهو يـذيبها إذابـه جيـدة.. وقـد كـانوا يسـمون هـذا المـاء شراب العسل، وقد قال فيه ﷺ:(عليكم بشراب العسل)(1)

قلت: ففي ذلـك الحين بم كـان ﷺ يتغـذى وينتفـع.. هـل بكن معشر قطرات المياه، أم بالعسل الذي جعله الله شفاء للناس؟

قال: كلانـا مبـارك.. وقـد جعـل اللـه من بركتنـا أننـا نكتسـب خواص المادة التي تذوب فينا.

قلت: ماذا تعنين؟

قالت: نحن ـ جزيئات الماء ـ نترتب حسب جزيئات العسل.

قلت: فماذا تصرن حينها؟

قالت: تستطيع أن تسمينا عسلا.. وإن شئت شراب عسل.

قلت: كيف.. فالعسل عسل، وهو غـالي الثمن.. والمـاء مـاء، وهو بلا ثمن.

قالت: من بركاتنا أننا إذا اختلطنـا بالعسـل أو بـأي شـئ ذاب فينا وذبنا فيه، ففنينـا عنـا بـه.. وهـذا لتواضـعنا وعبوديتنـا، فنحن لا نفرض خصائصنا على غيرنا، بل نترك غيرنا يفرض خصائصه علينا.. ألم تسمع ما يفعله المعالجون بالماء؟

قلت: وما يفعلون؟

قالت: هم يأتون بالماء ويكسبونه أي شيء يريدونـه من أنـوع العلاج.. ويسمون هذه العملية (العلاج بالماء)

قلت: أنا لم أسمع بهـذا.. ولكـني أسـمع مـا يسـمى (تلـويث الماء)

قالت: ذلك فعل الفجرة الفسـقة.. وسـينتقم اللـه تعـالى لنـا منهم.

قلت: لقد عرفت ذلك في حصون العافية، وعرفت ما أصــابنا من جراء صراعهم وحرصهم.

قـالت: لا تخـف على الأرض، وبشـر أصـدقاء المـاء بـأن أيـام

1) ابن السني وأبو نعيم في الطب.

الدجاجلة قريبة.

قلت: عودي بنا إلى من تزينت الأرض بنوره.

الماء العذب:

قالت: لقد كان ﷺ يحب الماء العذب.. فقد وري أن رسول الله ﷺ كان يُستقى له الماءُ العذبُ من بئر السُّقيا(1).

وروى جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه، فقال:(إن كان عندكم ماء بات في شنَ وإلا كرعنا)(2)

قلت: ولكن بعض الزهاد من قومي يعز عليهم مثل هذا.

قالت: وما يقولون؟

قلت: هم يقولون:(إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت)

قالت: لا ينبغي أن يقولوا هذا.. فالله تعالى سقاكم ماء عذبا، ولم يسقكم ماء مكدرا.. ألم تسمع قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾(المرسلات: 27)؟

قلت: بلى.. فالماء الفرات هو الماء العذب الزلال.

قالت: وقد كان رسول الله ﷺ يحبه، وقد ورد في الحديث:(كان أحب الشراب إليه ﷺ الحلو البارد)(3)

وكان يقول إذا شربه:(الحمد للّه الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا)(4)

قلت: هذا طيب.. ولكنهم يؤولون كل ذلك.

قالت: بل يحرفون.. ألم يسمعوا المخاطر التي يحملها شربهم من الماء المكدر؟

قلت: تقصد ما يقول الطب الحديث.

قالت: ما بالكم.. أليس في الدنيا إلا الطب الحديث.. وهل كان الناس قبله بلا طب؟

قلت: فما يقول الطب في هذا؟

قالت: لقد ذكر ابن الجوزي ما يفعله هؤلاء منكرا، فقال:(وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يُولِّدُ الحصى في الكُلى والسَّدد في الكبد، وأما الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة، ويقوي الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود

---

1) أحمد وأبو داود والحاكم.
2) البخاري.
3) الترمذي.
4) ابن أبي حاتم.

البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة، وإذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سُخِّن بالشمس خيف منه البرص)

قلت: كيف غاب عن هؤلاء ما ذكره ابن الجوزي؟

قالت: ستعرف ذلك إلى إذا رحلت إلى:(سراديب الاعتراض)

قلت: والآن..

قالت: لقد تصوروا أن من الكمال تعذيب الجسد ومعاقبته، فراحوا يخترعون أصناف العذاب.. ولم يعلموا أنهم يضيعوون سنة رسول الله ﷺ بذلك.

قلت: أشرب الماء العذب سنة رسول الله ﷺ ؟

قال: أجل.. فقد كان هديه ﷺ أكمل الهدي.. وكان يهتم بعذوبته أبلغ اهتمام، وقد روي أنه دخل إلى حائط، فقال:(هَلْ من ماءٍ بات فى شَنَّة؟)، فأتاه به، فشرب منه(1).

قلت: ما سر حبه ﷺ للماء البائت؟

قالت: لقد ذكر لذلك حكم كثيرة، وقد ذكر الأطباء أن الماء البائت أنفعَ من الذى يُشرب وقتَ استقائه.

وذكروا أن الماء البائت بمنزلة العجين الخمير، والذى شُرِب لوقته بمنزلة الفطير.. وأن الأجزاء الترابية والأرضية تُفارقه إذا بات.

وستعرفون من حكم هذا الماء ما يزيدكم تمسكا بهديه ﷺ.

قلت: أكان ﷺ يختار الأواني التي يشرب فيها؟

قالت: أجل.. فلم يكن ﷺ يفعل ما تفعلون من شرب الماء المخزن في الأواني التي تملؤه صديدا وسموما.

قلت: فكيف كان يخزنه ﷺ ؟

قالت: لقد كان ﷺ يلتَمسَ ماءً بات فى شَنَّة دون غيرها من الأوانى.

قلت: لم؟

قالت: قد ذكر الأطباء أن لِقِرب الأدم خاصةٌ لطيفةٌ لما فيها من المسامِّ المنفتحةِ التى يرشَح منها الماء، ولهذا كان الماء فى الفَخَّار الذى يرشح ألَذُّ منه، وأبردُ فى الذى لا يرشَح.

هيئة الشرب:

قلت: فكيف كان ﷺ يشربكن معشر المياه؟

قالت: كان هديه ﷺ في شربنا أعظم الهدي، وأعظمه

---

1) البخارى.

عبودية، وأكثره بركة.

قلت: فكيف كان يفعل؟

قالت: كان رسول الله ﷺ يتنفس فى الشراب ثلاثـا، ويقـول: (إنه أروى وأمرأ وأبرأ)(1)

قلت: أصحيح ما تروين؟.. كيف تقـولين هـذا، وقـد ورد النهي عن النفخ في الشارب، وقد قال ﷺ:(إذا شرب أحـدكم فلا يتنفس فى القـدح، ولكن ليبن الإنـاء عن فيـه)، وقـد رأيت في حصـون العافية الآثار الخطيرة للتنفس في الإناء.

قـالت: بـورك في حرصـك.. ولكـني لم أرد هـذا.. إن معـنى تنفسه ﷺ فى الشراب ـ كما في الحـديث ـ هـو إبانتـه القـدح عن فيه، وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب، كما جاء مصرحا به فى الحديث الذي رويته.. فلا تضرب السنة بعضها ببعض.

وقد ورد في الحديث الآخر قوله ﷺ:(لا تشـربوا نفسـا واحـدا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثـنى وثلاث، وسـموا إذا أنتم شـربتم واحمدوا إذا أنتم فرغتم)(2)

قلت: ما سر هذا الأسلوب من الشرب؟.. أليس فيه نوعا من استهلاك الوقت؟

قالت: بل فيه حفظ للصحة وجلب للبركة وتحقيـق للعبوديـة، وقد كان ﷺ ينبـه إلى هـذه المجـامع، فيقـول في تلـك الصـفة من شرابه:(إنه أروى وأمرأ وأبرأ)

قلت: ما معنى هذا؟

قالت: أروى: أشد ريا، وأبلغه وأنفعه، وأبرأ: أفعـل من الـبرء، وهو الشفاء، وأمرأ: هو أفعل من مرئ الطعام والشراب فى بدنه: إذا دخله، وخالطه بسهولة ولذة ونفع، كما قال تعالى:﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ (النسـاء: 4)أي هنيئـاً فى عاقبتـه، مريئـاً فى مذاقـه، أو أنـه أسرعُ انحداراً عن المَـرِىء لسـهولته وخفتـه عليـه، بخلاف الكثـير، فإنه لا يسهُل على المرىء انحدارُه.

قلت: علمت معناه، فما سر الصحة فيه، فقد ذكر ﷺ أنه أبرأ.

قالت: إن شرب الماء بتلك الصفة يـبرىء من شـدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات، فتسـكن الدفعـة الثانيـة ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه.

زيادة على ذلك فإنه أسلم لحـرارة المعـدة، وأبقى عليهـا من

---

1) مسلم.
2) الترمذي.

أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة، ونهلة واحدة.

قلت: فهمت هذا ووعيته.

قالت: ليس ذلك فقط.. بل كان ﷺ يمص الماء مصا، ولا يعبه عبا، ويقول:(إذا شرب أحـدكم فليمص المـاء مصـا، ولا يعب عبـا، فإنه من الكباد)(1)

قلت: ما الكباد؟

قالت: الكُبَاد هو وجع الكبد، وقد علم المجربون أنَّ ورود الماء جملةً واحدة على الكبد يؤلمهـا ويُضـعفُ حرارتَهـا، وذلـك للمضـادةُ التى بين حرارتها، وبين ما ورد عليهـا من كيفيـة المـبرود وكميتـه.. ولـو ورد بالتـدريج شـيئاً فشـيئاً، لم يضـاد حرارتَهـا، ولم يُضـعفْها.. أتدري ما مثال ذلك؟

قلت: ما مثال ذلك؟

قالت: لو صببت الماء البارد على القِدْر تراها تفور، بخلاف مـا لو صببته قليلا، فإنه لا يضرُّها.

قلت: ولكني لست قدرا.

قـالت: أنسـيت قولـه تعـالى: خَلَـقَ الْأِنْسَـانَ مِنْ صَلْصَـالٍ كَالْفَخَّارِ (الرحمن:14)؟

الماء والذكر:

قلت: فهمت هـذا ووعيتـه، فحـدثيني عن مـوقفكن معشـر قطرات الماء إذا سمعتن الشارب، وهو يذكر الله؟

قالت: الذكر سر من أسرار بركتنا.. ألم تسـمع قولـه ﷺ:(إن الله تعالى ليرضـى عن العبـد أن يأكـل الأكلـة أو يشـرب الشـربة، فيحمد الله عليها)(2)، فرضى الله هو سر ما يحصل فينا من بركة.

قلت: فهل تسمعن صوت الذاكر؟

قالت: وكيف لا نسمعه؟.. لقـد كـان ﷺ إذا شـرب تنفس في الإناء ثلاثا يسمي عند كل نفس، ويشكر في آخرهن(3).

وكان رسول اللّه ﷺ إذا أَكَلَ أو شَـرِبَ قـال:(الحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذي أطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً)(4)

قلت: أفلم يكن ﷺ يكتفي بتسمية واحدة؟

قالت: روي الأمران.. فقد كان ﷺ ييسر على أمته.

---

1) عبد الله بن المبارك، والبَيْهَقيُّ، وغيرُهما.
2) مسلم.
3) ابن السني، والطبراني في الكبير، وروى ابن السني أنه ﷺ كـان يشـرب بثلاثـة أنفاس يسمي الله في أوله، ويحمد الله في آخره.
4) أبو داود والنسائي.

قلت: ماذا يحصل لكن حين تسمعن ذكر الله؟

قالت: لو رأيتنا كذلك لصعقت لجمالنا.. فنحن في ذلـك الحين نتحول إلى حلقة ذكر مباركة تردد بصداها ذكر الذاكرين.

قلت: وهل تدخلن الجوف بتلك الصفة؟

قـالت: أجـل.. ونصـير حينهـا من الـدواء المبـارك الـذي يملأ الجسم عافية، والنفس سكينة، والصدر انشراحا.

قلت: والجسد.. كيف يستقبلكن؟

قالت: كما استقبل الأنصار المهاجرين.. يحتضننا، فنتفـرق في أجزائه لنمتلئ به، ويمتلئ بنا.

قلت: بورك فيك أيتها اللآلئ العذبة.. فهل تأذنين لي بـالرجوع إلى نفسي.. فقد عرفت فيك كل النبل والبركة والخير؟

قـالت: لن تنصـرف قبـل أن تعـرف أسـرار بعض مـا نكتبـه بروابطنا.

قلت: تقصدين قوله تعالى: ﴿ هَذَا مُغْتَسَـلٌ بَـارِدٌ وَشَـرَابٌ﴾(صّ: 42)؟

قالت: أجل..

قلت: فهل ستفسرين لي هذه الآية.. وتذكرين لي قصة أيوب ؟

قالت: ما أولعكم بالقصص.. هذه حقيقة، وليس قصة.

قلت: ألم يكن الأمر خاصا بأيوب ؟

قالت: لو كان الأمر خاصا به لما ذكر في القرآن الكريم.. بـل هو هدي لتنفتعوا به.

قلت: فهل وصلنا ـ نحن البشر ـ إلى أسرار هذه الآية؟

قالت: أنتم أضعف من أن تصلوا.

قلت: فكيف تزعمين أنك ستعلميني أسرارها؟

قالت: لم أعدك بتعليمـك أسـرارها.. ولكن من أسـرارها.. ألا تعرف أن من تفيد البعضية؟

قلت: بلى.. وأرى لك اهتماما باللغة.

قالت: هل رأيت ذلك؟

قلت: أجل.. فما سره؟

قالت: لقد من الله علي.. فشـربني أبـو الأسـود والخليـل بن أحمد وغيرهما، فسرى لي من بركاتهما ما تراه من علم اللغة.

قلت: فهـل سـتحدثيني أنت عن أسـرار العلاج في الاغتسـال والشراب.

قالت: لا.. لست مختصة في هذا.. ألم يقل ﷺ:(أنزلوا الناس منازلهم)(1)؟

قلت: فمن سيحدثني؟

قالت: لي صاحبتان.. أما إحداهما، فتحدثك عن المغتسل المبارك، وأما الأخرى فتحدثك عن الشراب المبارك.

قلت: فمن تبدأ؟

قالت: نبدأ بما بدأ الله به(2).

المغتسل المبارك

سمعت صوتا عذبا يسلم علي، فقلت: أأنت اللؤلؤة المختصة بالمغتسل المبارك؟

قالت: أجل.. وقد دعاني حبي لكلام ربي أن أبحث عن سر البركات في الاغتسال.

قلت: فماذا وجدت؟

قالت: علوما كثيرة.. منها ما تطيقه.. ومنها ما لا تطيقه.

قلت: فخبريني بما أطيقه.. ويسري لي ما لا أطيقه.

قالت: أول ما يمكن أن تنتفع به من بركات الاغتسال بي الطهارة.. فالطهارة هي التي تعيدك إلى فطرتك الأصلية.. وتعيد لجسمك قوته ونضارته.

قلت: عرفت ذلك في حصون العافية، ولهذا قرن الله الطهارة بالعبادات، وحض عليها..

قالت: بل اعتبرها عبادة مقصودة لذاتها.. أليس الوضوء سلاح المؤمن؟.. فهو يتوضأ للصلاة، ولغير الصلاة.

قلت: أجل.. فما الفائدة الصحية لذلك؟

قالت: تخليص جسمك من السموم التي تتراكم عليه.. وإعطاؤه القوة التي يحتاجها ليؤدي ما كلفه الله من وظائف.

قلت: عرفت هذا في حصون العافية.. فحدثيني عن جديد ينفعني.

قالت: أتسمع بالحمامات المائية؟

قلت: معاذ الله.. ماذا تقولين؟.. أتذكرين الحمام؟.. إنه مأوى الشياطين.. وعش المردة.. وخصوصا لهن معشر النساء.

قالت: من قال ذلك؟

قلت: لقد وردت النصوص بالنهي عن دخول الحمامات

---

1) مسلم وأبو داود.

2) إشارة إلى قوله ﷺ:« أبدأ بما بدأ الله به » والحديث رواه مسلم.

العامة.
قالت: لم؟
قلت: لقد عللت ذلك بحفظ العـورات وسـترها، ألم تسـمعي قوله ﷺ:(تفتح لكم أرض الأعاجم، وستجدون فيها بيوتـا يقـال لهـا الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار، وامنعوا النساء أن يدخلنها إلا مريضة أو نفساء)(1)
قالت: فقد أقر ﷺ بالفوائد العلاجية التي يحملها الحمام.
قلت: كيف ذلك؟
قالت: ألم يأذن بدخول الحمام للمريضة؟
قلت: بلى..
قالت: فلو لم يكن فيه فائدة صحية ما أذن لها ﷺ.
قلت: ولكن النهي قـد ورد مطلقـا في بعض الأحـاديث، فقـد جاء في الحديث قوله ﷺ:(من كـان يـؤمن باللـه واليـوم الآخـر فلا يدخل الحمـام بغـير إزار، ومن كـان يـؤمن باللـه واليـوم الآخـر فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخــر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر)(2)
قـالت: ومن قـال لـك: إن هـذه الأحـاديث تنهى عن دخـول الحمام؟
قلت: ألفاظها تدل على ذلك.
قالت: ألفاظها تـدل على الأمـر بالاسـتتار، لا على النهي على دخول الحمام.
قلت: كيف ذلك؟
قالت: أرأيت لو قلت لك: لا تسر إلا وأنت تلبس حذاءك.. هل أكون بذلك قد نهيتك عن السير؟
قلت: لا.. بل عن السير حافيا.
قالت: فهذا سر نهيه ﷺ عن دخول الحمام.. وهو نهي يتضمن أمرا.. ألا تعرف الأصول؟
قلت: بلى.. ولكن ماذا تريدين أن تقولي؟
قالت: إن إخباره ﷺ عن وجـود الحمامـات في بلاد العجم، ثم إخباره عن صفة الداخلين فيها، ثم نهيه عن الدخول إلا بعد الاستتار يتضمن البديل الشرعي لتلك الحمامات الأعجمية.
قلت: فهمت ذلك.. ولكن ألم تسمعي قولـه ﷺ:(شـر الـبيت

---
1) ابن ماجه.
2) الحاكم، والترمذي، وقال: حسن غريب.

الحمام، تعلو فيه الأصوات وتكشف فيه العورات، فمن دخله فلا يدخل إلا مستترا)(1) ؟

قالت: فهذا حديث ينهى عن رفع الأصوات، وكشف العورات، لا عن دخول الحمامات.

قلت:....!؟

قال: لا عليك.. فالحمامات التي أقصدها لا علاقة لها بهذا.. وهي يمكن أن تجرى في البيوت.. ولا تحتاج المرأة ولا الرجل إلى الخروج.

قلت: فهي حمامات مباركة إذن.

قالت: كل الحمامات مباركة.. ولكنكم أنتم الذين تمحقون البركة بما تسلكونه من سلوك.

قلت: فحدثيني عن هذه الحمامات البيتية ومنافعها.

قال: هناك حمامات مائية تعتمد على الخواص التي جعلها الله في الماء، والتي هي سر بركته.

قلت: خواص الماء كثيرة.. فماذا تقصدين؟

قالت: خاصية التسخير والذوبان والتشكل.. ألم تعرف من صواحبي أن الماء يتشكل بحسب ما يوضع فيه.

قلت: أجل.. وهو ما يعتمد عليه المعالجون بالماء.

قالت: والحمامات المائية نوع من هذا العلاج.

قلت: فما الأغراض الصحية التي يقصدونها من هذه الحمامات؟

قالت: أغراض كثيرة، فبحسب ما تضع في الماء من العناصر والمركبات يعطيك.. فقد يعطيك صحة أو جمالا أو انتعاشا بالإضافة إلى ما يعطيك من الطهارة.

قلت: فهل يستخدم الماء حارا أو باردا؟

قال: بحسب الحاجة.

قلت: ولكن الله تعالى قال لأيوب ﵇:﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾(صّ:42)

قال: لقد احتاجت علة أيوب ﵇ لهذا الحمام البارد، كما احتاج ﷺ فى مرضه أن يُصَبَّ عليه من سبعِ قِرَبٍ من هذا الماء البارد.

قالت: فما حرارة الماء المستخدم في هذه الحمامات؟

قالت: يستخدم في حمامات الأعشاب الماء الساخن، أو

1) الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

الدافىء، أو البارد، أوالمثلج، لكنه يفضل أن تعتمد أغلب الحمامات على درجة حرارة مرتفعة للماء لزيادة الانتفاع بفوائدها.

قلت: فاذكري لي بعض هذه المستحضرات لأنتفع بـه، ولأعلم مدى صدقك في دعواك.

قالت: فلنبدأ بحمام الشاي، فإني أعلم مدى حبك له.

قلت: أيمكن أن أغتسل بالشاي؟

قالت: أجـل.. ولـه فوائـد صـحية عظيمـة، فهـو يقـوم بتلـيين وتجميل أنسـجة الجلـد، وتنشـيط الـدورة الدموية، وزيـادة حيويـة الجسم، وتلطيفـه وإزالـة تـوتر العضـلات، وتسـكين الآلام، وتقويـة العظام، وتليين المفاصـل، وتخفيـف الآلام الروماتيزميـة، وتخفيض حرارة الجسـم المرتفعـة، وتهدئـة الأعصـاب، وهـو يعمـل كمطّهـر للجسم، فينظف الجلد ويزيل الرواسب عنه.

وبالإضــافة إلى هــذا كلــه يســاعد على الشــفاء من بعض الأمراض، ويقوي الجسم بصورة عامة.

قلت: بورك فيك.. فهل هناك حمام غيره؟

قالت: هل تعرف المريمية؟

قلت: كيف لا أعرفها.. إنها من الأعشاب المباركة، وقد قرأت من فوائدها أنها تقوي الذاكرة الضـعيفة وتعيـدها في وقت قصـير، بالإضافة إلى فوائد أخرى كثيرة.

قالت: سر ذلك يرجع إلى ما وهبها الله من قوة وقف العفونة في الجسم، والتي هي سبب الكثير من العلل.

قلت: فـإذا مـا ختلطت بكن، واسـتخدمت حمامـا، مـا هـو تأثيرها؟

قالت: هي نافعة ـ بإذن الله ـ ظاهرا وباطنا.

قلت: ماذا تفعل بالضبط؟

قالت: الاستحمام بها يكون على مرحلتين، أما الحمـام الأول، فيعمل على تخليص الجسم من السموم والرواسب الضارة.

أما الحمام الثاني، فيقوم بتنشيط الجسم، وإعادة الحيوية إليه بعد تنظيف مسامه وخروج الرواسب منها.

قلت: فهـذه فوائـد عظيمـة.. وبـورك فيـك.. كمـا بـورك في المريمية.. فصفي لي وصفة أخرى.

قالت: هل تعرف البابونج؟

قلت: كيف لا أعرفه، وهـو من الأعشـاب المباركـة المملـوءة عافية وصحة.. فهو يعمل على شـفاء الالتهابـات.. بـل يعمـل نفس

عمل المضادات الحيوية في شفاء الالتهابات، فـإذا مـا غلي شـيء منه واستنشقه الشخص، اسـتطاع أن يزيـل الالتهـاب من تجاويفـه الأنفية والجبهية بسرعة، وأن يقضي على جميع الجراثيم الموجودة خلال مدة قصيرة.

وهو يساعد على رفع التشنجات الحاصلة في المعدة، وسـائر أقسـام الجهـاز الهضـمي، ويزيـل المغص من المعـدة والأمعـاء والمـرارة أحيانـا، وهـو يسـاعد على شـفاء الجـراح غـير الملتئمـة بسرعة، وعلى الأخص في تلـك الأمـاكن من الجسـم الـتي تعسـر معالجة الجراح فيها، كالقسم الأسفل من السـاق، فيمكن معالجـة الجراح بكمـادات البـابونج أو المـراهم المركبـة منـه، فتنـدمل بعـد وقت قصير.. كما أنه يعمل على شفاء التقرحات المعدية.

قـالت: وزيـادة على ذلـك فـإن أبخـرة البـابونج تسـتخدم في معالجة النزلات الصدرية والرشوحات الرئوية.

قلت: كيف تكون هذه الأبخرة؟

قالت: بسيطة جدا.. ليس عليـك سـوى أن تسـخن المـاء في قدر، ثم تلقى فيه شـيئا من البـابونج، ثم تغطى رأسـك مـع القـدر بقطعة كبيرة من القماش، وتبدأ في استنشاق بخـار البـابونج مـدة ربع ساعة على الأقل، فيقـوم البـابونج بقتـل هـذه الجـراثيم ورفـع الالتهابات.

قلت: ما شاء الله.. لقد وصفت لي وصفة نافعة مباركة.

قالت: لقد اتحدت مع البابونج للقيام بهذا العلاج المبارك.

قلت: فحدثيني عن حمام البابونج.

قالت: هذا الحمام من الحمامـات المقويّـة للغايـة والمُكسـبة للنشاط والحيوية، كما أن له فائدة خاصة في القضـاء على نـزلات البرد في بدايتها.

كمـا أنـه يليّن ويُجمِّل الجلـد، ويهـدىء الأعصـاب، ويزيـل التقلصات، ويبعث على الاسترخاء.

قلت: بورك فيك.. فهل هناك حمامات أخرى؟

قـالت: كثـيرة هي هـذه الحمامـات، فمنهـا حمـام الأعشـاب البحرية، فهي تحمـل فوائـد عظيمـة للجسـم، فعلاوة على تأثيرهـا الجمالي من خلال إضافتها لماء الحمام، فهي تغذي الجلد وتكسـبه نعومة وجمالاً، كما أنها تحتوي على مـواد مضـادة للرومـاتيزم على وجه الخصوص.

ولهـذا نجـد أن الإصـابة بـالروماتيزم تكـاد تنعـدم بين أفـراد

الشعب الياباني، نظراً لإقبـالهم على تنـاول الأعشـاب والمـأكولات البحرية ضمن غذائهم اليومي.

ومنها حمـام خـل التفـاح، فـإذا أضـيف لمـاء الحمـام حـوالي ملعقتين كبيرتين منه يبعث النشاط في الجسم، ويزيـد من مناعتـه للمـرض، ويخلص الجلـد من الرواسـب والسـموم، ويُجمّلـه بوجـه عام.

ومنها حمامات أخرى كثيرة ملأها الله بالبركة.

قلت: فكيف أستفيد من بركاتها؟

قالت: لا تنس أن تذكر الله.. فلا بركـة بلا ذكـر.. ولا صـحة بلا إيمان.

قلت: فعـودي بي إلى الحـديث عن المغتسـل البـارد الـذي وصفه الله تعالى لأيوب ﵇.

قالت: وقد وصفه رسول الله ﷺ للحمى في أحـاديث كثـيرة، فقد قال ﷺ: (الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء)(1)

قلت: فما في هذه الحديث من الفوائد الصحية؟

قالت: الحمى هي كل ارتفاع لحرارة الجسم، فمن المعروف أن في الجسم مركزاً لتنظيم الحرارة في منطقـة بالـدماغ تعـرف بتحت المهاد، وهي تستشعر حرارة الـدم، فـإذا ارتفعت قليلاً زادت في إفراز العـرق من الجلـد ليتم خـروج الحـرارة من الجسـم إلى الجو المحيط.. ولكن إذا كانت حرارة الجو فـوق الأربعين فلا يمكن لحرارة الجسم أن تخرج إلى الهواء المحيـط، ولا بـد من اسـتخدام الماء البارد والمثلج.

ورغم أن للحمى أسباباً كثيرة إلا أنها في النهاية تكون بسـبب مواد رافعة للحرارة تؤثر على منطقة تحت المهاد وتحدث الرعشة وتقلص العضلات فتزيد من ارتفـاع الحـرارة.. ومن أشـهر أسـبابها ضـربة الشـمس والـبرداء أو الملاريـا والأنفلـونزا ونـولات الـبرد والحمى التيفية والمالطية وغيرها.

والمعالجـة بالكمـادات البـاردة والمـاء المثلج نـوع هـام من العلاج للأعراض ذاتها، وإذا كانت الأدوية النوعية المضادة للحميـات الانتانية لم تكتشف إلا في القرن التاسع عشر، وكـذلك مخفضـات الحرارة كالأسبرين والكينين فقـد كـان اسـتعمال المـاء البـارد هـو الواسـطة العلاجيـة الأولى، وإذا كـان النـبي ﷺ قـد نبـه إلى هـذه الواسطة العلاجية الهامة فالإعجاز في دعوته تلك، أن تبريد الحمى

---

1) البخاري ومسلم.

بالماء ما يزال العلاج العرضي الأمثل، والذي يشرك حالياً مع الأدوية النوعية.

الشراب المبارك

سمعت صوتا عذبا من لؤلؤة أخرى تقول: أما أنا، فإني اللؤلؤة المختصة بالشراب المبارك؟

قلت: لقد عرفت بركاتك في تغذية الجسم.. فهل تعلميني من بركاتك في العلاج؟

قالت: أجل.. ولكنكم تقصرون.

قلت: فيم؟

قالت: أنتم تبالغون في العلاج بالسموم التي تصنعونها، وتغفلون عني.

قلت: لم؟.. فأنت أرخص ثمنا.

قالت: زهدتم في لرخص ثمني، فرحتم تبيعونني بالسموم.

قلت: فكيف يعرف البشر قيمتك؟

قالت: لو حبست عنهم.. ثم وضعت في قارورات، واشتروني بوزني ذهبا.. حينذاك سيتحدثون عن منافعي.

قلت: لم؟

قالت: لأن المستضعفين المساكين تبع لأرباب الأموال.. وهم لا يصفون إلا ما يملأ جيوبهم.

قلت: ولكنك شراب.. ويكفيك ذلك.. فكيف تطلبين أن تصيري دواء..

قالت: لأني دواء.. ولو بحثتم في أسراري وكيفية استعمالي علاجا لوجدتم الكثير.

قلت: فهل هناك من بحث في ذلك؟

قالت: كثيرون هم.. وهم لما يروا بعد الكثير من فوائدي.

قلت: فماذا وجدوا؟

قالت: وجدوا أشياء كثيرة، وسأقتصر على وصفة منها.

قلت: فاذكريها لأنتفع بها.

قالت: لقد قام الاتحاد الياباني للأمراض بتجربة للعلاج بالماء، وقد بلغت نتائج نجاحها 100بالمائة بالنسبة لعلاج كثير من الأمراض القديمة والعصرية.

قلت: فما هي الوصفة؟

قالت: استيقظ مبكراً صباح كل يوم وتناول 4كؤوس ماء سعة كل واحد منهما 160مل على معدة فارغة، ولا تتناول أي نوع

من الطعام أو السوائل قبل مضى 45 دقيقة على شرب ماء.
ثم تناول فطورا عاديا بعد مضي 45 دقيقة.
ثم لا تتناول أي طعام أو شراب خلال الساعتين التاليتين لكل من وجبة الفطور والغذاء والعشاء.
وبعد العشاء لا تتناول شيئاً لا سيما عند حلول وقت النوم.
قلت: فهل أستمر على ذلك طول حياتي؟.. إن ذلك لشاق.
قالت: لا.. تحتاج ككل علاج إلى مدة قصيرة تختلـف بـاختلاف المرض، فارتفاع ضغط الدم يحتاج 30 يومـاً، ومثلـه داء السـكري، والسرطان 6 أشهر، ومشاكل المعدة 10أيام، والإمساك 10أيـام، والسل 3 أشهر.
أما الذين يشـكون من التهـاب المفاصـل، فعليهم أن يكـرروا هذه التجربة 3 مرات يوميـاً في الأسـبوع الأول، ثم يخفضـونها إلى مرة واحدة في الصباح.
قلت: فما الأمراض التي يمكن علاجها بهذه الوصفة؟
قالت: منها الصداع، وضغط الدم، وفقر الدم، وداء المفاصل، والشـلل وسـرعة خفقـان القلب، والصـرع، والسـمنة، والسـعال، والتهاب القصـبة الهوائيـة والربـو، والسـل، والتهـاب السـحايا، وأي مـرض آخـر يتصـل بالمسـالك البوليـة والكبـد، وفـرط الحموضـة، والتهاب غشـاء المعـدة والإمسـاك والبواسـير وداء السـكري، وأي مرض آخر يتصل بالعين والأنف والحنجرة.. وغيرها كثير.
قلت: فبم تفسرين هذا الدور الذي يقوم بـه المـاء في حفـظ الصحة؟
قالت: أنا لا أفسر، فإن فسرت أرجعت ذلك إلى ما أودع الله فينا معشر المياه من البركات.
قلت: أقصد تفسير قومي.
قالت: لقد نصوا على أن المـاء أساسـي في عمليـة الأيض أو الاسـتقلاب أو التمثـل الغـذائي.. ولهـذا ففي حالـة جفـاف الجسـم بسبب نقص الماء يتم سحب الماء من أجزاء مختلفـة من الجسـم ليتم سوقه إلى الأماكن الأشد طلباً للسوائل حـتى أن الأمـر يصـل إلى حد سحبه من الفراغات الواقعـة بين الخلايـا والأنسـجة الحيـة داخل الجسم حتى من الـدم وسـحب المـاء من الـدم يجعلـه أكـثر سـماكة وثخانـة - فيصـبح صـعباً ضخّه وبالتبعيـة والتعـاقب يصـير الانسان أكثر اسـتعداداً وتعرضـاً لخطـر حـدوث بعض أنـواع ضـغط الدم وكذا أمراض القلب.

قلت: فما السبب في هذا النقص الذي ينتج هذا الخطر؟

قالت: إن السبب الأكثر شيوعاً لنقص المياه بالجسم هو عدم استيفاء القدر الكـافي والمتحصـل من المـاء، وذلـك بعـدم شـرب الكفاية أو نسيان شربه أو العزوف عن شربه حـتى يحـدث الظمـأ بالفعل.

بالإضافة إلى هذا فـإن ثمـة أسـباب أخـرى منهـا وجـود بعض العلل والأمراض الأخرى مثل ذات الرئـة ونـزلات الـبرد والانفلـونزا ومــرض البــول الســكري وهــو يتســبب في نقص كبــير في مــاء الجسم.. وعلى المرضى إبداء الحذر البالغ وتحري تحصيل المقادير الكافية من الماء في الجسم.. زيادة على أن تنـاول مقـادير كبـيرة من البروتين وبشكل شاذ غـير عـادي يمكن أن يتسـبب في طـرح المزيد من الماء خـارج الجسـم بواسـطة الكلى حـتى أن معـدلات البول تكون في هذه الحالة كبيرة وبكميـات أكـبر من المعتـاد ممـا يفاقم الحالة.

ومن الأسباب الشائعة التعرق أو إفـراز العـرق وهـذا بالـذات ملحوظ مع أولئك الذين يبذلون أو يؤدّون أنشطة بدنيـة خاصـة في الطقس الحار والـرطب، لـذا فـإن القاعـدة العامـة والمثلى تقـول للجميع:(اشربوا الماء، ولو لم تكونوا عطاشى)

قلت: ولكن هناك سوائل أخرى يمكن تعويضها للماء.

قالت: تقصد المياه الغازية والشاي والقهوة..

قلت: وغيرها كثير.

قــالت: هــذه الســوائل لن تحــدث فاعليــة ـــ خاصــة مــع المشروبات المدرة للبول ـ فلا يحل محل الماء إلا الماء.. وإن كنت لا تستسيغ طعم الماء العادي فيمكنك إضـافة قطـرات من عصـير الليمون أو وضع شريحة برتقال في كوب المـاء.. إن فوائـد شـرب الماء أكثر من أن تكون مجرّد الخلاص من إحساس الظمأ..

قلت: ولكن هناك من يحتفظ جسـمه بالسـوائل، فيحتـاج إلى إدامة العطش لئلا يغرق جسمه في الطوفان.

قالت: ذلك بحسب منطقكم.. لا بحسب منطق البركات.

قلت: فما منطق البركات؟

قــالت: إن هــذا المنطــق ينص كمــا ينص علمــاءكم على أن التخلص من ارتجاع السوائل والاستسقاء يحتاج لشرب ماء أكثر.

قلت: فما سر ذلك؟

قالت: سر ذلك أن ارتجاع السوائل هذا قد حـدث في الأصـل

بسبب جفاف وندرة الماء- تراكمياً- في الجسم مما دفع الجسم لمحاولة استبقاء ما يمكنه من الماء، والذي في حالة الحصول على القدر الكافي من المياه بالشرب سيحدو بالجسم وقتئذ إلى التخلص من هذا المرتجع الضار من السوائل (والذي يأخذ شكل الأوديما أو الاستسقاء)

فالهدف في الأصل هو الحفاظ على أكبر قدر من السوائل تتدفق وتطوف خلال الجسم، وهذا يمكن تحقيقه بزيادة القدر المتناول من الماء، وفي نفس الوقت ملاحظة ما يحصل عليه الجسم من صوديوم (ملح)من الأغذية، فكثرة الملح تؤدي للاحتفاظ بالماء، فكلما زادت معدلات الصوديوم حاول الجسم ارتجاع الماء بشكل متزايد.. والسبب محاولة تخفيف درجة كثافة الملح داخل الجسم مما يؤدي إلى الاستسقاء وظهور علاماته من انتفاخ الأنسجة مثلا عند الكاحل.

قلت: تقصد أن نقص الماء يدعو الجسم إلى الظن بأنه ثمة ندرة شديدة وقحط قد حلّ به مما يجعله يلجأ لارتجاع السوائل.

قالت: أجل.. ولهذا يتعين على الذي يعاني من ذلك إلى إنقاص المتناول من الملح- في الطعام- أو زيادة المتناول من المياه بالشرب.

قلت: لقد نبهتني إلى خطر الجفاف التراكمي الذي يحل بالبدن نتيجة الظمأ الشديد، فاذكري لي مظاهره.

قالت: لقد كان الدكتور فيريدون باتمان جليدج من أكثر الأطباء اهتماما بهذا(1).. فقد كشف النقاب عن أزمة ومعاناة الجسم بسبب الجفاف التراكمي.

ومما ذكره من المخاطر المنجرة عن هذا الربو والسكري وضغط الدم المرتفع ومرض التصلب المتعدّد ومتلازمة الإعياء المزمن والتهاب المفاصل والكثير الكثير!

قلت: لا أريد كلاما عاما.. أريد تفاصيل تملؤني قناعة.

قالت: أتعرف حرقان القلب؟

قلت: أعلم أنه إحساس الألم والحرقة خلف عظم القص، وهو يرتفع ويعلو من الجوف وتجاه الحلق مع إحساس بحمض أو سائل مر في الفم، وهو عادة ما يتسبب عن ارتجاع بعض سوائل

---

1) يعتبر كتاب د. باثمان- المسمى « صيحات جسمك الكثيرة والمتزايدة طلباً للماء » هو مرجع كامل وعلاجي بالماء يشمل التصورات العلمية والمعطيات- خطوة بخطوة- في فائدة شرب الماء صحياً وعلاجياً من علل كثيرة جدا حتى علل الأطفال وإصابات الملاعب "الرياضية"

المعدة صوب وناحية المرىء.

قالت: إن هذه الحالة إشارة أو لافتة تحذير رئيسية للجسم تدل على نقص الماء في الجزء العلوي من القناة المعدية المعوية.. ولسوء الحظ فإن استعمال مضادات الحموضة والأقراص لاحتواء الألم هو وقتي ولن يصحح حالة ندرة الماء أو نقصه وبالتالي سيظل الشخص يعاني منها!

قلت: وعيت هذا.

قالت: ومثله التهاب المفاصل وخاصة الشكل الروماتويدي، فهو إشارة على نقص الماء المزمن في المفصل المتألم وهذه الحالة يمكن أن تصيب صغار السن بالإضافة للكبار وتناول مسكنات الألم لن يشفى منها بل إنه يعرض الشخص لمزيد من الضرر بسبب الأعراض الجانبية لهذه الأدوية.. إن تناول الماء بالقدر الكافي بل والزائد، وأيضاً تحصيل مقادير صغيرة من الملح البحري من الممكن أن يساعد في شفاء من هذه العلة.

قلت: وعيت هذا.

قالت: ومثل ذلك آلام أسفل الظهر وكذا تصلب- و- أو التصاق المفصل أو المفاصل في العمود الفقري)، وهو أحد أشكال التهاب المفاصل المقعدة.. فكلها علامات على نقص الماء المزمن في الفقرات والعمود الفقري فالماء - عند ذاك- بمثابة بطانة أو وسادة تدعم وزن الجسم وتخفف أو تهمد الصدمات، ولذا فالعمل على الحصول على القدر الزائد منه بانتظام للجسم من الممكن أن يكون هو العلاج الناجع وليس الاعتماد على الأدوية المسكنة التجارية!

ومثل ذلك الخناق الصدري.. فهذه الحالة- وخاصة إذا اقترنت بحرقة الفؤاد هي علامة على ندرة ماء الجسم خاصة في محور القلب- الرئة وعلاجها بزيادة القدر المتناول من الماء حتى يشعر المريض بزوال الألم وبالخلاص من تناول الأدوية الخاصة بالحالة- وطبعا هو أمر يتسم بالحكمة والتبصر أن يتم ذلك تحت إشراف الطبيب المختص.

ومثل ذلك الصداع النصفي فهو لافته تحذير بأن ثمة احتياج- من قبل المخ والعينين للماء- ويمكن الخلاص منه بالوقاية من الجفاف من أن يحل تراكمياً بالجسم.. وللعلم فإن هذه الحالة من الجفاف ربما سبّبت التهابا بالمنطقة خلف العيون، بل واحتمالية نقص أو خسارة البصر.

ومثـــل ذلـــك الربـــو الـــذي يحصـــد الملايين.. فـــالمرض من مضاعفات جفاف الجسم وعدم تميهه بالشكل الكـافي ممـا يحـدو بالجسم إلى اللجوء لميكانيزم خـاص بـه حالـة الجفـاف أو القحـط هـذه فـالممرات الهوائيـة في الرئـة تنقبض لكي تمنـع المـاء من مغادرة الجسم على شـكل بخـار.. وهكـذا فـإن تنـاول المزيـد من الماء يقي ويعالج هجمات الربو هذه.

ويمكن تشبيه ذلك نسبيا بالمادة الطينيـة اللزجـة الـتي تصـب في فجـوات أو فراغـات الأغشـية المخاطيـة لبعض الخلايـا لكي تحميها وتقيها من خسارة مخزونها من مائهـا الحيـوي أثنـاء عمليـة التناضـح- تبـادل السـوائل- بين الخلايـا والخلايـا المجـاورة- فالكوليسـترول إضـافة لـدوره في تصـنيع الهرمونـات والأغشـية المخاطية في الخلايا العصبية يوظفه الجسم أيضاً بمثابـة درع ضـد العبء الإضافي- الضريبي- والذي تفرضـه الخلايـا الحيويـة الأخـرى والذي يتعفق بتبادل الماء من خلال أغشيتها المخاطية.

الهواء

سلمت على لآلئ الماء مودعا، فصاحت في لؤلؤة منهن: إلى أين؟

قلت: إلى متوسم الغذاء..

قالت: أفلا تزور الهواء؟

قلت: ومن الهواء؟

قالت: ذلك الإكسير المبارك الذي هو أبونا، ونحن أبناؤه.

قلت: أنـا أبحث عن أسـرار البركـات، ولا أبحث عن الآبـاء والأمهات.

قالت: إن كان للبركة أب أو أم.. فالهواء أبوها أو أمها.

قلت: كيف ذلك؟ أنا لا أشعر بأن له هذا الدور الـذي تتحـدثين عنه.

قـالت: لقـد أمـر اللـه بالصـيام، فهـل يمكن أن تصـوم على الهواء؟

قلت: لو صمت عن الهواء لاختنقت.

قالت: فكيف تنكر إذن سر بركاته؟

قلت: أنا لا أنكر.. ولكني أنظر إليه كشيء عادي لا علاقـة لـه بالغذاء ولا الدواء.. وما لم تكن له علاقة بهذين لا علاقة له بالبركة.

قالت: فلذلك لن ترجع للمتوسم حتى تنال من العلم ما يمحو

عنك هذا الجهل.

قلت: فكيف أتعلم؟

قالت: كل شيء يتعلم عند أهله.

قلت: وعلم الهواء؟

قالت: عند الهواء.

قلت: كيف؟

قالت: تلطف كتلطف النسيم، فستراه.

تلطفت كتلطف النسيم، فأبصرت لآلئ مختلفة الأشكال والألوان تتوزع في الفضاء.

قلت: من أنتن.. فإني أرى اللآلئ التي يتصارع قومي من أجلها تحسدكن.

قالت إحداهن: نحن أهوية مختلفة، أما أنا، فيطلق علي الأوكسجين، وأما أخواتي، فتلك تسمونها النتروجين، والأخرى تسمونها الأرجون، والأخرى تسمونها النيون، والأخرى تسمونها الكنسيون، والأخرى تسمونها الكريبتون، والأخرى تسمونها ثاني أوكسيد الكربون، وهي متشكلة من تزاوجي مع الكربون.

وكلنا تشرفنا بذكر القرآن الكريم لنا، فقد قال تعالى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(النحل:79).. فنحن جو السماء.

شرح الصدر:

قلت: فحدثيني عن نفسك، وعن سر بركتك؟

قالت: أنا التي أشار إليها قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ (الأنعام:125)

قلت: كيف ذلك!؟.. فلا أرى اسم الأكسجين في الآية.

قالت: ومن قال لك بأن هذا اسمي؟

قلت: أسمع قومي يسمونك بهذا الاسم.

قالت: لكل قوم الحرية في أن يختاروا ما شاءوا من الأسماء، ألم تعلم بأن يوم الجمعة تسميه الملائكة يوم المزيد؟

قلت: بلى.. فما اسمك بين قومك؟

قالت: اسمي بين قومي (انشراح).. فقد جعلني الله نسيما عليلا تنشرح له الصدور، ألم تسمع ما تدل عليه الآية من فضلي؟

قلت: بلى.. وقد نص العلماء المرابطون على ثغر الإعجاز على ما في تلك الآية من إعجاز.

قالت: وما قالوا؟

قلت: لقد ذكروا أن الارتفاع في الجو لمسافة عالية يسبب ضيقاً في التنفس، وشعوراً بالاختناق، وهو يزيد كلما زاد الارتفاع، كما تنص على ذلك كلمة يصّعد ، حتى يصل الضيق إلى درجةٍ حرجةٍ وصعبة جداً.

قالت: وما الذي ذكروا من سب هذا الضيق؟

قلت: تعلمت هذا مجردا عن تفاصيله.

قالت: فاعلم بأن سر ذلك يعود إلى انخفاض نسبة وجودي في الارتفاعات العالية، فأنا أعادل 21بالمائة تقريباً من الهواء فوق سطح الأرض، بينما أنعدم نهائياَ في علو 67ميلاً، ويبلغ توتري في الاسناخ الرئوية عند سطح البحر 100 مم، ولا يزيد عن 25 مم في ارتفاع 8000 متر حيث يفقد الإنسان وعيه بعد دقيقتين أو ثلاث، ثم يموت(1).

وقد أدى الجهل بهذه الحقيقة إلى سقوط ضحايا كثيرين خلال تجارب الصعود إلى الجو، سواء بالبالونات أو الطائرات البدائية، أما الطائرات الحديثة فأصبحت تجهز بأجهزة لضبط الضغط الجوي والأوكسجين.

قلت: فأنت غذاء ضروري إذن.

قالت: لا غنى عني.. فأنا نسمة الحياة لكل الحيوانات التي فوق الأرض.

قلت: ولكني أرى من زملائك من يفوقك عددا، فكيف هنت لهذه الدرجة.. أم أن لغيرك من المنافع ما ليس لك؟

قالت: لا.. ألم تسمع قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (الحجر: 21)؟

قلت: بلى.. وقد قال تعالى مثلها: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (القمر:49)

قالت: فأنا مع زملائي منزلون بقدر معلوم.. فأنا أشكل نسبة الخمس تقريبا من الهواء الجوي، أو بتعبير أدق 21بالمائة من الهواء.

قلت: فلو زدت.. ماذا سيحصل؟

---

1) والسبب الثاني لذلك هو انخفاض الضغط الجوي، حيث ينخفض هذا الضغط كلما ارتفعنا عن سطح الأرض مما يؤدي لنقص معدل مرور غازات المعدة والأمعاء، التي تدفع الحجاب الحاجز للأعلى فيضغط على الرئتين ويعيق تمددها، وكل ذلك يؤدي لصعوبة في التنفس، وضيق يزداد حرجاً كلما صعد الإنسان عالياً، حتى أنه يحصل نزيف من الأنف أو الفم يؤدي أيضاً للوفاة، انظر: مع الطب في القرآن الكريم، الدكتور عبد الحميد دياب، والدكتور أحمد قرقوز.

قـالت: لـو زدت بنسـبة 50 بالمائـة مثلاً أو أكـثر فـإن جميـع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال لدرجة أن أول شرارة من البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة حتى لتكاد تنفجر.

قلت: فلو نقصت نسبتك؟

قالت: لو أن نسبتي في الهـواء قـد هبطت إلى 10بالمائـة أو أقل، فإن الحياة تكون قد انمحت على الأرض منذ دهور.

ولذلك كان من رحمـة اللـه تعـالى أن عنصـرنا قـد أفلت من الاتحاد مع غيره وترك في الجو بنفس النسبة تقريباً، وهي النســب اللازمة لجميع الكائنات الحية.

قلت: أراك تذكرين الاحتراق.. فما علاقتـك بـالاحتراق.. فهـل أنت احتراق أم انشراح؟

قالت: أنا لا أشرح الصـدور فقـط، بـل إني ركن أساسـي في التغذية، ولا أكون انشراحا إلا بكوني احتراقا، ألا تعلم أن السلام قد يكون كامنا في الثورة؟

قلت: بلى.. سمعت هذا كثيرا.. ولكن كيف تحققين الانشــراح بالاحتراق؟

قالت: كما تحقق الشمعة النور بالاحتراق والذوبان.

قلت: لكني أرى الشمعة ولا أراك.

قـالت: إن الغـرض الأساسـي من دخـولي إلى الجسـم هـو التغلغل عبر الدم إلى الخلايـا لحـرق الطعـام، وتحويلـه إلى طاقـة يستفيد منها الجسم في حركته وبقائه.

قلت: فلنفرض أنك لم تفعلي.

قالت: كيف تقول هذا؟.. أو تفرض هذا.. أنا مسخرة سـخرني الله لهذه المهمة.. ولا أتصور أن أعصيه.

قلت: فلنفرض فقط.

قالت: لتعلم ذلك حق اليقين دعني أطلب من صـواحبي أن لا يزرن رئتيك لترى ما سيحصل.

قلت: لقد وعيت وفهمت.. فلا تفعلي.

قالت: لقد نسيت ما جئت من أجله.

قلت: وما جئت من أجله؟

قالت: أن أبين لك سر الحصول على بركتي.

قلت: فكيف أحصل عل بركتك؟

قالت: بأمرين كلاهما يمتلئان بركة.

قلت: فما هما؟

قـالت: أمـا الأول، فيشـير إليـه قولـه ﷺ:(بـورك لأمـتي في بكورها).. فمن طبق هذا الهدي النبوي يكون قـد حصـل على سـر مهم من أسرار بركاتي، فإن أعلى نسبة لغاز الأوزون، وهـو شـكل من أشكالي في الجو تكون عند الفجر، وتقل تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس.

وهذا الغاز له تأثير مفيد للجهاز العصبي، وهـو منشـط للعمـل الفكـري والعضـلي، بحيث يجعـل ذروة نشـاط الإنسـان الفكريـة والعضـلية تكـون في الصـباح البـاكر، ويستشـعر الإنسـان عنـدما يستنشق نسيم الفجر الجميل المسمى بريح الصبا، لـذة ونشـوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل.

قلت: هذه الأولى.. فما الثانية؟

قالت: أما الثانية.. فتنفس بجميع رئتيك..

قلت: وهل تريني أستعمل بعض رئتي؟

قالت: أجل.. فالإنسان في حالات التنفس العـادي يتنفس من ربع إلى ثلث رئتيـه، أمـا التنفس العميـق فيضـطره إلى اسـتعمال رئتيه كاملة.

قلت: فما الفائدة من ذلك؟

قالت: هذا يدرب كل أجزاء الرئـة على الاسـتعمال، بالإضـافة إلى أنه يقوي عضلات الجهاز التنفسي، ويجعلهـا أقـدر على القيـام بوظائفها في الجسم.

ألا تعلم أن الإنسان في الحالات الطبيعيــة يتنفس من 14إلى 18 مرة في الدقيقة، ويدخل الرئتين في كل مدة يتنفس فيهـا عن طريق الشهيق ما يوازي نصـف لـتر من الهـواء، ويخـرج من رئتيـه عن طريق الزفير ما يوازي نصف لتر من الهواء، ويضـطر الجسـم إلى إخراج الكميات الزائدة منـه في الـدم عن طريـق التنفس وإلا أدى تراكمه في الجسم إلى الخمول والكسل.

قلت: وفي التنفس العميق كم يدخل.. وكم يخرج؟

قـالت: في التنفس العميـق تزيـد كميـة الهـواء الـذي يـدخل ويخرج من الرئتين من نصف لتر إلى ما يقرب من لتر ونصف لتر، وهذا يعني أن التنفس العميـق يـدخل إلى الجسـم كميـة أكـبر من الأوكسجين، ويخرج منه كمية أكبر من ثاني أوكسيد الكربون.

قلت: فما تأثير ذلك على الصحة؟

قالت: يساعد هذا التنفس العميق عدة مرات في اليـوم على

إطالة التنفس وجعـل الإنسـان أقـدر على ممارسـة الأشـياء الـتي تتطلب منـه بـذل مجهـود أكـثر من المجهـود العـادي، كالمشـي مسافات طويلة بدون إجهاد، وهذا هو السبب الذي من أجله يقـوم الرياضيون بعمل تمرينات للتنفس بصفة مستمرة.

ولـذلك ينصـح الأطبـاء الكثـير من المرضـى بعمـل تمرينـات تنفس عميق قبل وبعد إجراء العمليات الجراحية لهم، وذلك لزيادة لياقتهم الصحية وإرجاعهم إلى الحالة الطبيعية بعد العملية، ولعـدم تعرض أي جزء من الرئة إلى الإنكماش بسبب الرقاد فترة طويلـة من الـوقت في الفـراش، وبسـبب عـدم التنفس أثنـاء المـرض بالسرعة والعمق اللازمين لبقاء الرئتين كما هما.

قلت: أرأيت لـو أن شخصـا لم يمـارس هـذا التنفس العميـق الذي تذكرينه؟

قالت: إذا لم يفعل ذلك، ولم يقم بـأي مجهـود رياضـي، فإنـه سيصيب جهـازه التنفسـي مـع مـرور الـوقت بشـيء من الكسـل، وينتج عن ذلك إحساس بـالتعب والإرهـاق عنـد بـذل أي مجهـود لا يستدعي من الشخص العادي الإجهاد.

قلت: ولكن....

قاطعتني وقالت: ماذا تشعر عندما تتنهد؟

قلت: أشعر ببعض الراحة.. فأنا أتنهد عندما أكون في حـالات الضيق والقلق والاضطرابات النفسية والعصبية.

قالت: فما التنهد إلا نوع من التنفس العميق..

قلت: فما سر الراحة فيه؟

قالت: عندما تتنفس تنفسا عميقا تزداد عملية احتراق الطعام في الجسم وينتج عن ذلك زيادة في نسبة ثـاني أوكسـيد الكربـون الموجـود في الـدم، والتنفس العميـق يسـاعد على إخـراج هـذه الكمية الزائدة من ثاني أوكسيد الكربون، فتشعربالراحة.

قلت: فهذا يدعوني إلى ملازمة التنفس العميق في كل حين.

قالت: لا.. ألم يقل الله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْـرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (لأعراف:31)؟

قلت: بلى.. ولكنه لم يذكر التنفس.

قالت: التنفس نوع من الأكل.. أو هو نوع من الشرب.

قلت: فما مخاطر الإسراف فيه؟

قالت: إن ثاني أوكسيد الكربـون يجب أن يكـون موجـودا في الدم بنسبة معينة، فإذا نقصـت هـذه النسـبة بسـبب كـثرة التنفس

العميق نتج عن ذلك إحساس بالدوخة، وتزايـد في ضـربات القلب، وإحسـاس الشـخص بالإجهـاد.. ولـذلك كـان الاعتـدال يجمـع بين الحسنيين.

قلت: فهل يحتاج التنفس العميق إلى تدريب؟

قالت: أجل.. وقد أحسنت بهذا السؤال، فإن هناك من يعتقــد بـأن التنفس عمليـة آليـة نقـوم بهـا جميعـا ولا تحتـاج إلى التوجيـه والتدريب، لكن الحقيقة هي أن التنفس الجيد أمـر قـد يغفـل عنـه الكثير وأن النجاح فيه يرتبط بارتفاع الأداء الصـحي، والتخفيض من مستويات الاكتئاب والقلق.

قلت: فكيف أتنفس هذا التنفس العميق؟

قالت: ذلك شيء يسير.. لكي تتأكـد أنـك تتنفس بعمـق ضـع كتابا على بطنك، ثم خذ نفسا عميقا، فإن لاحظت أن بطنك يرتفـع بالكتاب عند الشـهيق، وينخفض عنـد الزفـير، فـأنت تتنفس تنفسـا عميقا.

قلت: هذا شيء يسير.. فإن لم أجد الكتـاب هـل يمكنـني أن أضع شيئا آخر؟

ضـحكت، وقـالت: لم أكن أحسـبك بهـذا الـذكاء.. إن لم تجـد الكتاب الذي تضعه على بطنك، فلن تقدر على التنفس العميق مــا حيت.

قلت: فما اسم الكتاب الذي أضعه؟

قالت: دعك من هذا المزاح.. واسمع نصيحة أخرى.

قلت: ما هي؟

قالت: لتحقيق المزيـد من التنفس الجيـد حـاول أن يسـتغرق الزفير فترة أطول من الشهيق، فالزفير بشكل خاص يسـاعد على التخلص من السموم الموجودة بالجسم، والتي إذا لم نتخلص منها، فسوف تختزن في الدهون.

قلت: وهذا يسير كذلك.. ولن يحتاج مني إلى كتاب أو غيره.

قالت: ويتطلب التدريب على التنفس الجيـد تـدريب الرئـتين، ويكون ذلك بأن تأخذ نفسا عميقا وكبيرا عـددا من المـرات يوميـا، وان تحتفظ بها لفترة في الرئتين.

قلت: لم؟

قالت: لتدريب رئتيك.. فهما كالعضلات.. إن لم تقم بتـدريبهما فانهما تفقدان مرونتها.

قلت: عرفت بركتين من بركاتك يا انشراح.. فهل من بركـات

أخرى؟

قالت: سأترك المجال لرفيقاتي، فهن ينتظرن دورهن.

قلت: فمن تتركين؟

قالت: سأترك أقرب رفيقاتي إلى نفسي.. من أتعاقب معها على مصلحتك ومصلحة غذائك.

قلت: من تعنين؟

قالت: من تسمونها ثاني أكسيد الكربون.

قلت: فكيف تتعاقبين معها على مصلحتنا؟

قالت: عندما تتنفسون الأكسجين، ويحترق في أجوافكم تخرج نتيجة احتراقه رفيقتي ثاني أكسيد الكربون مع هواء الزفير، وهي ليست سوى مركب من الكربون والأكسجين.

قلت: أهذا هو التعاقب؟

قالت: ليس هذا فقط.. بل تمتص النباتات رفيقتي ثاني أكسيد الكربون الذي يتحد مع الماء مكونًا غذاء، ثم تُخرج النباتات الأكسجين الزائد إلى الهواء(1).. وهكذا نتعاقب لمصلحتك ومصلحة الحياة على الأرض.

تكوين الغذاء:

تقدمت ثاني أكسيد الكربون، وقالت: دعيني أشرح دوري يا انشراح.

قلت: هي انشراح.. فمن أنت؟

قالت: أنا التي تسمونني ثاني أكسيد الكربون.

قلت: وما يسميك قومك؟

قالت: يسمونني مخضار.

---

1) لقد اكتشف قي عام 1779 م أن النبات يتنفس فيأخذ الأكسجين و يطرد ثاني أكسيد الكربون، مثله في ذلك مثل الإنسان و الحيوان، و يصحب تنفس النبات ارتفاح في درجة الحرارة، و يتم التنفس في الليل و النهار، إلا أنه في النهار لا تظهر نتيجة التنفس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربوني التي يجريها النبات بسرعة أكثر من عملية التنفس، فيخرج الأكسجين و يمتص ثاني أكسيد الكربون، لذلك قد عرف بأن ارتياد الحدائق يكون نهاراً، و لا يحسن ارتيادها ليلاً حيث يتنفس النبات، و لا يوجد تمثيل كربوني، و بذلك ينطلق ثاني أكسيد الكربون و يأخذ النبات الأوكسجين.

و قد دلت الأبحاث، على أن عملية التمثيل الكربوني، كانت كفيلة وحدها باستهلاك ثاني أكسيد الكربون الموجود في العالم، لو أن الأمر قد اقتصر عليها، ولكن العليم الخبير قدر ذلك فيجعل الكائنات الحية الأخرى تخرج ثاني أكسيد الكربون. كما أن الأجسام الميتة في تحللها تخرج ثاني أكسيد الكربون وكذلك بعض التفاعلات الأخرى.

وقد قضت حكمة الخالق أن تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو دائماً، من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هواء، وأن هذه النسبة ينبغي أن تكون ثابتة على الدوام لعمارة العالم، فلم يحدث قط مهما اختلفت عمليات الاستهلاك وعمليات الإنتاج أن اختلفت هذه النسبة.

قلت: مخضار!؟.. ما مخضار؟
قالت: ألا تعلم أن الله تعالى أشار إلي في قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً (الأنعام:99)
قلت: أهذه الآية تشير إليك؟
قالت: هي تشير إلى ما تسمونه المصانع الخضراء في النباتات، أو ما تسمونه اليخضور.
قلت: هو يخضور لأن لونه أخضر.. فما أنت؟
قالت: وأنا مخضار لأنه لولاي لما احتاج إلى هذا اللون الأخضر، بل لولاي لم يكن بهذه الصفة أصلا.. فقد جعلني الله سببا من أسباب وجوده.
قلت: كيف ذلك؟
قالت: هذه المصانع الخضراء يخرجها النبات بأمر ربه تعالى عند بداية نموه وهي تحتوي على الكلوروفيل الذي عبّر عنه القرآن الكريم بالخضر، حيث يقوم بالاستفادة من الطاقة الضوئية، ويحولها إلى طاقة كيمائية ينتج عنها تكوين الحبوب والثمار المختلفة وسائر أجزاء النبات التي نراها في الحدائق والبساتين.
قلت: فما علاقتها بك.. فإني لم أر لك أي علاقة؟
قالت: اصبر علي.. فلا قدرة للعجول على التعلم.
قلت: أنا صابر.. فتكلمي.
قالت: لقد عرفت أن مصانع الغذاء في النبات تتركز في الأوراق والأجزاء الخضراء منه.
قلت: أجل..
قال: فاعرف بأن هذه المصانع بحاجة إلى المواد الخام، كما أنها بحاجة إلى وضع تصميم وترتيب وتنظيم يتم به وصول هذه المواد الخام إلى المصانع الخضراء.
قلت: فهمت.. فأنت إحدى هذه المواد الخام.
قالت: أجل.. فإني مع الماء والأملاح والضوء نشكل المواد الأساسية لما يكونه النبات من أغذية.
قلت: عرفت دور الماء، فحدثيني عن دورك.
قالت: أدخل إلى هذه المصانع الخضراء بواسطة ثغور صغيرة قد أعدت بإحكام، وتنتشر في الطبقة السطحية للأوراق، وقد خلق الخالق سبحانه خليتين حارستين أو أكثر تقومان بدور البواب الذي يفتح ويقفل بنظام، وبحسب الحاجة.

قلت: فها قد دخلت.. فماذا تصنعين؟

قالت: بعد أن تصل المواد الخام ــ والتي أشكل ركنا من أركانها الأساسية ـ إلى المصانع، وهي ملايين الملايين من المصانع نقوم بأخطر إنتاج في العالم وأعظمه.

قلت: وما هو؟

قالت: إنتاج كل ما تحتاجونه من البروتينات، والدهنيات، والنشويات، والفيتامينات، والأملاح.

قلت: كل ذلك من من ماء وأملاح وثاني أكسيد كربون وضوء شمس.

قالت: كلنا نتحد من أجل كل ما تأكلونه من غذاء.. ومن عجيب أمرنا أننا نقوم بعملنا دون ضجيج أو إزعاج.. فنقوم بعمليات كيماوية طويلة متلاحقة، وفي سلسلة متتابعة في الخطوات حتى يكون الناتج هي تلك الثمار اللذيذة الشهية التي ليست إلا مخازن، خزن فيها الغذاء وأحكم حفظه فيها.

قلت: فهل هذا فقط ما تقومين به؟

قالت: لي أدورا أخرى كثيرة.. ولكني لن أنفرد بالحديث.. فمن رفاقي من ينتظر.

قلت: من؟

قالت: من تطلقون عليه النتروجين، ونطلق عليه:(ملطاف)

تلطيف الهواء والتربة:

اقترب النتروجين بلطف، وقال: نعم أنا الملطاف.. وليسموني نتروجينا كما يريدون.. ولكني لن أرضى باسم غير الملطاف.

قلت: لم هذا الإصرار على هذا الاسم؟

قال: لأني ألطف الهواء والتراب.. فأنا عبد اللطيف.. فلا أحب إلا ما يذكرني بهذه العبودية.

قلت: عرفتني باسمك، فعرفني بنفسك ودورك.

قال: لقد جعلني الله ذا أهمية بالغة على الأرض، فأنا أقوم بدور مخفف للأوكسجين، فأخفضه إلى النسبة التي تلائم الإنسان والحيوان.. ألا تعلم بأني أشكل 78بالمائة من كل نسيم يهبّ، فأنا جزء من الهواء الواقي، وبدوني كان يمكن أن تحدث عدة أمور خطرة.

قال: لا تحدثني عن احتمالات فقدك.. فأنت بيننا موقر مكرم، ولكن حدثنا عن فائدة وجودك، فإني لا أرى لك من الأهمية ما أراها

لأختك انشراح.

قال: لقد أخطأت في هذا.. فأنا لا أقل عنها أهمية.. ذلك لأن هناك سلسلة من المواد الكيموية التي أعد جزءاً منها، والتي تشكل الغذاء الذي تتناولنه.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنسيت أني ملطف.

قلت: تلطف الهواء.

قال: ليس الهواء فقط.. بل التراب أيضا.. فبدون تلطيفي للتربة وتخصيبي لها لا يمكن أن ينمو أي نبات من النباتات الغذائية.

قلت: أنت هواء، فكيف تصير في التراب؟

قال: لذلك طريقتان: أما الأولى، فعن طريق نشاط جراثيم معينة تسكن في جذور النباتات البقلية، مثل البرسيم والحمص والبسلة والفول وكثير غيرها.. وهذه الجراثيم تمتصني من الهواء وتحيلني إلى ملطاف مركب.. وحين يموت النبات يبقى بعض هذا الملطاف المركب في الأرض.

قلت: فهمت هذه الطريقة، فما الطريقة الثانية؟

قال: عن طريق عواصف الرعد، فكلما ومض برق خلال الهواء وحدّ بين قدر من الأوكسجين، وبيني فيسقطه المطر إلى الأرض كملطاف مركب[1].

قلت: فهل تكفي هاتان الطريقتان في تخصيب التربة؟

قال: عموما.. ولكن من غير إسراف.. فلذلك ترى الحقول التي طال زرعها تفقد ما بها من عنصري، ولهذا يعمد الزراع إلى مناوبة المحصولات التي يزرعونها.

تزيين السماء:

فجأة لاحت لي مجموعة من الألوان الباهرة من الأحمر والأزرق والأخضر.. فقلت: من أنت.. فقد بهرني جمالكن؟

قالت إحداهن: أما أنا، فيسمونني الأرجون، وأنا أتواجد في الهواء بنسبة 10/6 في 1بالمائة، وأنا أعطيك النور الساطع الباهر الذي تتزينون به.

قلت: فأنت مزيان.

قالت: كيف عرفت اسمي؟

قلت: أنا أقول بالقياس في اللغة.. فقست اسمك على اسم

---

1) عواصف البرق تؤدي إلى اتحاد الأكسجين والنيتروجين في الجو لتكوين أكسيد النتروز الذي ينزل مع الأمطار، فيكون سماداً للتربة.

زملائك.

قالت: قل بـه في اللغـة مـا شـئت.. وإيـاك أن تقـول بـه في الشرع.. فتحكم عقلك في دين الله.

الرياح والتلقيح:

أردت الانصـراف، فنـادتني طائفـة من الهـواء جمعت أشـكالا مختلفـة منـه.. وقـد كـانت من القـوة بحيث حبسـتني عن السـير، فقلت: من أنت.. فإن لك قوة وشدة.

قالت: أنا الريح والرياح.

قلت: فمم تتشكلين؟

قالت: كل من رأيته جزء مني وخدم لي..

قلت: وما علاقتك بالنسيم.. أهو ابن عمك؟

قالت: لا.. هو أنا.

قلت: عجبا.. فهل أنت نسيم لطيف.. أم ريح جبارة.

قالت: كلاهما أنا.. أنا عبد للـه.. إن أمـرني بـأن أكـون نسـيما كنت، وإن أمــرني أ أكــون شــديدة كنت.. ألم تســمع مــا ورد في عبوديتي لله.. ألم تسمع قوله تعـالى: هُـوَ الَّذِي يُسَـيِّرُكُمْ فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَـرَيْنَ بِهِمْ بِـرِيحٍ طَيِّبَـةٍ وَفَرِحُـوا بِهَـا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمَـوْجُ مِنْ كُـلِّ مَكَـانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيـطَ بِهِمْ دَعَـوْا اللَّهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَـا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُـونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ(يونس:22)

قلت: فما في ذلك من فضلك ودلائل عبوديتك؟

قـالت: ألا تبصــر؟.. لقــد مــيز اللــه بواســطتي بين المخلص والمنافق، ومن يثبت في عبادة الله وبين من يعبد الله على حرف.

قلت: أنــــا أبحث عن البركـــــات.. ولا أبحث عن فضـــــل المخلوقات.

قالت: فلي بركات عظيمة نص عليها القرآن الكريم، ألم تعلم بأن الله تعالى جعلني واسطة للماء المبارك والثمر المبارك.

قلت: كيف.. وأين هذا؟

قالت: لقد نص على هذا آيات من القرآن الكريم، فالله تعالى يقول: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَـا مِنْ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَسْـقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(الحجر:22)

ولذلك كنا بشارة من بشائر الخـير.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَـاءَ فَأَخْرَجْنَـا بِـهِ مِنْ كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ

كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (الأعراف:57)، وقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(الفرقان:48)

قلت: كل هذه الآيات تطفح بالبشر والفرح والرحمة.

قالت: لتخبر أنها المقصد الحقيقي من إرسال الرياح، فهي التي يحيا بها موات الأرض، ويثمر الزرع وتمتلئ خزائن السحاب، ويرتوي الخلق بمائها الطهور.

فقد جعل الله لنا تلقيح الأزهار في النباتات فتثمر، ومعظم التلقيح في النبات تقوم به الرياح، ولولا ذلك لتعذرالحصول على الطعام أو الحب والثمار.

كما أننا نلقح السحب، فتنزل الماء المبارك، وكل ذلك بتقدير الخالق الرازق الذي نعمر ألسنتنا بالتسبيح له وذكره.

قلت: أرى القرآن الكريم يذكر الرياح مرة بالإفراد ومرة بالجمع، فما السر؟

قالت: هذا من أسرار القرآن الكريم في اختيار الألفاظ.. فعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد عبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة، ليخبر أن رياح الرحمة كثيرة، وأن ريح العذاب واحدة رحمة من الله، لأن رحمته سبقت غضبه.

قلت: ما شاء الله.. هذا توجيه جيد.

قالت: بل إن الرياح القواصف والأعاصير والريح العقيم والريح الصرصر العاتية ماهي كذلك إلا رياح رحمة بما تلقيه في صدور المؤمنين من خوف من الله ينزع حجاب الغفلة والعادة، ويعيد لله في أذهانهم قدرته وتصرفه المطلق في الكون، ولولا الريح العقيم ما عرف فضل الله بالرياح اللواقح.

ولهذا يأتي التحذير من مكر الله بالتهديد بأمثال تلك الرياح، قال ﷻ: أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنْ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (الإسراء:69)

قلت: فكيف أنال أسرار بركاتك؟

قالت: بالتأسي بسنة رسول الله ﷺ في التعامل معي.

قلت: وكيف كان ﷺ يتعامل معك؟

قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه، وقد

قيل لـه: يـا رسـول اللـه إن النـاس إذا رأوا الغيم فرحـوا رجـاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهيـة فقـال: ما يؤمني أن يكون فيه عـذاب عـذب قـوم بـالريح، وقـد رأى قـوم العذاب فقالوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا(الاحقاف:24)

وكان ﷺ ينهى عن سبها أو التوجه إليها بالذم، بـل يتوجـه إلى الله، فيسأله من خيرها، ويستعاذ به من شرها، وكان يوصـي أمتـه بقولـه:(الـريح من روح اللـه تـأتي بالرحمـة وتـأتي بالعـذاب، فـإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا به من شرها)

وكان من سنته أن يقول إذا عصفت الريح:(اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شـرها وشـر ما فيها وشر ما أرسلت به)

قلت: بهذا التوحيد علمنـا النـبي ﷺ كيـف نوحـد اللـه في كـل الأشياء، وكيف لا نأمن مكره مع كل شيء، لأن كل شيء مجند لله خاضع لأوامره حتى الريح التي نراهـا طيبـة قـد تحمـل في طياتهـا جرثوم الموت القاتل إذا أراد الله ذلك.

قال: فإذا عرفت ذلك، ونظرت إلي بهـذه العين نلت بركـتي، وقد تنال من نصرتي ما أنلت أهل الله.

قلت: فهل نصرت أولياء الله؟

قالت: كثيرون هم.. لقد كنت جندا من جند اللـه يـوم تحـزبت الأحزاب تبغي استئصال شـأفة المسـلمين، قـال ﷻ: يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَـاءَتْكُمْ جُنُـودٌ فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًـا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا(الأحزاب:9)، فـالريح من الجنود المرئية، وغيرها من الجنود غير المرئية.

وكنت جندا من جند اللـه الـتي نصـر اللـه بهـا هـودا ؈ على قومـه، حين أرسـل عليهم ريحـا بـاردة كـبرودة قلـوبهم، في أيـام مشؤومات كشؤم نفوسـهم مقابلـة لهم على تشـاؤمهم من نـبيهم ؈، وتحقيا لطلبهم، قال ﷻ: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ(فصلت:16)

قلت: إن تاريخك مملوء بالجهاد في سبيل الله.

قالت: ولا زالت لي أدوار لن أرتاح حتى أؤديها.. فدعني، فـإن رسالة وصلتني من السماء.. ولا بد أن أذهب.

حفظ السماء:

ذهبت الريح.. فرأيت كـل مـا رأيتـه من أهويـة يتجمـع بشـكل

عجيب ليشكل جدارا صلبا لا يمكن اختراقه.
قلت: من أنت؟
قال: أنا الجدر الحافظ الذي يحفظ أرضكم من كل سوء.. أنا الذي أشار إلي قوله تعالى: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (الانبياء:32)
قلت: كيف ذلك؟
قالت: لقد جعل الله سمك الغلاف الجوي ثمانية عشر ألف ميل، وصممه بإحكامٍ شديد وميزان دقيق؛ ليتم إحراق ملايين الشهب والنيازك قبل وصولها إلى الأرض.
وليس ذلك فقط.. بل من بركاتنا أننا نمتص الأشعة القاتلة والدقائق الذرية المميتة قبل وصولها إلى الأرض.. إننا نمثل درعاً واقياً لسكان الأرض من هذه المخاطر كلها.. إننا نشبه المشيمة التي تحيط بالجنين، فنمنع المواد الضارة من العبور ولا نسمح إلا للمواد النافعة.

الحبوب

أردت الانصراف من عالم الهواء المبارك، فقالت لي جزيئة من جزيئات الهواء: إلى أين تذهب يا تلميذ السلام؟
قلت: إلى مستشفى السلام.. لألقى المتوسمين.
قالت: فكيف لا تزور أحب بناتنا إلى نفوسنا، وأعظمهن بركة؟
قلت: من تقصدين؟
قالت: تلك السنابل التي تفيض بالبركات.
قلت: لا أراها..
قالت: لقد قدمت لك بواحدة منهن.. وهي ستحدثك بلسانها عن أسرارها وأسرار بركاتها.
فجأة لا حت لي سنبلة بألوان الذهب، وقالت: لا أظن أنك تجهلني.
قلت: كيف أجهلك؟.. وأنا آكلك صباح مساء.
قالت: فاعرف قدري لتأكلني، وأنت تحمد الله.. فلا بركة فيمن لم يحمد الله.
قلت: أنا أحمد الله كما يحمده أكثر قومي.
قالت: لا يستقيم لك الحمد حتى تعرف فضل ما تحمد الله عليه، ووجه النعمة فيه.

قلت: لقد أضر بنا الإلف، فنسينا كثيرا.

قـالت: إن نسـيت، فـاعلم أن اللـه تعـالى شـبه مضـاعفة الصـدقات بمضـاعفة حبـات القمح، فقـال: مَثَـلُ الَّذِينَ يُنْفِقُـونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَـبْعَ سَـنَابِلَ فِي كُـلِّ سُـنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة:261)

قلت: أقرأ هذا.. فهل فيه من أسرار البركة شيء؟

قالت: ما بك.. ألست ترى.. أم تراك لا تسمع؟

قلت: بل إني بحمد الله أسمع وأرى.

قال: ألا ترى أن الله تعالى قرننـا بالصـدقات وشـبهنا بهـا.. ألا تعلم قيمة الصدقات؟

قلت: بلى.. فقـد قـال ﷺ:(إن اللـه لـيربي لأحـدكم التمـرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثـل أحـد)(1)، وفي حديث آخر قال:(ما تصـدق أحـد بصـدقة من طيب ولا يقبـل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)(2)

قالت: فعلمك بهذا يدلك على أسرار البركات الـتي نختزنهـا.. ألا تعلم أن الآية التي قرنتنا بالصدقات تحوي حلولا اقتصادية مهمـة تنتفع بها أي أمة إذا ما فكرت في استقلالها الكامل؟

قلت: ماذا تعني؟

قالت: هي دعوة للاهتمام بمضـاعفة السـنابل وحبـات البركـة التي تختزنها السنابل، ففيها ما يغني ويكفي.

قلت: وما تغني السنابل؟.. وقد عـرفت من حاجـات الإنسـان الغذائية ما ذكرت.

قالت: إن الله تعالى برحمتـه جعـل في حبـة القمح وأخواتهـا من القيمة الغذائية ما يغني عن أكثر الأطعمة، بل إن في النصـوص ما يشير إلى كونها غذاء كاملا.. وهو سر آخر من سر البركـة الـتي أودعها لله فينا.

قلت: قرأت القرآن الكريم من أوله إلى آخره، فلم أجد هذا.. فما هذه الدعوى العريضة؟

قالت: ألم تقرأ قوله تعالى في قصة يوسف ؑ: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْـرٍ

1) أحمد وابن حبان.
2) الترمذي والنسائي وابن ماجة.

وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف:43 ـ 49)

قلت: بلى.. كثيرا.. ففي هذه الآية قصة رؤيا الملك، وكيف مكن الله ليوسف عليه السلام في الأرض، وهو تمهيد لحضور إخوة يوسف عليه السلام.

قالت: ما أقل ما تفقهون من القرآن الكريم.. ألا تسمعون من القرآن الكريم غير القصص؟

قلت: فما تسمعين؟

قالت: في هذه الآيات الكريمة أخبر تعالى أن المصريين، ومن جاورهم من الشعوب اكتفوا في تلك الفترة الطويلة بما تدره عليهم السنابل المخزنة من رزق، وهو دليل على أنها غذاء كامل، وإلا لكان في اكتفائهم بها ما يؤدي بهم إلى سوء التغذية[1].

قلت: فهل أثبت العلم الحديث ذلك؟

قال: لا حاجة لأن يثبت ذلك.. فقد عاشت البشرية سنين طويلة من أعمارها تعتمدنا غذاءنا، فلم تشك فاقة ولا جوعا.

قلت: ولكن....!؟

القمح:

قال: أجل.. سأرضي بعض غروركم.. لقد أثبتت الدراسات التي أجريت على التركيب التحليلي للقمح، وعشبة القمح أنهما يحتويان على العناصرالوفيرة مثل الكالسيوم والفسفور والكبريت البوتاسيوم والكلور والصوديوم والمغنيسيوم، وغيرها.. وليس هذا فقط، بل إنهما يحتويان على نسب مقاربة جدا لما هي موجودة عليه في جسم الإنسان.

وزيادة على ذلك فإن حبة القمح تحتوي على كل العناصر

---

1) ذكر هذه الإشارة الدكتور جميل القدسي الدويك، قال:« وبالفعل عاشت مصر بأكملها، وما حولها من الحضارات سبع سنين كاملة على غذاء متكامل، وافٍ شامل، دون أن يأكلوا أي طعام آخر لأن كل الأطعمة قد انتهت بعد جفاف سبع سنين، فأكلوا بذلك الغذاء الصحي المتكامل ألا وهو القمح الكامل»

النادرة في التربة، بكميات نادرة أيضا، وبنسب مقاربة جدا لما هي موجودة عليه في جسم الإنسان، ومن أمثلتها الحديد والفلور والزنك، والنحاس، واليود والكروم والكوبالت، والسيليكون، والفاناديوم والسيلينيوم والمنجنيز والنيكل والموليبدنيوم وغيرها.

وإضافة إلى ذلك كله، فحبوب القمح تحتوي على الكربوهيدرات التي تعتبر المصدر الأول للطاقة.

قلت: ولكن ما ذكرته لا يشكل الغذاء الكامل؟

قالت: تقصد البروتينات.. القمح يحتوي على كل الأحماض الأمينية العشرين الأساسية وغير الأساسية، وهي وحدات بناء كل أنواع البروتينات الموجودة في الجسم.. كلها كلها بدون استثناء.. وكيف لا وهو يحتوي على الحمضين الدهنيين الأساسيين اللذين يقدمان للجسم وظائف خارقة عظيمة معجزة تعجز آلاف بل ملايين المركبات عن القيام بها.

قلت: والفيتامينات!؟

قالت: القمح يحتوي على مجموعة هائلة ومتنوعة من الفيتامينات، والتي يندر وجودها حتى في أعظم صيدلية، وبكميات رائعة مفيدة مدهشة[1].

قلت: والهرمونات والإنزيمات!؟

قالت: حبة القمح تحتوي على مركبات هرمونية عظيمة مسيطرة مهيمنة هي البروستاغلاندينات، وعلى أكثر من ثمانين إنزيماً عظيماً مسيطراً مهيمناً.

قلت: فقد كان يوسف ﵇ خبيرا غذائيا إذن؟

قال: كيف لا، وقد شهد له القرآن الكريم بذلك، ألم يقل الله تعالى على لسانه: ﴿ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ (يوسف:37)، فهو يعلم بالغذاء قبل حضوره، ويعلم تأويله بعد أكله.

الشعير:

قلت: لقد حدثتني أيتها السنبلة المباركة عن القمح، فحدثيني عن الشعير.

قالت: ها هي ذي أختي سنبلة الشعير تحدثك عن نفسها.. فلا أبلغ من حديث الإنسان عن نفسه.

---

1) من الفيتامينات التي تم اكتشافها في حبة القمح الكاملة حتى الآن فهي، فيتامين ج، فيتامين هاء (السكسينات)، البيتا كاروتين (فيتامين أ)، والبيوتين، والكولين، وحمض الفوليك، الثيامين (فيتامين ب1)، الريبوفلافين فيتامين ب2)، النياسين (فيتامين ب3)، البانتوثنيك أسيد (فيتامين ب5)، وفيتامين ك.

تقـدمت سـنبلة الشـعير بجمالهـا، وقـالت: لقـد ورد في من البركـات مـا ورد في القمح، فقـد تنـاولني النـبي ﷺ خـبزًا وحسـاء وشـرابًا، ونصـح بي ووصـفني لمـداواة المرضـى وتخفيـف الحـزن والغم الذي يعتري النفس الإنسانية بين حين وآخر.

قلت: فاذكري لي ما تطمئن به نفسي، وينشرح ل صدري.

قالت: من ذلك ما قاله ابن عباس يصف حياة النبي ﷺ:(كان ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكـان أكـثر خبزهم خبز الشعير)(1)، وعن أبي أمامة قال:(ما كـان يفضـل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير)(2)

وقد كانوا يأكلون الشعير بنخالتـه، وقـد روي أنـه ﷺ لم يأكـل (خبزًا منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قبض)(3)

قلت: أكان يأكل الشعير بنخالته؟

قالت: أجل.. ألم تسمع حديث سهل بن سعد، فقـد قـال: مـا رأى رَسُول اللَّهِ ﷺ النقي(4) من حين ابتعثه اللَّه تعالى حتى قبضــه اللَّه، فقيل له: هل كان لكم في عهد رَسُول اللَّهِ مناخـل؟ قـال: مـا رأى رَسُول اللَّهِ منخلاً من حين ابتعثـه اللَّه تعـالى حـتى قبضـه اللَّه تعالى، فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قـال:(كنـا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثَرَّيْنَاه(5))(6)

قلت: ولكن المناخـل وجـدت بعـد ذلـك.. ولا حـرج في أكـل النقي.. فالله تعالى لم يحرم الطيبات.

قـالت: الطيبـات في النقي والنخالـة.. ألا تعلم أن بعض بـني قومك كـانوا يـأكلون الأرز بقشـوره، فـتركوه فأصـابهم مـا أصـاب المستكبرين؟

قلت: فما خسروا غير القشور؟

قالت: إن تلك القشور التي خسـروها كـانت تحمل40بالمائـة من الكالســيوم، و55 بالمائـــة من الفوســـفور، و55بالمائـــة من الحديد، و56 بالمائة من البوتاسيوم، و78بالمائة من فيتامين ب1، و50بالمائـة من فيتـامين ب2، و69بالمائـة من فيتـامين ب، و70 بالمائة من الألياف.

---

1) الترمذي، وقال: حسن صحيح.
2) الترمذي.
3) أحمد.
4) هو الخبز الحواري، وهو الدرمك.
5) أي: بللناه وعجناه.
6) البخاري.

قلت: أكل هذه الفوائد تختزنها القشور؟

قالت: وغيرها..

قلت: فحدثني عن سر بركتك.

قالت: قد حدثتك عنها.

قـالت: أنت أعلم بمـا في نفسـي من آثـار مـا تركـه قـومي، فخاطبيني بحسب عقلي.

قالت: لا بأس.. سـأخاطبك مـا دمت تلميـذا.. ولـو كنت أعلى درجة من ذلك ما زدت على ما ورد في النصوص: لقد وردت الأدلة العلميـة الكثـيرة تثبت الفوائـد الـتي يحتـوي عليهـا الشـعير غـذاء وشرابا.

ومن ذلك أن معهد البحوث الزراعية بجامعة ألبرتا بكنـدا قـام ببحث حول (أهمية المنتجات المحتوية على منتجات الشـعير على صحة مرضى السكر ــ النـوع الثـاني ــ)، وتحديـد أهميـة اسـتخدام منتجات الشـعير وتأثيرهـا على نسـبة السـكر والـدهون في الـدم، وكانت النتيجة النهائية لهذا البحث توضيح أهمية غذاء الشعير وخـبز الشعير كوسـيلة لزيـادة كميـة الأليـاف المطلوبـة للجسـم القابلـة للذوبان وغير القابلة للـذوبان، لخفض نسـبة السـكر والـدهون في الدم.

قلت: وهل للشعير القدرة على تنظيم امتصـاص السـكر في الدم.

قالت: أجل.. فهو يجـد من ارتفـاع السـكر المفـاجئ لاحتـواء أليافه المنحلة القابلة للذوبان على بكتينات تكـون مـع المـاء هلامًـا لزجًا يبطئ من هضم وامتصاص النشـويات والسـكريات، كمـا أنـه قليل السعرات غني الألياف المنحلة وغير المنحلـة، ممـا يقلـل من الرغبـة في تنـاول الأطعمـة السـكرية وغيرهـا، وهـذا يسـاعد على تنظيم نسبة السكر في الدم.

قلت: ذكـرت أن لـك علاقـة بالـدهون، فهـل تسـاهمين في التقليل من الكوليسترول؟

قـالت: أجـل.. وقـد أثبتت الدراسـات العلميـة فاعليـة حبـوب الشعير الفائقة في تقليل مستوى الكوليسترول في الدم من خلال عدة عمليات حيوية، منها أن حبوب الشـعير تحتـوي على مركبـات مشابهة لفيتامين هـ الذي يعد من أشهر مضادات الأكسدة التي لها القدرة على تثبيط إنزيمات التخليق الحيوي للكوليسترول.

ومنها أن ألياف الشعير المنحلة تحتوي على مـادة هامـة جـدًا

وهي البيتا جلوكان، وهي الـتي تتحـد مـع الكوليسـترول الزائـد في الأطعمة والأحماض الصفراوية مما يقلل وصوله إلى تيار الدم.

وتشير نتائج البحوث إلى انخفاض نسـبة الكوليسـترول العـام بنسبة 10بالمائة، وانخفـاض نسـب الكوليسـترول منخفض الكثافة ldl إلى 8بالمائة وارتفاع نسبة الكوليسترول عالي الكثافة hdl إلى 16بالمائة.

زيـادة على هـذا، فإنـه ينتج عن تخمـر الأليـاف المنحلـة في القولــون أحمــاض تمتص من القولــون وتتــدخل مــع اســتقلاب الكوليسترول فتعيق ارتفاع نسبة في الدم.

قلت: فلك علاقة إذن بضغط الدم.

قـالت: أجـل.. فلي دور في كبح جمـاح ضـغط الـدم، وذلـك لاحتوائي على كمية وافرة من عنصر البوتاسيوم، حيث يخلـق هـذا العنصر التـوازن اللازم بين الملح والمـاء داخـل الخليـة.. وهـو يـدر البول مما يقلل من ضغط لدم.

قلت: لقد ذكرت في بدء حديثك أن لك علاقة بعلاج الأحزان.. فصفي لي وصفة لذلك.. فالاكتئاب من أمراض عصرنا؟

قالت: لست أنا الذي يصف هذه الوصفة.

قلت: فمن يصفها إن لم تصفيها؟

قالت: رسول الله ﷺ هو الذي وصفها.. وحسبنا بذلك شرفا.. وحسب هذه الوصفة بذلك بركة.

قلت: فما هي الوصفة؟

قالت: لقد كان ﷺ يصف التلبينـة، وهي حسـاء الشـعير لعلاج المحزونين، ويقول:(التلبينـة مجمـة لفـؤاد المـريض تـذهب ببعض الحزن)(1)، وكان ﷺ إذا أخذ أحدًا من أهله الوعك أمر بالحساء من شعير فصـنع، ثم أمـرهم فحسـوا منـه، ثم يقـول:(إنـه يرتـو فـؤاد الحزين، ويسرو فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها)(2)

قلت: آمنت بمـا قـال رسـول اللـه ﷺ.. فهلا ذكـرت لي مـا كشفه العلم الحديث من تأويل ذلك ليطمئن قلبي؟

قالت: أفلا يطمئن قلبك إلا لما قالت المخابر؟

قلت: هي جند من جند الله.. فلـذلك نفـرح بمـا تأتينـا بـه من أخبار انتصار الحقيقة.

---

1) البخاري ومسلم.
2) ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح.

قالت: لقد أشارت هذه الأحاديث إلى استعمال حبوب الشعير غذاء ودواء فقد استعمله النبي ﷺ لأهل بيته خبزًا، وأمر به للمريض الذي لا يطعم الطعام، وأمـر بـه للحـزين، وإصـلاح فـؤاد المـريض، وأمر به للمبطون، فإن حساء الشعير يغسل بطن المريض. ويرتــو فؤاد الحزين، ويسرو فؤاد السقيم.

قلت: فما تفسير تأثير الشعير في إزالـة الحـزن، كمـا وصـف ﷺ التلبينة بأنها (تذهب ببعض الحزن)؟

قالت: لقـد أثبت البـاحثون أن من أسـباب الحـزن والاكتئـاب حدوث خلل كيميائي، كما أثبتوا أن هناك مواد لها تـأثر في تخفيـف الاكتئاب والحزن، مثل: عنصر البوتاسيوم والمغنيسـيوم ومضـادات الأكســدة والميلاتــونين وبعض عناصــر فيتــامين ب المــركب والسيراتونين.

والشـعير يحتـوي على كـل ذلـك، فهـو يحتـوي على عنصـري البوتاسيوم والمغنيسيوم اللذين يؤدي نقصهما إلى سـرعة الغضـب والانفعال والشعور بالاكتئـاب والحـزن، وضـبط عنصـر البوتاسـيوم والمغنيسيوم له تأثير في تخفيف الاكتئاب عن طريــق تـأثير هـذين العنصرين على بعض الموصلات العصبية.

والإنسـان يشـعر بالميـل إلى الاكتئـاب عنـد تـأخر العمليـات الفسـيولوجية للموصـلات العصـبية، ومن أهم أسـباب هـذا الخلـل نقص فيتامين ب المركب، والشعير يحتوي على كميـة طبيعيـة من بعض فيتــامين ب المــركب، وهــذا ممــا يســاعد على التخلص والتخفيف من الاكتئاب.

بالإضـافة إلى هـذا، فـإن علاج نقص مضـادات الأكسـدة مثـل فيتامين هـ لـه تـأثير فعـال في علاج حـالات الاكتئـاب والشـيخوخة وخاصة لدى المسنين، وأيضًا على فيتامين أ المضاد للأكسدة.

ويحتوي الشعير على حمض الأميـني تريبتوفـان الـذي يسـهم في تخليق أهم النـاقلات العصـبية وهـو السـيروتونين، والـتي تـؤثر بشكل واضح في الحالة النفسية والعصبية للمريض.

قلت: لقد سمعت قوله ﷺ:(التلبينة تغسل بطن أحـدكم كمـا تغسل إحداكن وجهها من الوسخ بالماء)فما تفسيره؟

قالت: التلبينة ملينة للأمعاء، مهدئة للقولون، مضادة لسرطان الأمعــاء، وهي توصــف للمرضــى كغــذاء لطيــف ســهل الهضــم.. والشعير غني بالألياف المنحلة وغير المنحلة، وهذه الأخــيرة تمتص كميات كبيرة من الماء وتحبسه داخلهـا، فتزيـد من كتلـة الفضـلات

مـع الحفـاظ على ليونتهـا ممـا يسـهل ويسـرع هـذه الكتلـة عـبر القولون، وينشط الحركة الدودية للأمعاء مما يدعم عمليـة التخلص من الفضلات.

زيـادة على هـذا، فـإن هنـاك أبحاثـا على أهميـة الشـعير في التقليل من الإصابة بسرطان القولون، حيث استقر الـرأي على أن الشعير يقلل من بقـاء الفضـلات في الأمعـاء؛ ممـا يقلـل من بقـاء المواد المسرطنة في الأمعاء؛ مما يقلـل من الإصـابة بالسـرطان، كما أن الشعير يحوي من عناصر مضادات الأكسدة والفيتامينات ما يقاوم الشوارد الحرة الـتي تـدمر غشـاء الخليـة والحمض النـووي، وقد تكون المتهم الرئيس ي حدوث أنواع معينة من السرطان.

ولهذا يستخرج من الشعير مادة تستعمل حقنًا تحت الجلــد أو شـرابًا في حـالات الإسـهال والتيفوئيـد والتهابـات الأمعـاء تسـمى الهوردنين.

قلت: أرى أن العلم الحديث يقف في صفك.. ويوشك أن تباع في الصيدليات.

قالت: لا يهمنا أن تقف علومكم معنا.. بل يهمنا ما شرفتنا بـه النصوص التي ربطت بنا الكثير من الأحكام الشرعية.

قلت: فأي أحكام ربطت بكن؟

قالت: ألا ترى أن النبي ﷺ لا يقصر الربا على الذهب والفضة ونحوها مما له علاقـة بـالنقود، بـل يـذكر القمح والشـعير ومـا هـو مثلهما من الأغذية الأساسية لئلا يتلاعب المرابون بها، فقد قال ﷺ: (التمر بالتمر، والحنطة بالحنطة، والشعير بالشعير، والملح بالملح، مثلا بمثل يدا بيد، فمن زاد واستزاد فقد أربى، إلا ما اختلف ألوانه) (1)

وأكثر ما وردت من صدقات الإطعام في الكفارات يجعـل من القمح والشعير مادته الأساسية، وقد قال ﷺ:(ليتصدق ذو الـدنانير من دنانيره، وذو الدرهم من درهمه، وذو البر من بره، وذو الشـعير من شعيره، وذو التمر من تمره من قبل أن يأتي عليه يوم فينظــر أمامه فلا يرى إلا النار وينظر عن يمينه فلا ينظر إلا النار وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار وينظر من قدامه فلا يرى إلا النار)(2)

قلت: فما ترين من سر النهي عن الربا في صــنفكن، والحث على الصدقة منكن؟

قالت: ذلـك واضـح.. فالربـا يقمـع الجشـع.. والصـدقة تنشـر

---

1) مسلم.
2) الطبراني في الأوسط.

الرحمة.

قلت: فما علاقة ذلك بالبركة؟

قالت: هذا هو سر البركة.. فالجشع والحرص الذي ملأ بطون قومك جعلهم يتلاعبون بجيناتنا ليهندسوها كما يشاءون.. أو ليوقعونا في الجنون الذي أوقعوا فيه البقر.

قلت: والرحمة؟

قالت: لا بركة بلا رحمة..

قلت: أرى لك اهتماما بما يقول العلم.. فهل لك اهتمام مثله بالتفسير؟

قالت: كيف لا يكون لي اهتمام بكلام ربي؟

قلت: فما ترين في الفوم الذي ورد في قوله تعالى:﴿ وَفُومِهَا ﴾، فقد اختلفت فيها أقوال المفسرين؟

قالت: لا شك أن هذه الآية تقصدنا معشر الحبوب.. بل هذا ما ذهبت إليه أكثر أقوال المفسرين[1].. فإن قدر الله وزرت الثوم.. فلا تسمع لما يقول، فهو يدعي أن هذه الآية تقصده.. ولا دليل له على ذلك.

اللبن

قالت لي سنبلة الشعير ـ وقد رأت عزمي على الانصراف ـ: أتراك سلوتنا؟

قلت: كيف أسلوكن.. وأنتن نعمة من نعم الله، وبركة من بركاته؟

قالت: فإلى أين المنصرف.. فلم نكمل ذكر بركاتنا؟

قلت: لا طاقة لي باستكمال تعلم جميع بركاتك.. فهل يحاط ببركات الله علما؟

قالت: أما إن قلت هذا، واعترفت بما أولانا الله من فضل، فإنا سنرسلك لنهر من أنهار البركات، امتلأ بجميع الخيرات، حتى فاض أعذب من نهر الفرات.

قلت: أراك تسجعين.. أو تلغزين.. فمن تقصدين؟

---

1) روي أن ابن عباس سئل عن قول اللّه تعالى:﴿ وَفُومِهَا ﴾ ما فومها؟ قال: الحنطة. قال ابن عباس: أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول:

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً   ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير، عن ابن عباس في قول اللّه تعالى:﴿ وَفُومِهَا ﴾ قال: الفوم الحنطة بلسان بني هاشم، وقال الجوهري: الفوم الحنطة، وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة: أن الفوم كل حب يختبز، قال: وقال بعضهم: هو الحمص لغة شامية، قال البخاري: وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم.

قالت: الرزق الذي أفاضه الله عليكم من بين الفرث والدم.

قلت: ذاك اللبن، وقد كان أول طعام رأيته في حياتي، فكيف أراه، وأنى لي أن أحادثه؟

قالت: أنا أوصلك إليه.

قلت: ألديك براق يطير بي إليه؟

قالت: لا.. انظر عن يمينك لتراه.

فنظرت فإذا نهر من لبن امتلأ بياضا وجمالا، فصحت أأنت النهر الذي وصفه الله تعالى بقوله:﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾(محمد:15)؟

قال: لا.. أنا النهر الذي وصفه الله تعالى بقوله:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾(النحل:66)، وقوله:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون:21)

قلت: فأنت نهر من أنهار الدنيا.. ولكني لا أعرف نهرا من أنهار اللبن.

قال: لو جمعتم ما تحلبونه من لبن كل يوم لشكلتم أنهار لا نهرا واحدا.

قلت: أنا أبحث عن أسرار البركات.. ولا علم لي بالجغرافية ولا التاريخ.. ولا بالمساحات ولا المكاييل.. فلذلك أخبرني عنك، وعن سر بركتك.

قال: لا يجحد بركتي إلا جحود.

قلت: أنا لا أجحدها، ولكني أريد أن أعلمها.

لبن الأم:

قال: أول بركاتي أن الله تعالى أوصاكم بأن تطعموا أولادكم عامين كاملين من لبني.

قلت: ذلك صحيح، فقد قال تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة:233)، وهي الآية التي تشرع أحكام الرضاع.

قال: ألا يكفيك ذلك للدلالة على الفضل الذي ملأني الله به.

قلت: بلى هذا فضل عظيم.. وقد زعم قومي أنهم استغنوا

عنه بالقارورات الزجاجية التي صنعوها.

قال: والأمهات التي در الله أثداءهن باللبن المبارك؟

قلت: مشغولات ببرامج يتفرجونها، أو ألعاب يلعبونها، أو شوراع يعمرونها، أو مكاتب يزينونها.

قال: بئست الأم التي لا تطعم ابنها بركتها.

قلت: أنت رجعي يا لبن.. فنحن في عصر جديد، وقد تطورنا في كل المجالات.

قال: هو تطور خال من البركات، مليء بالمنغصات.

قلت: صدقت، ولم تصدق.

قال: بين؟

قلت: أما كونه عصرا خاليا من البركات، فقد يكون صحيحا.. ولكنه ليس مليئا بالمنغصات، بل هو مليء المسرات.

قال: المسرات عنده وبه ومنه.. أما ما تسمونه مسرات، فليس سوى منغصات متسترة بالسرور الكاذب.

قلت: وهل تعرف المسرة؟

قال: كل أكوان الله لا تعرف إلا المسرة.. فالله لم يخلقنا لنحزن.

قلت: فقد وافقتني إذن.

قال: فيم؟

قلت: في أن البركات التي فيك لا تختلف عن البركات التي يصنعها قومي، ويسقونها الرضع.

قال: تلك السموم التي تسقونها الرضع لا بركة فيها، ألم تسمع الله تعالى، وهو يقول: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، فلم يذكر الزجاجات، وإنما ذكر الوالدات، ولم يكتف بذلك، بل حدد الأوقات حتى لا تتلاعب النساء والرجال بها.

قلت: لا أزال إلى الآن أراك وما نصنعه من لبن سواء، فكلاكما أبيض، وكلاكما معقم، بل إنه يزيد عليك بعناصر كثيرة وفيتامينات ومعادن تغري الآباء بالاستغناء عنك، والأمهات بإراحة أنفسهن منك.

قال: لا شك أنك لم تسمع قوله تعالى: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (الزخرف:54)

قلت: ذاك فرعون، وذلك شعبه.. ولا علاقة لي به.

قال: فأنتم قد استخفت بعقولكم شركات اللبن الكاذب، لتصرفكم عن الحقيقة.. فلم تبحثوا، ولم تنظروا، بل رحتم تبذلون

أموالكم، وتضحون بأولادكم.
قلت: إلى الآن.. كل ما أسمعه دعاوى.
قال: أعلم ذلك.. وأعلم ما تحتاجه.. ولهـذا أحضـرت معي مـا يقيم عليك الحجة.
قلت: وما أحضرت؟
قال: انظر..
فنظرت فرأيت علبة لبن رضع، وقد آتاها الله لسانا تعـبر بـه، فقلت: من أنت أيتها العلبة؟
قالت: أنا مسلمة لله تائبة من خطايا ارتكبتهـا، أو كنت سـهما فيهـا.. فهـربت منهم لمـا خفتهم.. وجئت إلى لبن الفطـرة لأودعـه أسرار ما يفعله المجرمون.
قلت: فحدثيني عن الفرق بينك، وبين لبن الأم.
قالت: أرأيت البيت الذي بنيته وتعبت في بنائه؟
قلت: ما حصل له.. لقد ملأتني رعبا.
قالت: لا تخف.. أرأيت لو أن بعض المحتالين أخـذه منـك في مقابل صورة لقصر فخم من القصور التي تزدهي بها الأحلام.
قلت: وما تغني عني صور القصور؟
قال: فما تـراه من ألواننـا هـو تلـك الصـور الـتي يريـدون أن يستبدلوا بها اللبن الذي يبني بيوت أجساد أطفالكم.
قلت: فهمت المثال.. فبرهني على صدقه.
قالت[1]: أول مـا يملـؤك بـاليقين الـذي يزيـل عنـك ظلمـات الشك هو أن تعلم أن لبن الأم يتناسب مـع حاجـة الرضـيع، فلـذلك يتطـور من يـوم لآخـر بمـا يلائم حاجتـه الغذائيـة، ويناسـب تحمـل جسمه، وغريزته وأجهزته التي تتطور يوماً بعد يوم.
قلت: ولكـني أرى في اللبن الصـناعي قـاروات تتناسـب مـع الأعمار المختلفة.
قـال: هي تنتقـل فجـأة من تقـدير إلى تقـدير.. أمـا لبن الأم، فيتحول من يوم إلى يوم فهو ـ مثلاً ـ يفـرز في الأيـام الأولى اللبن Colostrm الـذي يحـوي أضـعاف مـا يحـوي اللبن من الـبروتين والعناصر المعدنية، لكنه فقير بالدسم والسكر، كما يحـوي أضـدادا لرفع مناعـة الوليـد، ولـه فعـل ملين، ولـذلك فهـو الغـذاء المثـالي للوليد.

1 رجعنا للمعلومات العلمية في هـذا المطلب إلى كتـاب « مـع الطب في القـرآن الكريم » للدكتور عبد الحميد دياب، والدكتور أحمد قرقوز.

كما يخف إدرار اللبن من ثدي الأم، أو يخف تركيزه بين فـترة وأخرى بحسب الحاجة، وذلك لإراحة الجهاز الهضـمي عنـد الوليـد، ثم يعود بعدها بما يلائم حاجة الطفل.

قلت: فهمت هذا.. وهو ممـا لا يمكن للصـناعة تحقيقـه مهمـا تطورت.

قالت: وأزيدك أن لبن الأم أسهل هضماً، لاحتوائه على خمـائر هاضمة تساعد خمائر المعدة عند الطفـل على الهضـم، وتسـتطيع المعـدة إفـراغ محتواهـا منـه بعـد سـاعة ونصـف، وتبقى حموضـة المعدة طبيعية ومناسبة للقضاء على الجراثيم التي تصلها.

بينما يتأخر هضم خـثرات الجبن في لبن البقـر، لثلاث أو أربـع ساعات، كما تعدل الأملاح الكثيرة الموجودة في لبن البقر حموضة المعدة، وتنقصها مما يسمح للجـراثيم، وخاصـة الكولونيـة بالتكـاثر مما يؤدي للإسهال والقيء.

ويضـاف إلى هـذا مـا يسـببه لبن البقـر من مضـاعفات عـدم تحمل وتحسس لا تشاهد في الإرضاع الطبيعي كالإسـهال والـنزف المعوي والتغوط الأسود ومظاهر التحسس الشائع، كما إن الإلعاب والمغص والإكزما البنيوية أقل تواجداً في الإرضاع الطبيعي.

قلت: فهمت هــذا.. فاللــه خلــق الجهــاز الهضــمي للرضــيع متناسبا مع لبن أمه.

قالت: ويضاف إلى هذا أن لبن الأم معقم، بينما يندر أن يخلـو اللبن في الرضاع الصناعي من التلوث الجرثومي، وذلك يحدث إما عند عملية الحلب، أو باستخدام الآنيـة المختلفـة أو بتلـوث زجاجـة الإرضاع.

قلت:....

قالت: وأزيدك أن درجة حرارة لبن الأم ثابتة، وملائمة لحرارة الطفل، ولا يتوفر ذلك دائماً في الإرضاع الصناعي.

قلت: أرى الأمهـــات، وهن يـــرهقن كثـــيرا في تبريـــد اللبن وتسخينه كل حين.

قالت: ومع ذلك لا يصلن إلى درجة الحرارة التي تتناسب مــع رضيعهن.

قلت: هذه فوائد كثيرة.. وهي تكفي لإقناعي.

قــالت: فأضــف إليهــا مــا يحملــه لبن الأم من مصــادر قــوة المناعة، فلبن الأم يحوي أجساما ضدية نوعية تساعد الطفــل على مقاومة الأمراض، وهي تتواجد بنسبة أقل بكثير في لبن البقر، كما

أنها غير نوعية، ولهذا فمن الثابت أن الأطفال الـذين يرضـعون من أمهاتهم أقل عرضة للإنتان ممن يعتمدون على الإرضاع الصناعي.

والإرضـاع من الأم يـدعم الزمـرة الجرثوميـة الطبيعيـة في الأمعـاء ذات الـدور الفعـال في امتصـاص الفيتامينـات وغيرهـا من العناصر الغذائية، بينمـا يسـبب الإرضـاع الصـناعي اضـطراب هـذه الزمرة.

قلت: اقتنعت بما تقولين.

قالت: اسمع لتردع قومك.. فإرضاع الطفـل ــ الـذي أمـر بـه اللـه ــ يحميـه من الإصـابة بـأمراض مختلفـة، كالتهابـات الطـرق التنفسية، وتحدد الرئة المزمن الذي يرتبـط بترسـب بـروتين اللبن في بلاسـما الطفـل، وحـذف لبن البقـر من غـذاء الطفـل يـؤدي لتحسـنه من المـرض، ومثـل ذلـك التهـاب الأذن الوسـطى، لأن الطفل في الإرضـاع الصـناعي يتنـاول وجبتـه وهـو مضـطجع على ظهره، فعند قيام الطفل بأول عملية بلع بعـد الرضـاعة ينفتح نفـير أوستاش ويدخل اللبن واللعاب إلى الأذن الوسطى مؤدياً لالتهابها.

وتزيد حالات التهـاب اللثـة والأنسـجة الداعمـة للسـن بنسـبة ثلاثة أضعاف عن الذين يرضعون من الثدي، أما تشنج الحنجرة، فلا يشاهد عند الأطفال الذين يعتمدون على رضاعة الثدي.

قلت: إن ما ذكرته يفسر ارتفاع نسبة الوفيات عنـد الأطفـال الذين يعتمدون الإرضاع الصـناعي مقارنـة بنسـبة وفيـات إخـوانهم الذين يرضعون من الثدي.

قالت: وذلك بمقدار أربعة أضعاف رغم كل التحسـينات الـتي أدخلت على طريقـــة إعـــداد اللبن في الطـــرق الصـــناعية، وعلى طريقة إعطائه للرضيع..

قلت: اقتنعت بما تقولين.

قالت: وفوق ذلك، فإن الإرضاع الطبيعي أقل كلفة، بل هـو لا يكلـف أي شـيء من الناحيـة الاقتصـادية، فلـذلك ينتفـع بـه الغـني والفقير، والدول المتخلفة والدول المتطورة.

قلت: أدركت ما قلت، وبورك فيك، وتقبل الله توبتك.

قالت: لقد تقبلها بفضـله، فـآليت على نفسـي ألا أدع مجلسـا يـبين عـورة مـا يفعلـون بكم إلا ونهضـت محتسـبة للـه، ناهيـة عن المنكر، آمرة بالمعروف.

قلت: لقد سمعت قوله ﷺ:(يحرم من الرضاع مـا يحـرم من

النسب)(1)، وقد بحثت هذه المسائل في (فقه الأسرة)، وقد توقفت في النسب الذي يحرم به اللبن الاصطناعي.. ألا تعرفينه؟

قالت: ذكرتني بمزاحك.. ألا تعلم أن الأبحاث العلمية الحديثة(2) أثبتت وجود أجسام في لبن الأم المرضعة يترتب على تعاطيها تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات... وهي نفس الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثا والتي لم يكتمل نمو الجهاز المناعي عندها.

فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي ترضعه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية.

وقد وجد أن تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى أعراض مرضية عند الإخوة في حالة الزواج.

قلت: صدق رسول الله ﷺ، فقد أخبر أنه (لا تحرم المصة ولا المصتان)(3)

قالت: و(لا تحرم الإملاجة والإملاجتان)(4)

قلت: فهل اكتشفوا تأثير اللبن في الجينات؟

قالت: هذا محتمل، فقرابة الرضاعة قد يكون سببها انتقال عوامل وراثية من لبن الأم واختراقها لخلايا الرضيع واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع، ويساعد على هذه النظرية أن لبن الأم يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا، ومعلوم أن المصدر الطبيعي للجينات البشرية هو نواة الخلايا DNA كما يحتمل أن الجهاز الوراثي عند الرضيع يتقبل الجينات الغريبة، لأنه غير ناضج، حاله حال عدة أجهزة في الجسم، لا يتم نضجها إلا بعد أشهر وسنوات من الولادة.

قلت: إذا صح ما قلت.. فإن هذا سيفتح فتوحا في الطب، وخاصة في الأمراض الوراثية.

قالت: أجل.. ولعل الله يهدي بعض أهل السلام للبحث في هذا.

---

1) البخاري ومسلم.

2) انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام السنة النبوية: محمد كامل عبد الصمد، والعلوم في القرآن:د: محمد جميل الحبّال د: مقداد مرعي الجواري.

3(3) مسلم.

4(4) مسلم.

أسرار البركة:

عــدت إلى نهــر اللبن، وقلت: علمت بركــات لبن الرضــيع، فحدثني عن بركات لبن الفطيم، فإني أرى نفرا من قومي ينفرون منه.

قال: تقصد أولئك الذين تتلمذوا في مدارس الماكروبيوتيك.

قلت: وهل يعادي تلاميذ المباركوبيوتيك تلاميذ الماكروبيوتيك؟

قال: تلاميذ السلام لا يعادون أحـدا من خلـق اللـه.. فـأخبرني ماذا قالوا، فلعل شبهة عرضت لهم، فلنـا من المتكلمين من يجيب عنها.

قلت: لقــد ذكــروا أنه(1) يتســبب بــأمراض الســكري لــدى الأطفال وانتقاص مـواد الكالسـيوم والفوسـفور والمـاغنيزيوم في أجسامهم مما يؤدي إلى ضـعف العظـام وتسـوس الأسـنان، وإلى إصـابة الفـرد مسـتقبلاً بسـرطان القولـون وارتفـاع الكوليسـترول وغيرها من الأمراض.

كما كشفت الدراسـات أن ثمـة احتمـالات للإصـابة بسـرطان الثدي عند النساء، والبروستات لـدى الرجـال الـذين يفرطـون في تناول لبن البقر، وأيضاً يتسبب الإفـراط في تنـاول اللبن بسـرطان المبيض وضمور الخصوبة لدى النسوة.

قال: فما الذي دعاهم إلى هذه الدعاوى الخطيرة؟

قلت: دراسات كثيرة أجروهـا، وتوثقـوا منهـا، فهم يزعمـون ـ مثلا ــ أن بروتينــات لبن الأبقــار هي الســبب الرئيســي لأمــراض السكري لدى الأطفال، وأن المتهم هو البروتين المسـمى البـومين المصــل البقــري، فهــو يختلــف عن البروتينـات البشـرية اختالافـا يتسـبب للجسـم البشـري بـالرد لتوليـد الأجسـام المضـادة، وهـذه الأجسام المضادة تهاجم وتتلـف خلايـا بيتـا المنتجـة للانسـولين في البنكرياس.

قال: هذا عن البروتين، فماذا عن غيره؟

قلت: يقولون: إن منتجات اللبن خفيفة جدا، ويندر فيها وجـود الحديد حيث لا تحتوي إلا على ما نسـبته عشـرة مللغرامـات فقـط في كل اونصة منها.

وللحصول على الحصة الموصى بها يوميـا من الحديـد والـتي هي 15 ملليغرام في اليوم، فـإن على الاطفـال البـالغين أقـل من

(1) انظر: مجلة الـدليل إلى الطب البـديل، مقـال: مسـاؤى حليب الابقـار، الـدكتور فيليب حـدثي اختصاصـي في التشـخيص بحدقــة العين والعلاج الطـبيعي، وقـد ذكـر فيـه مساوئ وأضرار حليب الأبقار من خلال بحث علمي معمق ومراجع ودراسات.

عام أن يشربوا أكـثر من 31 كـوارت (قيـاس امـيركي يعـادل ربـع غالون)من اللبن في اليوم.

ونقص الحديد الناجم عن اللبن ليس مرده فقط نقص الحديد في اللبن، ولكنه يرجـع أيضـاً إلى نزعـة ذلـك اللبن لـدفع الأطعمـة الغنية بالحديد خارج غذاء الطفل، فـاللبن يتسـبب بنقص في الـدم في الجهاز المعوي، وهو يخفض مع الوقت من مخازين الجسم من الحديد.

وقد كتب باحثون من جامعة ايوا الاميريكيـة حـديثاً إلى مجلـة (جورنال اوف بيدياتريكس)التحـذير التـالي:(إن نسـبة كبـيرة من الأطفال الذين يتناولون لبن الأبقار يصابون بزيادة كبـيرة في نقص الهيموغلـوبين (الكريـات الحمـراء)، وبعض الأطفـال يعـانون من افراط في الحساسية للبن الأبقار ويمكن أن يخسروا كميات كبيرة من الدم)

قال: فما الذي ذكروا غير هذا؟

قلت: لقـد ذكـروا أن اللبن يعطـل عمليـة امتصـاص الأمعـاء للمعادن، إذ تبين أن الأطفال الذين يتناولون كميات كبـيرة من لبن الأبقار يعـانون من نقص في مـادة الكالسـيوم في أجسـامهم، مـع العلم أن المنتجات اللبنية تحوي كميات كبـيرة من الكالسـيوم غـير أن اجســامهم خلت تقريبــاً من المــاغنيزيوم أو الفســفور وهي ضرورية لامتصاص الكالسيوم.

قال: فهل هذا ما ذكروا.. أم أن هناك غيره؟

قلت: هـذا مـا أعملـه، وقـد يكـون هنـاك غـيره.. أرأيت مـا يحملونـه من عـداوة نحـوكم.. فهـل حملت من الحقـد مـا يكفي لمصارعتهم؟

قال: نحن لا نعرف الصراع.. أنسيت أنك في أرض السلام.

قلت: فقد وقفت موقفا حرجا يضـطرك إلى الصـراع.. فمـاذا تقول؟

قال: أقر بأنهم صدقوا في كل ما ذكروه.. ومن واجب النصـح على الخبير أن يذكر للخلق ما اكتشفه من المضار، وإلا كان خائنا.

قلت: فقد رجعت عن رأيك إذن في بركة اللبن.

قال: كيف أرجـع عن ذلـك.. وقـد قـال ﷺ:(من أطعمـه اللـه طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيـه، وارزقنـا خـيراً منـه، ومن سـقاه الله لبناً فليقل: اللهم بـارك لنـا فيـه، وزدنـا منـه، فـإني لا أعلم مـا

يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن)[1]؟
قلت: فقد وقعت في التناقض إذن، فأنت تسالمهم، وفي نفس الوقت تخالفهم.
قال: أنا لا أسالم، ولا أخالف.
قلت: وضح لي ما تريد.
قال: هؤلاء صادقون في ما قالوا.. وما ذكروا لا يدعو إلى هجرنا، بل يدعو إلى البحث عن سر هذه التأثيرات التي حصلت.
قلت: اضرب لي مثالا يبين لي منهجك في هذا.
قال: أرأيت لو أن سموما سرت إلى طعام تأكله، نبت منه لحمك، ونشز منه عظمك، أتراك تحذر منه أم من السم الذي وقع فيه.
قلت: بل أحذر من السم.. ولو حذرنا من الطعام لما بقي في الأرض طعام واحد يصلح للأكل.
قال: فكذلك هؤلاء.. لو أنهم بدل أن يحكموا على اللبن بحثوا في الأسباب التي جعلت اللبن بهذه الصفة لوجدوا من ذلك الكثير.
قلت: فدلني على بعض ما ينبغي أن يبحثوا فيه.
قالت: أول ما ينبغي أن يبحثوا فيه هو سر بركتي الذي عبر عنه ﷺ بقوله:(عليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر)[2]
قلت: فما في هذا الحديث من الأسرار؟
قال: ابحثوا عن نوعية غذاء البقر الذي نهوا عن لبنه، أهو غذاء المراعي الطبيعية الذي أخبر عنه ﷺ، أم هو الغذاء الاصطناعي الذي لا يتناسب مع طبيعة البقر، ولا طبيعة البشر[3]؟
قلت: وما الحاجة إلى ذلك؟
قال: لقد أخبر الله تعالى أن لنوعية الغذاء تأثيرها في اللبن، ألم يقل الله تعالى يبين منشأ اللبن: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾(النحل:66)
قلت: فإن وجدوا أن الغذاء الذي تتناوله هذه الأبقار كان طبيعيا.
قال: حينذاك يبحثون في كيفية وصول هذا اللبن إلى هؤلاء

1(5) أحمد وأبو داود والترمذي.
2(5) ابن عساكر.
3) ورد بمقال مهم تحت عنوان: شرب الحليب.. خطر يهدد صحتك! طارق قابيل، نشر بإسلام أون لاين بتاريخ 06/07/2002، أمثلة كثيرة عن أسباب تحول الحليب من بلسم شاف إلى سم ناقع.

الناس، هل يصلهم من ضرع البقرة إلى أفواههم، أم أنه يمــر على مصانع كثيرة، ويزود بمواد حافظــة وغيرهـا، فلا يصـلهم إلا بعـد أن يسام الخسف، ويذاق ألوان العذاب(1).

قلت: فإن شربوه من ضرع البقرة نفسها؟

قال: حينـذاك يبحثـون عن نمـط الحيـاة الـتي يعيشـها هـؤلاء الذين تضرروا بهذا اللبن.

قلت: وما علاقة نمط الحياة بهذا؟

قال الخبير: لها علاقة عظيمة، فقـد اظهـرت الإحصـائيات أن مظـاهر نمـط العيش مسـؤولة بنسـبة 50 بالمئـة عن العوامـل المـؤثرة في الصـحة.. ومن بين أهم عوامـل نمـط الحيـاة يـؤدي الغـذاء دوراً أساسـياً في تعزيـز الصـحة، والحيلولـة دون المـرض، وإطالة أمد الحياة.

قلت: فإن كان نمط معيشة هؤلاء صالحا؟

قال: كان ذلك خاصا بهم، لا عاما لكل الناس.

قلت: كيف تقول هذا؟ فالدراسات تنطلق من العينـات لتعمم أحكامها على كل الناس.

قال: لأن النصوص المقدسة عودتنا أنها لا تتخلـف، وقـد ذكـر اللـه تعـالى اللبن باعتبـاره من نعم اللـه على عبـاده، فلا ينبغي أن يتحول إلى نقمة إلا إذا أفسده العباد، أو فسـد العبـاد، ألم تقـرأ مـا ورد في الحــديث أن رجلا جـاء إلى رسـول اللــه ﷺ يقـول: أخي يشتكي بطنه.. فأمره رسول الله ﷺ أن يسقه عسـلاً.. فقـال: إني سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال ﷺ:(اسقه عسـلاً)، فسـقاه.. فبرئ. فقال رسول الله ﷺ:(صدق الله وكذب بطن أخيك!)(2)

---

1) أثبتت دراسة علمية متكاملة أجريت في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أن جميـع أنواع الحليب التي يتم تداولها في الأسواق هناك والتي تخضع لرقابة صارمة يتواجـد بهـا حوالي 59 نوعـا من الهرمونـات النشـطة، وعـدد كبـير من المـواد المسـببة للحساسـية، بالإضـافة للـدهون والكولسـترول. كمـا أكـدت التحليلات أن الحليب يحتـوي على كميـات ضارة من مبيدات الأعشاب، والمبيدات الحشرية والمواد السامة (2.200 مـرة أعلى من المستوى الآمن)، وحوالي 52 مضادًّا حيويًّا قويًّا، ودم وقيح وغائط وبكتيريا وفيروسات.

وأكدت دراسة أخرى أجريت على 78 ألف مريض على مدى 12 سنة أن الدول الأكـثر استهلاكا لمنتجات الألبان لديها نسب أعلى أيضًـا من مرضـى هشاشـة العظـام، وحـذرت الدراسة من أخطار تناول منتجات الألبان الشهيرة التي يفضلها الكبار والصغار؛ فالقضمة الواحـدة لقطعـة من الجبن تحمـل مخـاطر عشـرة رشـفات من الحليب؛ لأنـه عـادة مـا يستخدم عشرة جرامات من الحليب لعمل جرام واحـد من الجبن، وقضـمة الآيس كـريم خطرها يتجاوز خطر الحليب بحوالي 12 مرة، أما الزبـد فقـد يصـل خطـره إلى 21 مـرة ضعف الحليب. انظر: المقال السابق.

2) إن العسل لكي يحدث تأثيره الشافي يحتاج إلى مرور بعض الوقت، وقد يختلف مقدار هذا الوقت من مرض إلى آخر ويتضح هذا المعنى من تردد أخ المريض على النـبي

قلت: صدق الله..

قال: أما إن قلت هذا، فقد أثبتت أبحاث عليمة كثيرة أهمية اللبن الغذائية، فقد نشرت مجلة اللانست الطبية المشهورة عام 1985 دراسة قام بها الدكتور غارلاند من جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة حيث درس الغذاء الذي يتناوله ألفا رجل على مدى عشرين عاماً، فوجد أن أولئك الذين كانوا يشربون كأسين ونصف من اللبن يومياً أقل عرضة بكثير لسرطان القولون من أولئك الذين لا يتناولون اللبن.. ولهذا كانت نصيحة الدكتور غارلاند أن يشرب الناس ما بين كوبين إلى ثلاثة أكواب من اللبن القليل الدسم للوقاية من سرطان القولون..

وهناك دراسة أخرى من اليابان تشير إلى أن تناول اللبن يقلل من الإصابة بسرطان المعدة.. ومن المعروف لدى عامة الناس أن تناول اللبن عند المصابين بقرحة المعدة يخفف ألم القرحة.

وقد اكتشف العلماء في جامعة نيويورك في الولايات المتحدة أن اللبن يحتوي على مادة تسمى (البرستاغلاندين)وهي التي تقي من القرحة.. ومن الملاحظ كثرة التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال إلا أن هذا المرض يمكن الوقاية منه إذا أعطينا أطفالنا لبناً كامل الدسم(1).

قلت: فهذه الدراسات تثبت أشياء مهمة.

قال: هذا غيض من فيض.. فإنه لا يحاط ببركات الله، ألا تعرف الإمام جعفر الصادق ؟

قلت: كيف لا أعرف ذلك الجبل الهمام من جبال آل البيت الكرام عليهم السلام؟

قال: لقد كان فقيها في بركات الله.. فقد جاءه رجل، فقال: إن بي وجعا، وأنا أشرب النبيذ، ووصفه لي الطبيب، فقال له الإمام:(ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي؟)قال: لا يوافقني. قال:(فما يمنعك من العسل الذي قال الله فيه:﴿ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾(النحل:69)؟) قال: لا أجده، قال:(فما يمنعك من اللبن الذي نبت منه لحمك واشتد عظمك؟) قال: لا يوافقني. قال:(تريد أن آمرك بشرب الخمر.. لا والله لا آمرك)

ﷺ مشتكيا من أن أخاه لا يزال يعاني من مرضه وتأكيد الرسول الكريم ﷺ بالاستمرار في سقي أخيه العسل قائلاً: كذب بطن أخيك- وصدق الله العظيم- فيه شفاء للناس.

1) انظر: قبسات من الطب النبوي باختصار.

قلت: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾(آل عمران:34)

قال: أخبر قومك بأنهم لن ينتفعوا من بركاتي إلا إذا صاروا على الفطرة، وتركوني على الفطرة، فالحجب بيني وبينهم هي الفطرة، ألم تسمع حديث الإسراء؟

قلت: بلى.. فقد روي أن رسول الله ﷺ أتي ليلة أسري به بقدح من خمر، وقدح من لبن، فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل ﵇:(الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر، غوت أمتك)

قال: فقد أخبر ﷺ أنه يمثل الفطرة، ولا ينتفع به إلا من ترك جسمه على الفطرة.

بركات الزبادي:

قلت: ولكنك قد تتغير، وتخرج عن فطرتك، وتصير زبادي[1]، فهل نرميك؟

قال: لا.. هذا التغير تغير فطرة، لا تغير صناعة..

قلت: كيف ذلك؟

قال: إذا كبر الرضيع، فصار شابا، هل يخرج من الفطرة بذلك؟

قلت: لا.. هي مرحلة لا بد أن يصير إليها.

قال: فكذلك الزبادي مرحلة من مراحلي.. ولها من البركات ما للشباب من بركات.

قلت: فحدثني عن بركات الزبادي، فإني أجد نفسي تشتهيه بطبع فطرت عليه.

قال: فأبشر.. فنفسك لا تزال على فطرتها.. فالتفت عن يسارك، فإن لي نبعا يسير فيه ما تحول من لبني إلى زبادي، فاسأله.. فإن له من العلم بحاله ما ليس لي.

التفت، فرأيته بجمال اللبن، فقلت: حدثني عنك.

قال: أنا الزبادي.. ومن لا يعرف الزبادي.. أنا من وضع الله تعالى في بركة التجدد الدائم، والحيوية الثابتة، وجمال المظهر، وسلامة الأجهزة من الأمراض.

---

1) وقد عرف عند العرب منذ زمن بعيد وأصبح للبن الرائب عدة أسماء عربية مثل اللبن الزبادي أو الحاذر أو الحامض والخبيط، وورد ذكره في أسفار العرب وفي أحاديثهم، والأسماء التي وردت في لغتهم له أكبر دليل على معرفتهم. وكذلك الأطباء العرب تحدثوا عنه وعن فوائده العلاجية والغذائية، ومما قالوا فيه: ان اللبن الرائب ليس فيه من الحدة التي كانت في اللبن ولذا فإنه ينفع المعدة الملتهبة لأنه أبرد بينما يضر المعدة الباردة.

قلت: ما سر ذلك؟

قال: لأن الله وضع في معظم الفيتامينات الهامة.. زيادة على أن محتواي من المادة الدهنية سهل الهضم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنا من يقوي المعدة، ويقطع الاسهال، ويخصب البدن، ويفتح الشهية ويسكن الحرارة، وأنا خير وصفة لمعالجة القلاع عند خلطي بالعسل.

وقد بينت الدراسات والأبحاث التي أجريت علي أهميتي العلاجية حيث وجد أن الله تعالى وضع في بركات تتلف جراثيم العصبات القولونية في المعدة والأمعاء.. ووضع في ما يفيد في حالات التهاب الكبد والكلى وضعفها..

قلت: أأنت كل ذلك؟

قال: وفوق ذلك أنا طارد للغازات، مدر للبول، مكافح للحصى في المثانة والكلى، مذيب للرمال، مفيد في عمل أجهزة الهضم، وفي حالات تصلب الشرايين والوهن، كما أني مهدئ للأعصاب، محارب للأرق، مجمل للوجه، مطر للجلد.. فإن شئت أن تعلم صدق قولي، فاذهب إلى بلغاريا أوالقوقاز أوالأناضول.

قلت: لم؟.. وهل تباع هناك بثمن بخس؟

قال: لا.. ولكن لي قوما هناك يحبونني ويكرمونني.

قلت: فبماذا جازاهم الله؟

قال: بطول أعمارهم.. ألم تعلم أن علماء التغذية يذكرون أن نسبة طول العمر بين سكان بلغاريا والقوقاز والأناضول هي أعلى نسبة في العالم؟ ومن أسباب ذلك أن اللبن الرائب هو طعام هذه الشعوب الأساسي، وهو الذي أعطى لأجسامهم القدرة على التجدد الدائم والحيوية الثابتة وجمال المظهر وسلامة الأجهزة من الأمراض.

قلت: ما شاء الله، فما سر كل هذه البركات التي وضعها الله فيك؟

قال: لقد قاموا بتحاليل محدودة، ومع ذلك رأوا في من الخير ما لا يمكن حصره.

قلت: فما رأوا؟

قال: لقد وجدوا أني أحتوي على قيم غذائية عالية[1]، فأنا

---

1) أجريت بعض الدراسات في انجلترا على اللبن الزبادي وقد صرَّح العلماء بقولهم: إن الزبادي يعد مصدراً رائعاً للفيتامينات والمعادن والبروتينات ولذلك فهو مفيد جداً للذين يخضعون لنظام غذائي صارم "الرجيم" كما يفيد تناول الزبادي بعد العلاج

أحمل في تركيبي أغلب المعادن اللازمة للجسم.. كما أن المواد البروتينية التي تدخل في تكويني ذات القيمة الحيوية العالية.. وأن المادة الدهنية التي فيه سهلة الهضم.. كما أني أضم معظم الفيتامينات المعروفة القيمة الحيوية والضرورية للجسم، فأنا غني بفيتامين أ ومجموعة فيتامين ب المركب.. ونسبة ليست كبيرة من فيتامين ج.. كما أني ذات قيمة سعرية حرارية لا بأس بها.

قلت: فما الفرق بينك، وبين أبيك اللبن؟

قال: لكل منا منافعه وبركاته.. ولا تفاضل بيننا.

قلت: لم أقصد التفاضل.. ولكني قصدت أنواع المنافع.

قال: لقد وجدوا بمقارنتي باللبن أنني أتميز باحتوائي على حامض اللبن، وهو ما يساعد على قتل ما في من جراثيم، ولذا فإنني ذو فائدة عظيمة في القضاء على الغازات السامة بالجسم.. لأن الجراثيم الضارة لا تستطيع البقاء في حامض اللبن.

زيادة على ذلك، فأنا أساعد في تخفيف الوزن، ولهذا أدخل في أنظمة النحافة.. وسر ذلك احتوائي على نسبة بسيطة من السعرات الحرارية زيادة على أن نسبة البروتين العالية التي وهبها الله لي تحفظ عضلات الجسم والوجه قوية.

قلت: ذكرت أن لك تأثيرا في الجمال، فما سره؟

قال: سره هو كون فيتامين ب من محتوياتي، وهو عامل الجمال والحيوية للشعر والبشرة والعينين، كما يساعد على مقاومة الجوع بين الوجبات..

التمر

سرت مودعا نهر اللبن، فقال: إلى أين؟.. هل اشتقت إلى أهلك وولدك؟

قلت: لا.. ولكن لي إخوانا في مدائن السلام لا بد أن أعود إليهم.

قال: أفلا تصل رحمك؟

قلت: رحمي كثيرون.. فمن تقصد منهم؟

بالمضادات الحيوية، حيث إن المضاد الحيوي يقتل جميع البكتريا الموجودة بالجسم، سواء الضارة أو المفيدة، ولذا فتناول الزبادي يعوض المعدة عما تفقده من بكتريا مما يساعد في هضم الأغذية عموماً.

وقد ثبت أن البكتريا المفيدة للمعدة توجد في الزبادي، وهي بكتريا حامض اللاكتيل التي تساعد على تخليق بعض الفيتامينات وتخليق البروتين للوصول للاحماض الامينية مما يساعد على هضم الطعام، بما تفرزه من انزيمات فضلاً على استطاعة البكتريا الموجودة في الزبادي من تطهير المعدة وقتل الطفيلات.

قال: عمتك.
قلت: عماتي كثيرات، فمن تقصد منهن؟
قال: عمتك النخلة.
قلت: لا أذكر أن لي عمة بهذا الاسم.
قال: كيف تنسى عمتك؟
قلت: لقد ذكرت لـك أني لا أعـرف عمـة بهـذا الاسـم.. فقـد يكون خلط عليك.
قال: معاذ الله.. لا يخلط على مثلي.. ألا تـراني صـافيا كقلب المؤمن؟
قلت: بلى.. ولكـني صـادق أيضـا.. ويسـتحيل أن يكـون كلانـا صادق.
قال: فهيا نفعل ما تفعله الملائكة عند اختلافها.
قلت: فما تفعل؟
قال: تتحاكم إلى ناصح.
قلت: أرانا بمحـل خـال، فـأين نجـد هـذا الناصـح الـذي يحكم بيننا؟
قال: هاهي ذي النخلة تحكم بيننا.
فجأة ظهرت نخلة بمنتهى الجمال تحـوي أعـذاق نخـل تمتلئ بالحياة، فقلت: لا بأس، أقبل التحاكم إلى هـذه، فـإني أحب ظلهـا، وأحب بناتها.
التفتت إلي النخلة، وقالت: أهلا بابن أخي.. ما هـذا الجفـاء؟.. كيف تقاطع عمتك؟
قـف شـعري، وقلت: لا أعلم أن جـدي قـد تـزوج من بنـات النخل، فكيف تكونين عمتي؟
قـالت: ألم تسـمع قولـه ﷺ:(أكرمـوا عمتكم النخلـة، فإنهـا خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر أكـرم على اللـه من شجرة ولدت تحتهـا مـريم بنت عمـران، فـأطعموا نسـاءكم الولـد الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر)(1)
قلت: لا.. فاعذريني، ولو بلغني الحديث ما جادلت اللبن فيمـا لا أعلم.
قالت: لا بأس عليك.. فاللبن لا يحمل الأحقاد.
قلت: فحدثيني عنك وعن بناتك.

---
1) الموصلي وابن أبي حاتم، والعقيلي وابن عدي وابن السنى وأبو نعيم في الطب وابن مردويـه عن علي، قـال المنـاوي في الفيض (2/95)فالحـديث في سـنده ضـعف وانقطاع.

قالت: حديثي طويل، فاقترب لتستظل بالسعف المبارك.

اقتربت، فقالت: إن ما يملؤني بالسرور هـو سـماعي لتشـبيه الله لي بالمؤمن.. فلذلك تراني أقدم تموري حلويات لهذه البشارة العظيمة التي ملأني الله بها.

قلت: فتمورك علامة سرورك؟

قالت: هي فيض من سروري، وسر من أسرار فرحتي.

قلت: فكيف عرفت تشبيه الله لك بالمؤمن؟

قـالت: مـا بالـك يـا ابن أخي، إن كـان الحـديث لم يبلغـك، فالقرآن الكريم قد بلغك.

قلت: هو بلغني، ولكنه أوسـع من أن أدرك معانيـه، أو أحيـط ببركاته.

قالت: إن قلت ذلك واعترفت بقصورك، فاعلم أن الله تعالى شبهني بالمؤمن، فقال تعالى: أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ ضَـرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَـةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّـمَاءِ تُـؤْتِي أُكُلَهَـا كُـلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (ابراهيم: 24 ـ 25)

قلت: لقد ذكر الله تعالى شجرة طيبة، ولم يخصـك يـا عمـة، فكيف تخصصين القرآن الكريم بدون مخصص، وكيف تحملينـه مـا لا يحتمل؟

قالت: ألم تسمع الحديث الوارد في ذلك؟

قلت: أي حديث تقصدين؟

قـالت: مـا روي أن رسـول اللّـه ﷺ قـال يومـا لأصـحابه: (أخبروني عن شجرة ـ تشبه أو ـ كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاء، وتؤتي أكلها كـل حين بـإذن ربهـا)، فلمـا لم يقولـوا شيئاً قال رسول اللّه ﷺ:(هي النخلة) (1).

قلت: هذا حديث صريح يشـبهك بـالمؤمن، فطـوبى لـك هـذا التشبيه.

قالت: بل ورد هـذا في نصـوص أخـرى، ألم تسـمع قولـه ﷺ: (مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك)(2)

قلت: فهذا حديث آخر.

قالت: لا زال المزيد.. فقد قال ﷺ:(مثل المؤمن الـذي يقـرأ القرأن كمثل الأترجـة ريحهـا طيب وطعمهـا طيب، ومثـل المـؤمن

---

1) البخاري.

2) الطبراني في الكبير.

الذي لا يقرأ القـرآن كمثـل التمـر لا ريح لهـا وطعمهـا حلـو، ومثـل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مـر، ومثل المنافق الـذي لا يقـرأ القـرآن كمثـل الحنظلـة ليس لهـا ريح وطعمها مر)[1]

قلت: فهل هذا من أسرار بركاتك؟

قالت: بلى.. فالمؤمن مبارك.. ولا يشبه به إلا مبارك.

قلت: ففيم تشبهينه؟

قالت: أشياء كثيرة.. ألا تنظر إلى هامتي المرتفعة؟

قلت: بلى..

قال: فهي مثال عزة المؤمن.. ألا تنظر إلى ظلي المديد؟

قلت: بلى..

قالت: فهو مثال رحمة المؤمن.. أفلا تنظر إلى ثباتي الــذي لا تحركه الأعاصير؟

قلت: بلى..

قالت: فهو مثال ثبات المؤمن.. أفلا تنظر إلى صبري؟

قلت: أين هو.. لا أرى فيك شيئا اسمه الصبر.

قالت: ألا ترى أني أتحمل من الظـروف الجويـة القاسـية من ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الرطوبة ما لا تتحمله أي شجرة؟

قلت: هذا صحيح.

قالت: وفـوق ذلـك لا أطلب إلا خـدمات هي أقـل بكثـير ممـا يتطلبه غير من الأشجار.

قلت: هذا صحيح، وقد قال ﷺ:(مثل المؤمن مثل النخلـة مـا أخذت منها من شئ نفعك)[2]

قالت: صدق رسول الله ﷺ.. فأنـا أشـبه المـؤمن في صـبره وثباته وعزته ومنافعه.. وغير ذلك كثير.. فكيف لا أكون عمته؟

قلت: صدقت فيما ذكرت.. ولكـني لم آت لأبحث عن نسـبك، وصلتك بي، أو صلتي بك.

قالت: فعم تبحث؟

قلت: عن بركاتك.

قالت: وهذا من أعظم دلائل بركاتي.. فكل ما اقـترب الغـذاء من الإنسان، أو الإنسان من الغذاء، كلما كان ذلك أكثر أثرا وأعظم بركة.

---

1) البخاري.
2) الطبراني في الكبير.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألا ترى أجسامكم ترفض هذه الأغذية الصناعية، وتعبر عن رفضها بالأمراض والعلل؟

قلت: هذا صحيح.

قالت: سر ذلك هو غرابة هذه المنتجات عن الطينة التي خلقتم منها.. أما طينتي، فهي طينتكم، فإن دخلت بناتي إلى أجسامكم لم تجد شيئا غريبا، ولم تجد أجسامكم إلا ما يتناسق معها ويتكامل.

قلت: هذا صحيح.. وقد سمعت مثله، واقتنعت به.. ولكني امرؤ مغرم بالتفصيل.. فلا تجدي معي حجج العقل كما تجدي ثمرات المخابر، فحدثيني عما تقول المخابر عنك؟

قالت: ألا تزال المخابر تستعبدك؟

قلت: لا أزال في ابتدائية السلام.. ولا تزال أشياء كثيرة ورثتها من قومي تستعبدني.

قالت: ما دمت قد قلت ذلك.. فإني سأكلف تمرتين من تمراتي قد تكونتا في مخابركم، وستحدثك الأولى منهما عن بركات الغذاء، وأما الثانية، فستحدثك عن بركات الشفاء[1].

بركات الغذاء:

سمعت صوت تمرة جميل، فقلت: ما أحلى صوتك أيتها التمرة؟

قالت: طعمي كصوتي كلانا حلو.. فكونوا طيبين لتستحقوا الطيبات.

قلت: صدقت، فقد قال الله تعالى: وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ (النور:26)، ولكن أهناك تمر خبيث، فقد قال تعالى: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ (النور:26)؟

قالت: أجل.. ألم تسمع قوله تعالى: وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ (البقرة:267)

قلت: بلى.. فقد قيل: إنه التمر الرديء.

قالت: وأخبث منه تلك الحلويات التي تصنعونها، فتزيدكم خبثا على خبث.

---

1) من المراجع: كتاب: التداوي بالنبات و الطب النبوي، تأليف الدكتور عبد الباسط محمد السيد أستاذ مادة الجراثيم والمكروبات في الجامعات المصرية.

ندوة للدكتور عبد الباسط السيد على قناة الجزيرة في برنامج بلا حدود بتاريخ 04/12/2002 تم إعادة صياغتها بتصرف.

موقع شركة تمور المملكة على شبكة الإنترنت.

قلت: فحدثيني عن الطيبة، فقد سمعت من أنباء الخبث ما ملأني بالغثاء.

قالت: ألم تسمع قوله ﷺ:(بيت لا تمر فيه جياع أهله)

قلت: بلى..

قالت: فهذا الحديث يدل على أن التمر غذاء كامل..

قلت: صدقت.. وقد يدل على هذا أن رسول الله ﷺ دعا إلى التسحر بالتمر، فقال:(نعم سحور المؤمن التمر)(1)

قالت: هذا صحيح.. وقد عرف قومك أن السكر الموجود في طعام السحور يكفي ست ساعات، وهي مدة كافية لشغل الصائم عن الجوع والعطش.

قلت: وبعدها؟

قالت: وبعد ذلك يبدأ الإمداد الغذائي بالوقود من المخزون الموجود بالكبد، ولهذا أمر ﷺ الصائم إذا أفطر أن يفطر على التمر أو الرطب.

قلت: أجل.. فقد قال ﷺ:(من وجد تمراً فليفطر عليه، ومن لا يجد فليفطر على الماء فإنه طَهورٌ)(2)

قالت: أتدري ما سر ذلك؟

قلت: ما سره؟

قالت: لأننا أغنياء بفضل الله بمواد الطاقة، فنحن نحتوي على عدد من أنواع السكاكر كسكر العنب، وسكر الفاكهة، وسكر القصب، بل إن نسبتها فينا عالية تبلغ حوالي 70بالمائة.

قلت: فأنتم وقود بالدرجة الأولى؟

قالت: أجل.. وزيادة على ذلك فإن السكاكر الموجودة فينا سريعة الامتصاص سهلة التمثيل، إذ لا يحتاج امتصاصها إلى عمليات هضمية وعمليات كيماوية حيوية معقدة، كما هو الحال مثلاً في المواد الدهنية والنشوية والتي تحتاج الى مفرزات هضمية.. فلذلك تستطيع المعدة هضم التمر وامتصاص السكاكر الموجودة فيه خلال ساعة أو بضع ساعة.

قلت: فما تفسير ذلك؟

قالت: لأننا نحتوي على سكريات أحادية، وهي تصل سريعاً إلى الكبد، والدم الذي يصل بدوره إلى الأعضاء وخاصة المخ، أما الذي يملأ معدته بالطعام والشراب، فإنه يحتاج لساعتين إلى ثلاثة

______

1) البخاري ومسلم.
2) أبو داود والترمذي.

ساعات حتى تمتص أمعاؤه السكر.. ولهذا دعا النبي ﷺ إلى ابتـداء المفطر بنا.

قلت: هذه فوائد عظيمة.

قـالت: والأمــر لا ينحصــر في ذلــك فــإن فائــدة الســكاكر الموجودة فينا لا تنحصر في منح الحـرارة والقـدرة والنشـاط، بـل إنها مدرة للبول، وتغسل الكلى، وتنظف الكبد.

قلت: بورك فيك.. ولكن القيمة الغذائية لا تعتمد على سـهولة امتصـاص الجسـم للسـكريات فقـط.. وإلا فـإن كثـيرا من الأغذيـة سريعة الامتصاص، ومع ذلك لا تحمل أي منفعة.

قالت: لا تقل هذا عني، فإني ابنة عمتك.

قلت: فلتكوني.. لا يمنعـني من الحـق مـانع، ولا يصـدني عنـه صاد.

قالت: إن قلت ذلك.. فقد ذكر الخبراء الذي استعبدوا عقلـك أنــني غنيــة جــداً بــالمواد الغذائيــة الضــرورية للإنســان.. بــل إن كيلوغرامـا واحـدا مـني يعطي ثلاثـة آلاف كـالوري، أي مـا يعـادل الطاقة الحرارية للرجل متوسط النشاط في اليوم الواحـد.. أي أن الكيلـوغرام الواحـد مـني لـه نفس القيمـة الحراريـة الـتي يعطيهـا اللحم، بل إن ما يعطيه الكيلو الواحد مني يعادل ثلاثـة أضـعاف مـا يعطيه كيلو واحد من السمك.

قلت: ولكن الغذاء مع ذلك ليس حرارة فقط، فمن الغذاء مـا ينبت منه اللحم والعظم، ومنه الفيتامينات..

قالت: أتتيه علي بالفيتامينات.. إنني أحتوي منها على أهمهـا.. فإني أختزن فيتامين أ.. أتعرفه؟

قلت: أجـل.. فهـو يسـاعد على زيـادة وزن الأطفـال، ولـذلك يطلق عليه الأطبـاء اسـم عامـل النمـو، كمـا يحفـظ رطوبـة العين وبريقها، وبذلك يضاد الغشاوة الليلية.. وهو..

قالت: لا يمكنك عد فضائله.. وأنا أحتوي على نسبة عالية منه تعادل أعظم مصادره.. أي تعادل نسبته في زيت السمك والزبدة.

كما أني أحتوي على فيتامين ب 1وفيتامين ب 2..

قلت: أعرفها، فلهـا دور في تقويـة الأعصـاب وتلـيين الأوعيـة الدموية وتـرطيب الأمعـاء وحفظهـا من الالتهابـات والضـعف.. أمـا فيتامين ب2 فيوصف في آفات الكبد وتشقق الشـفاة وفي تكسـر الأظافر وتشقق الجلد.

قالت: فأنا احتوي عليه كما أحتوي على غيره من الفيتامينات.

قلت: ولكن الغذاء ليس فيتامينات فقط.. فهناك المعادن.. وما أدراك ما المعادن؟

قالت: أتفخر علي بها.. فاذكر لي ما تعرفه منها لأذكر لك علاقتي به.

قلت: هناك الفسفور، وهو يدخل في تركيب العظام والأسنان.. ويوجد بكثرة في ضراتك من المشمش والعنب.

قالت: كيف تقول هذا؟.. لقد ذكر الخبراء أنني أغنى من المشمش والعنب بالفسفور، ففي كل مائة غرام مني تجد أربعين مليغراما من الفسفور بينما لا تزيد كمية الفسفور الموجودة في أي فاكهة عن عشرين مليغراماً في نفس الكمية.

قلت: وهناك البوتاسيوم.

قالت: ألا تعلم أني أستخدم لعلاج نقص البوتاسيوم لاحتوائي على كميات كبيرة منه.

قلت: وهناك الحديد والكالسيوم؟

قالت: إن بضع حبات مني تزيد في مفعولها عن فائدة زجاجة كاملة من شراب الحديد التي تتناولونها، وتزيد على أخذ إبرة كالسيوم.

وفوق ذلك كله، فإن الحديد والكالسيوم موجودان في جسمي بشكل طبيعي يتقبله الجسم، ويتمثله بسرعة، بينما أدوية الحديد والكالسيوم تمجها المعدة، وتثقل غشاءها المخاطي، وقد لا تهضمها كاملة.. فإن شئت الدليل على ذلك فاذهب إلى مراحيض من يتناول هذه السموم، وقل لي: ماذا ترى؟

قلت: قولي وقولك، ودعيني، فقد ملأت أنفي بالروائح الكريهة.

قالت: ترى اصطباغ لون فضلات من يتعاطى الأدوية الحديدية بالسواد، وهو دليل على عدم الهضم الجيد، وعلى عدم موافقة الحديد الاصطناعي للجسم.

قلت: ومن المعادن المهمة المغنيسيوم.

قالت: وأنا أحتوي منه على نسب مقبولة مؤثرة، ألم تلاحظ بأن الذين يتناولون التمر بكثرة لا يعرفون مرض السرطان اطلاقا.

قلت: لم ألاحظ ذلك.

قالت: فقد لاحظ الخبراء ذلك..

قلت: وهناك البورون، وهو من العناصر النادرة والمهمة لنمو بعض الكائنات الحية، ويلعب دوراً كبيراً في الفيتامينات التي تكون

ذات أهمية لعلاج الروماتيزم، بالإضافة إلى تـأثيره على الهرمونـات الجنسية؟

قـالت: لقـد دلت الدراسـة على أنـني أحتـوي على البـورون بنسبة تصل الى 3 6ملجرام/ 100جرام في الجزء اللحمي والنوى على حد سواء.

قلت: فأنت منجم معادن إذن؟

قالت: ألم تسـمع الخـبراء، وهم يقولـون:(نقب عن المعـادن في مناجم التمر)

بركات الشفاء:

تقدمت التمرة الثانيـة، وقـالت في زهـو لم تسـتطع إخفـاءه: أتعرفني، يا تلميذ السلام.

قلت: أنت تمرة كسائر التمر.. فإن كنت أعرف التمـر، فـإني أعرفك.

قالت: لا.. أنا تمرة خاصة، ولي حكاية خاصة.

قلت: لا علم لي بحكاياتكم، فأخبارنا لا تعدو الإنس.

قالت: فلحكايتي علاقة بالإنس.

قلت: بـأيهم.. فـالإنس كثـيرون، ومنتشـرون.. وحكايـاتهم لا يحصيها الحاصي، ولا يدركها القاصي.

قـالت: حكـايتي مـع امـرأة امتلأت بـالطهر والعفـاف، حـتى صارت تاجا على رؤوس الأشراف.

قلت: أولئك أربع.. فمع أيهن كنت؟

قـالت: مـع تلـك الـتي تسـنمت ذروة الطهـارة حـتى جاءتهـا البشارة.

قلت: فحكايتك مع أم المسيح.. مريم البتول..

قالت: رزقك الله القبول.

قلت: فما حكايتك معها؟

قالت: كنت في النخلة التي قال اللـه تعـالى فيهـا: فَأَجَاءَهَـا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَـالَتْ يَـا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْـلَ هَـذَا وَكُنْتُ نَسْـياً مَنْسِيّاً(مريم: 23).. وأنا من الرطب الـذي قـال اللـه تعـالى فيـه: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً(مريم: 25)

قلت: فما سر إطعام الله لمريم ـ عليها السلام ـ من عذقك؟

قالت: لقد كشف قومك بعض ذلك.. ألم تسمع بما اكتشفوا؟

قلت: أسمع.. ولكن عقلي لم يكن يهتم بمثل هذا.. ولكني مـا إن رأيتكن وسمعت حديثكن حـتى صـار قلـبي يخفـق لكـل حـديث

يصرح أو يعرض بذكركن.
قالت: فقد وقعت في حبنا إذن.
قلت: أخشى من ذلك.
قالت: لا تخش.. فلا يحبنا إلا الكرام، ولا يكرمنا إلا المكرمون.. ألم يكن ﷺ يحبنا ويذكرنا.
قلت: بلى..
قالت: فقد استننت بسنة من سننه، واهتديت بهدي من هديه.
قلت: فحدثيني عن حديثك مع مريم ـ عليها السلام ـ
قالت: حديثي معها ذكره ربي.. وما كان لي أن أستدرك على ما قال، أو أضيف إلى ما ذكر، ولو علم الله أن في زيادة التفاصيل علما خيرا لذكره.
قلت: فحدثيني عما كشف قومي من أسرار اختيار الله لك دون غيرك طعاما للطاهرة البتول.
قالت: لقد ذكروا حكما كثيرة لذلك.. يعتبرها إخوان الإعجاز من دلائل الإعجاز، وقد صدقوا.. فلا يذكر مثل هذا إلا عالم بالتفاصيل.
قلت: فاذكري لي ما يطيقه عقلي مما ذكروا.
قالت: لقد تبين في الأبحاث المجراة على الرطب(1) أي ثمرة النخيل الناضجة، أنها تحوي مادة مقبضة للرحم، تقوي عمل عضلات الرحم في الأشهر الأخيرة للحمل فتساعد على الولادة من جهة، كما تقلل كمية النزف الحاصل بعد الولادة من جهة أخرى.
قلت: هذه فائدة جليلة.
قالت: وقد اكتشفوا أن الرطب يحوي نسبة عالية من السكاكر البسيطة السهلة الهضم والامتصاص، مثل سكر الغلوكوز، ومن المعروف أن هذه السكاكر هي مصدر الطاقة الأساسية، وهي الغذاء المفضل للعضلات، وعضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم، وتقوم بعمل جبار أثناء الولادة التي تتطلب سكاكر بسيطة بكمية جيدة ونوعية خاصة سهلة الهضم سريعة الامتصاص، كتلك التي في الرطب.
ونذكر هنا بأن علماء التوليد يقدمون للحامل، وهي بحالة المخاض الماء والسكر بشكل سوائل، وقد نصت الآية الكريمة

(1) انظر: أبحاث المهندس الزراعي اجود الحراكي ـ حضارة الإسلام ـ السنة 18 العدد 7، والإسلام و الطب الحديث: للدكتور عبد العزيز باشا إسماعيل، وحوار مع صديقي الملحد للدكتور مصطفى محمود.

على إعطـاء السـوائل أيضـاً مـع السـكاكر بقولـه تعـالى: فَكُلِي وَاشْرَبِي (مريم:26)

قلت: هذا إعجاز آخر.

قالت: أجل.. وهناك أنواع كثـيرة في هـذا لا تـزال في طيـات الغيب.

قلت: فـاذكري لي مـا ذكـروا.. واتـركيهم يبحثـون فيمـا لم يذكروا.

قالت: لقد ذكروا أن من آثار الرطب أنه يخفض ضـغط الـدم عند الحوامل فترة ليست طويلة ثم يعود لطبيعتـه، وهـذه الخاصـة مفيدة لأنه بانخفاض ضغط الدم تقل كمية الدم النازفة.

وذكروا أن الرطب من المواد الملينـة الـتي تنظـف الكولـون، ومن المعلوم طبيـاً أن الملينـات النباتيـة تفيـد في تسـهيل وتـأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة خاصة.

قلت: ألهذا أرى الصالحون ينصحون الحامل بأكلك؟

قالت: أجل.. فقد قال بعضهم:(مـا للنفسـاء عنـدي خـير من الـرطب لهـذه الآيـة، ولـو علم اللـه شـيئا هـو أفضـل من الـرطب للنفساء لأطعمه مريم؟)

قلت: فقد استنبط هذا من القرآن الكريم.

قالت: لقد كانوا يستنبطون كـل شـيء من القـرآن الكـريم.. فارجعوا إليه ففيه مفاتيح كل شيء.

قلت: فبركـات الشـفاء الـتي جعلهـا اللـه فيـك تخص النسـاء فقط، بل الحوامل منهن.

قالت: ومن قال ذلك؟.. أنا خير محض.. دواء للكل.. كمـا أني غـذاء للكـل.. ألا تعـرف بركـات مـا أعطـاني اللـه من الأليـاف السللوزية؟

قلت: هي لذيذة في فمي.. لكـني لا أدري تأثيرهـا في بطـني وأمعائي.

قالت: تلك الألياف تسـاعد الأمعـاء على حركتهـا الاسـتدارية، وبذلك تجعـل التمـر ملينـاً طبيعيـاً ولهـذا يسـاعد التمـر على تجنب أمراض البواسير.

بل وجد أنه للوقايـة من الإمسـاك يحتـاج الإنسـان إلى تنـاول التمر والـرطب لغنـاه بالأليـاف، فقـد وجـد أن كـل 100جـرام من التمر تعطي نحو 8.5 جرامات من الألياف، وهي مهمة للوقاية من الإمساك.

قلت: هذه فائدة عظيمة.. فهل هناك غيرها؟

قالت: كثيرة هي فوائدي.. وسأذكر لك منها ما يملأ صدرك انشراحا.

قلت: فاذكري لي.

قالت: لقد وجدوا أنني أساعد على العلاج من الأنيميا لما أحتويه من معدن الحديد.. وأني أعالج أمراض القلب لما أحتويه من هذا العنصر.. وأن لدي فعالية ضد الحساسية لاحتوائي على عنصر الزنك.. وأني أوقف النزيف أثناء الحمل لاحتوائي على فيتامين K والتانين الذي هو عبارة عن مادة قابضة.. وأني أستخدم في حالات الفشل الكلوي لاحتوائي على فيتامين بي1-بي2 وبي6 إضافة إلى سكر الفواكه.. وأني أخفف من الحموضة والحرقة لاحتوائي على الأملاح القلوية.. وأني أمنع الدوخة ودوار الرأس لاحتوائي على بعض العناصر مثل الكاروتين.. وأني أساعد على منع الخلايا السرطانية من النمو والانتشار لاحتوائي على المغنيسيوم والكالسيوم.. وأني أمثل نظاما لإعادة البناء في جسم الإنسان لاحتوائي على الفسفور وباقي الأملاح المعدنية والفيتامينات، وأن دقيق التمر المجفف ونواته المطحونة تساعد على الشفاء من الربو وضيق التنفس..

قلت: حسبك.. فقد امتلأت ببركاتك.

قالت: أفلا أسمعك نصيحة لم يسمعها قومك من قبل؟

قلت: أتريدين تقديم وصفة للشفاء؟

قالت: ليجربوها إن شاءوا.. فسيرون من بركاتها ما يملؤهم قناعة بالمباركوبيوتيك.

قلت: فيم تنصحين؟

قالت: بأن يطبقوا.. ولو مرة في حياتهم ما ورد في الحديث من أنه كان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رَسُول اللّهِ ﷺ نار.

قلت: فما كان غذاؤهم كل تلك الفترة؟

قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرَسُول اللَّهِ ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رَسُول اللّهِ ﷺ من ألبانها(1).

قلت: هذا الحديث يذكر شظف العيش الذي كانوا يعيشه ﷺ .. والحمد لله لقد فتح الله علينا من بركات الأرض.

---

1) البخاري ومسلم.

قالت: لا.. الحديث لم يفد ذلك فقط.
قلت: فما يفيد غير هذا؟
قالت: إنه يصف وصفة من وصفات المباركوبيوتيك.
قلت: فما تفعل هذه الوصفة؟
قالت: تعيد برمجة أجسامكم لتستقبل البركات.
قلت: أي بركات؟.. بركات الغذاء أم بركات الشفاء؟
قالت: إذا حلت البركة بالجسم غذت وشفت.. ولا خير في دواء لا يغذيك.. ولا خير في غذاء لا يشفيك.. ألم تسمع قوله ﷺ: (خير تمركم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه)(1)
قلت: فما البرني؟
قالت: نوع من أنواعي وهو ممن تشرف بغرس رسول الله ﷺ له بيده الشريفة بالمدينة المنورة.
قلت: أأنتم معشر التمر أنواع مختلفة؟
قالت: نحن مثلكم معشر البشر.. أنسيت أنني ابنة عمتك؟
قلت: اعذريني.. فقد ورثت النسيان عن آبائي وأجدادي.
قالت: فنحن أنواع كثيرة مختلفة الأشكال والطعوم، وقد أحصى العلماء من تمر المدينة وحدها مائة وبضعاً وثلاثين نوعاً(2).
قلت: فهل بركاتك تقتصر على ما غلا من التمر.. فإن بعضا مما ذكرت لا يستطيع الفقراء شراءه؟
قالت: فبشرهم أن بركات الله في كل تمر.. ففضل الله لا يؤثر الأغنياء على الفقراء.. ألم تعلم أنه ﷺ (كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه)(3).. ألم تسمع ما ورد في الحديث عن بعضهم، قال: (ربما رأيت رسول الله ﷺ يتلوى ما شبع من الدقل)(4)
قلت: وما الدقل(5)؟
قالت: التمر الرديء..
قلت: فهل هذا من الطب؟
قالت: من فهم عن رسول الله ﷺ علم أن حياته كلها خير ومصالح.. ولكنكم لا تزالون تعبدون المخابر، وتسجدون بين يدي

---

1) ابن عدي والحاكم والعقيلي والبخاري في تاريخه.
2) قال ابن الأثير: وأنواع تمر المدينة كثيرة استقصيناها فبلغت مائة وبضعاً وثلاثين نوعاً.
3) أبو داود.
4) الترمذي.
5) قال الزمخشري: الدقل تمر رديء لا يتلاصق فإذا نثر تفرق وانفردت كل تمرة عن أختها.

الفئران البيضاء.

قلت: أنستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله ﷺ نوع أكل التمر ليتناسب مع الحاجات المختلفة؟

قالت: أجل.. وقد دلت الأدلة الكثيرة على ذلك.. فهو يقول عن البلح:(كُلُوا البلح بالتمر فإنَّ الشيطان يقول: بقي ابن آدم يأكل الجديد بالعتيق)(1)، وفي رواية:(كلوا البلح بالتمر(2)، فإن الشيطان يحزن إذا رأى ابن آدم يأكله يقول: عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق)(3)

قلت: لماذا أمر النبي ﷺ بأكل البلح بالتمر، ولم يأمر بأكل البسر مع التمر؟

قال: لقد علل الطب التقليدي ذلك بأن البلح بارد يابس، والتمر حار رطب، ففي كل منهما إصلاح للآخر، بخلاف البسر مع التمر، فإن كل واحد منهما حار، وإن كانت حرارة التمر أكثر.. ولا ينبغي من جهة الطب الجمع بين حارين أو باردين.

وقد قالوا بأن في هذا الحديث: التنبيه على صحة أصل صناعة الطب، ومراعاة التدبير الذي يصلح في دفع كيفيات الأغذية والأدوية بعضها ببعض، ومراعاة القانون الطبي الذي تحفظ به الصحة.

قلت: فأرى الأحاديث أجمعت على التنوع، فهل ذلك سر من الصحة؟

قالت: أجل.. ألم يقل الله تعالى عن النحل:﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (النحل:69)

قلت: لقد ذكر الله تعالى اختلاف ألوان العسل.

قالت: لينبه بذلك إلى ما في اختلاف هذه الألوان من أدوية..

قلت: فكل لون دواء خاص.

قالت: كما أن كل نوع من الأنواع شفاء خاص وبركة خاصة.

قلت: فقد سمعت أنه ﷺ كان يخلط التمر بغيره من المآكل..

قالت: أعلم ذلك.. فقد روي أنه كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه(4)، وأنه كان يحب الزبد والتمر(5)، وأنه كان يقول:(خبز ولحم وتمر

---

1) ابن ماجة والحاكم.
2) الباء في الحديث بمعنى: مع، أي: كلوا هذا مع هذا.
3) رواه البزار في مسنده.
4) الطبراني في الأوسط والحاكم وأبو نعيم في الطب.
5) أبو داود وابن ماجة.

وبسر ورطب، إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا: بسم الله وبركة الله)(1).

قلت: وأنه كان يسمي التمر واللبن الأطيبين.

قالت: فهذه وصفة مباركة.. ألا ترى إلى ما وهبه الله للبدو الذين يقتصرون عليهما من صحة جسم، ورشاقة قد، وبعد عن الأوبئة والأمراض؟

قلت: أأنصح بها قومي إذن؟

قال: انصحهم على أن يعاملونا باحترام وإكرام لينالوا بركاتنا، فنصير أطباء في أجوافهم.. ألم يأمركم ﷺ بإكرام عمتكم؟

قلت: هذا صحيح، وقد ورد في الحديث أنه ﷺ كان إذا أتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم شفتيه وقال:(اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره، ثم يعطيه من كان عنده من الصبيان)(2)

قالت: فاستنوا به في إكرامه لنا لتنالوا من بركاتنا ما نال سلفكم منها.

الزيتون

أردت توديع التمرات المباركات، فقالت لي إحداهن: إلى أين تريد؟

قلت: إلى مدائن السلام، فقد طال غيابي عنها، وأحسب قلبي بدأ يدق شوقا إلى معلمي.

قالت: أي المعلمين: معلم السلام، أم معلم البركة؟

قلت: كلاهما.. فقلبي لا يفرق بينهما.

قالت: لا يمكنك أن تذهب حتى تزور أختا لنا قرنها الله بنا في البركات، وفي الآيات البينات.

قلت: لا شك أنك تقصدين الزيتونة، وتقصدين قوله تعالى: ﴿ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً﴾ (عبس: 29)

قالت: أجل.. فقد آتاك الله فطنة.. ولا أحسبها إلا من بركات التمر والزيتون.

قلت: صدقت.. فقد غذيت بلبانهما، وربيت على حبهما، وعجنت خلاياي بمائهما.

قالت: فهل ترغب في زيارة الزيتونة؟

قلت: لا مناص لي من زيارتها.. فمن الجفاء أن أزورك وأترك

---

1) الحاكم.
2) ابن السني.

أختك.. ولكن بلادها بعيدة، فـأنت نخلـة تائهـة في الصـحراء.. وهي مرابطة هناك في ثغور الجبال.

قالت: لا بأس عليك.. فقد يسر الله أن جاءت زيتونـة مباركـة تزورنا، وقد رغبت في الحديث إليك.

قلت: هي رغبت في ذلك.

قالت: أجل..

قلت: لقد سررت بما ذكرت.. ولعـل اللـه أن يبـارك في كمـا بارك فيها.

قالت: كل من أحب البركات باركه الله.. فأبشر، وبشر.

فجـأة ظهـرت زيتونـة لا شـرقية ولا غربيـة، تضـيء كشـعاع الشـمس المشـرق الـذي يـدفئ ولا يحـرق، فقلت مسـتقبلا: أهلا بالزيتونة التي رغبت في الحديث إلي.

قالت: وأهلا بالأخ الذي أحبني قبل أن يراني.

قلت: حدثيني عن بركاتك.. وعن سرها.. فإني تلميذ بركات.

قالت: لن أحدثك حتى تسمع ما ورد في فضـلي من الآيـات.. فأنا من أدوية السماء.. ونحن تشرفنا بذكر الله لنا قبل أن نتشرف بما في أجسادنا من العناصر.

قلت: أعلم ما ورد في ذكرك من القرآن الكريم، فـأنت الـتي أقسم الله بك، فقال: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾(التين:1)

قالت: وأنا التي جعلـني اللـه مثـالا للأنـوار المقدسـة، فقـال: ﴿ اللَّهُ نُـورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَـلُ نُـورِهِ كَمِشْـكَاةٍ فِيهَـا مِصْـبَاحٌ الْمِصْـبَاحُ فِي زُجَاجَـةٍ الزُّجَاجَـةُ كَأَنَّهَـا كَـوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَـدُ مِنْ شَـجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِـيءُ وَلَـوْ لَمْ تَمْسَسْـهُ نَارٌ نُـورٌ عَلَى نُـورٍ يَهْـدِي اللَّهُ لِنُـورِهِ مَنْ يَشَـاءُ وَيَضْـرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَـالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور:35)

قلت: وأنت التي وصفك الله بقوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُـورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾(المؤمنون:20)

قالت: وأنا التي أمر رسول الله ﷺ بأكل زيـتي، فقـال:(كلـوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)(1).. بل أخـبر بـأني علاج للادواء، فقال:(كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيـه شـفاء من سـبعين داء منهـا الجـذام)(2).. بـل وصـفني لبعض الأدواء، فقـال:(عليكم بزيت الزيتون فكلوه وادهنوا به فإنه ينفـع من الباسـور)(3)، وقـال:

1) الترمذي وقال حديث غريب. وأخرجه أحمد والحاكم.
2) أبو نعيم في الطب.
3) ابن السني.

(عليكم بهـذه الشـجرة المباركـة زيت الزيتـون فتـداووا بـه فإنـه مضحة من الباسور)(1)

قلت: فبركاتك في زيتك.

قلت: وهـل أنـا إلا زيت.. ألم يقـل اللـه تعـالى في: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ أي تنب الدهن، كما قـال تعـالى:﴿ وَمَنْ يُـرِدْ فِيـهِ بِإِلْحَـادٍ﴾ (الحج:25)، أي من يرد فيه الإلحاد.

قلت: فالباء زائدة إذن.

قاطعتني بقوة، وقالت: كيف تقول هـذا في كلام ربـك الـذي: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيـلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ﴾ (فصـلت:42).. ليس في كلامـك ربـك زائـد.. إن جهلت حرفـا.. فابحث عنه.. أو اسأل من يعرفه.

قلت: أتعرفين التفسير؟

قـالت: لا.. أنـا أضـعف من أن أعرفـه.. ولكـني علمت ممـا رزقني الله من فضله أنه لا زائد في الكون.. فالزيادة لغو.. والله لا يخلق اللغو.. فكيف يتكلم اللغو؟

قلت: صدقت.. فكيف عرفت ذلك؟

قالت: لقد جعل الله كل جزء مـني فوائـد محضـة.. فلـذلك لا أرى جـزءا مـني إلا ويمكن الانتفـاع بـه حـتى أغصـاني يمكنكم أن تجعلـوا منهـا فرشـاة لأسـنانكم بـدل فرشـاة السـموم الـتي تستخدمونها.

قلت: كيف ذلك؟.. تلك فرشاة ناعمة.

قالت: لقد قال ﷺ:(نعم السواك الزيتون من شجرة مباركـة يطيب الفم، ويـذهب بـالجفر، وهـو سـواكي وسـواك الأنبيـاء من قبلي)(2)

قلت: ولكنـه رخيص.. وقـومي لا يملأون أعينهم إلا بمـا يفـرغ جيوبهم.

قالت: فليسـتعملوني.. وقـد تنـازلت عن حـق ثمـني للفقـراء والمسـاكين.. فليـدفعوها لهم.. لينـالوا بركـتي، وبركـة التـداوي بالصدقة.

قلت: عرفت فضلك.. فحدثيني عن بركاتك.

قالت: لا تزال قاصرا عن معرفة فضلي.. فكلام الله لا يحـاط به.

1) الطبراني في الكبير وأبو نعيم.
2) الطبراني في الأوسط.

قلت: صدقت.. فاعـذريني.. فـإني من قـوم يكـثر نسـيانهم.. وتعظم غفلتهم.

قـالت: عـذرتك.. وسـأحدثك عن بعض بركـاتي لتـؤمن بكلام ربي.. وتتداوى بأدوية ربي.

قلت: أرى في كلامك حرارة أشواق المحبين.

قالت: وهل هناك في الوجود من لا يحب ربه.. إن دهني الذي ترونه ما هو إلا دموعي التي تخثرت شوقا إليه ومحبة له.

قلت: ولكننا لا نشعر بالمحبة إن أكلناك.

قـالت: لأنكم تـأكلون جيفـتي، ولا تـأكلون حقيقـتي.. تـأكلوني وأنتم تجهلوني.. ومن جهل شيئا حرم بركته.

قلت: ألهذا ذكرك القرآن الكريم ونوه بك؟

قالت: أجل.. ولكنكم لا تبصرون.

قلت: عـرفت هـذا.. فلا يمكن أن تنـال البركـات إلا بـالآداب والسلام والحياة.

قالت: إذا عرفت هذا.. فسأحدثك بما تشتهيه ويشتهيه قومـك من ثمـرات المعامـل والمخـابر.. وهي قليـل من كثـير، وغيض من فيض.. فلم تعلموا مني إلا قطرات من بحر محيط.

قلت: فحدثيني.. فكلي آذان صاغية.

قال: سأقتصر من حديثي على دور أناطه الله بي ترجـع أكـثر التفاصيل إليه.

قلت: وما هو؟

قالت: التطهير.. فأنا الدهن المغذي المطهر.

قلت: فما تطهرين؟

قالت: الجسم من أدرانه، والعـروق من أوحالهـا، والقلب من آلامه، والذاكرة من أوهامها.

قلت: أجملت ففصلي.

قالت: أما تطهـيري الجسـم من أدرانـه، فقـد جعـل اللـه في قدرة على تطهير الجسم من الحصوات، وقـد قـال بعض الأطبـاء: (رأيت حالات مرضية يصوم فيها المـريض بحصـوات المـرارة، ثم يشرب زيت زيتون لإذابة الحصوات، حيث تنقبض المـرارة وتطـرد الحصوات من الجسم)

قلت: ما شاء الله.. فكيف تطهرين العروق من أوحالها؟

قالت: وحل العروق هـو الكوليسـترول.. وقـد ارتبـط اسـمي

بالحد من الإصابة بارتفـاع الكولسـترول.. ألم تعلم أن الشـعوب[1] الــتي تســتهلك كميــات جيــدة من زيــتي تنخفض فيهــا نســبة الكولسـترول الضـار، وبالتـالي تتقي الإصـابة بتصـلب الشـرايين، والذي له علاقة كبيرة بأمراض القلب والجلطة؟

وسر ذلك أني أحتوي على أحماض دهنية متميزة تعرف باسم الاحماض الدهنية أحادية عديمة التشبع، حيث تعمل هـذه الأحمـاض الفريدة على الحد من ارتفاع معدل الكوليسترول في الدم.

كمـا أني أحتـوي على فيتامينـات خاصـة تعـرف بمضـادات الأكسدة وكذلك بعض المركبـات مثـل البـولي فينـول.. وكـل هـذه المركبـات، والـتي ترتفـع نسـبتها في تحـد من الاصـابة بارتفـاع الكوليسترول، أي بمعنى آخر تحد من تصـلب الشـرايين، وبالتـالي تحد من أمراض القلب، ولكن يجب أن يكون هذا الزيت مستخلصاً بطريقة معينة وبأسلوب يعطي زيتـا يسـمى(زيت الزيتـون البكـر) وهو ممتاز وناتج من العصرة الأولى.

قلت: فهمت هذا.. فلك علاقة بضغط الدم إذن.

قالت: أجل.. بحمد اللـه ومنتـه، وقـد وجـد أن مـرض ارتفـاع ضــغط الــدم من العوامــل الأساســية لحــدوث أمــراض القلب والجلطات حيث أن ارتفاع الضغط سواء الانبساطي أو الانقباضــي له تأثير سلبي على الإصابة بالأمراض المختلفة.

وقد لوحظ أن هنـاك علاقـة مباشـرة بين خفض ضـغط الـدم واستهلاك كميـات مناسـبة من زيت الزيتـون، ودل على ذلـك أحـد البحوث الـتي أجـريت على عـدد من المرضـى المصـابين بارتفـاع ضغط الدم، ويتبادلون أدوية لتخفيفه.

حيث قسـم المرضـى إلى قسـمين: الأول منهمـا عمـل لهم برنامج غذائي غني بزيت الزيتون (نخب ممتاز)أو ما يعرف بالبكر.

والنصـف الآخـر وضـع على برنـامج غـذائي غـني بـزيت دوار الشمس، وبعد فترة زمنية زادت عن 4 أشهر أشـارت النتـائج إلى انخفاض في المجموعة التي استهلكت زيت الزيتون، وقد استطاع المرضى في هذه المجموعة خفض جرعات الأدوية الخاصة بضغط الدم.

قلت: ما شاء الله.. وتبارك الله.

---

1) أشارت الأبحاث المختلفة في مجال علاقة الغذاء المستهلك للشـعوب وأمـراض القلب أن غذاء حوض البحر المتوسط لـه علاقـة وطيـدة بالحـد من ارتفـاع الكولسـترول ومن الإصابة بأمراض القلب وأرجع الباحثون هذه المعلومة أو النتائج الإيجابية إلى ارتفـاع استهلاك زيت الزيتون في غذاء هذه البقعة من العالم.

قـالت: ليس هـذا فقـط..بـل وجـدوا أن لي دورا وقائيـاً من السـرطان.. فقـد أشـارت الدراسـات إلى أن هنـاك انخفاضـاً في معدل الوفيات الناتجة من الإصابة بالسـرطان في منـاطق حـوض البحـر الأبيض المتوسـط، وقـد لوحـظ ان اسـتهلاك (ملعقـة زيت زيتون)يومياً يمكن ان تنقص من خطر سرطان الثدي بنسـبة أكـثر من 40 بالمائة.

وتوضح هذه الدراسات أن غذاء سكان هذه المنـاطق يشـمل على نسـبة جيـدة من زيت الزيتـون كمصـدر للـدهون في غـذائهم بالإضافة إلى تأثير اسـتهلاك الخضـار والفواكـه، وخصوصـاً الإصـابة بسرطان الثدي والمعدة.

قلت: فما العناصر التي جعلت لك هـذه القـدرة على الوقايـة من السرطان؟

قالت: ألا تعلم أن زيت الزيتون يحتـوى على نسـبة جيـدة من فيتامين (هـ) والذي يعرف بمضاد الاكسدة، وبالتـالي يقـوم بتغليـف وربط المواد المؤكسدة وتخليص الجسم منها.

قلت: إن من قومي من يدهنون جلـودهم بزيتـك.. فهـل هـذا لغو من الفعل؟

قالت: لا.. بل هو عين العقل.. فقد قام أحد الباحثين بدراسـة الادهان بزيت الزيتون على الجلد بعد السباحة، فوجد أن لـه تـأثيرا مباشرا في المساعدة في الحد من الإصابة بسرطان الجلد.

قلت: صدق رسول الله ﷺ عندما نصحنا بالادهان به.

قالت: أجل.. فأنا غذاء ودهن.

قلت: لقد ذكرت أن لك علاقة بالذاكرة.. فكيف ذلك؟

قـالت: يمكن لقطـرات من زيت الزيتـون تتناولهـا يوميـا أن تقيك فقدان الذاكرة وتبقي على أداء دماغك لوظائفه بشكل فعال عند بلوغك سن الشيخوخة.

قلت: فما السر في ذلك؟

قالت: هو الحوامض الدهنية غير المتشبعة التي يمكن العثـور عليها في الزيتون وحبة دوار الشمس وزيت السمسم.

فهذه المواد تحافظ على سلامة بينة الدماغ، لأن هنـاك حاجـة متزايـدة إلى الأحمـاض الدهنيـة غـير المتشـبعة أثنـاء عمليـة الشيخوخة.

وقد توصل فريق طبي إلى هـذه النتـائج بعـد أبحـاث شـملت 300 شخص تراوحت أعمارهم بين 65 و84 عامـا، حيث تـبين أن

الـذين تنـاولوا كميـات أكـبر من هـذه الأحمـاض ضـمن مكونـات وجباتهم الغذائيـة تمتعـوا بقـدرة أفضـل على التـذكر، وكـانوا أكـثر يقظة من غيرهم.

قلت: أرى لك ألوانا مختلفة.. فهل لها تأثير في بركاتك؟

قالت: تختلف بركاتي باختلاف أنـواعي وألـواني، فأنـا كـأنواع التمر وألوان العسل.. ألم يقل ﷺ:(تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)(1)

الخضر

كـانت الزيتونـة في غايـة السـرور، وهي تحـدثني، لكنـني أحسست بنوع من الإرهاق، فشعرت بحـالي، فقـالت: أرى وجهـك قد تغير.. فما الذي حصل؟

قلت: بعض الإرهاق أصابني.. لا عليك.. أكملي حديثك.

قالت: لا.. أرى الإرهاق باديا على وجهك، ولذلك سأرسل بـك إلى أخت لنا من أخواتنا أنبتها الله لنبي من الأنبيـاء لتظللـه بظلهـا، وتطعمه من لحمها، وتصرف عنه الهوام برائحتها.

قلت: لا شك أنها اليقطين.. فقد أنبتهـا اللـه على يـونس ﵇، كما قال تعالى:﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾(الصافات:146)

قالت: أتدري سر إنباتها له؟

قلت: أحب أن أدري.. ولكني لا أدري.

قالت: فهلم بنا إليها.. فهي في انتظارك.. ولا أحسـب إلا أنهـا مشتاقة إليك.

قلت: ما شاء الله.. لقد أحرجتموني معشر الأغذية المباركة.. فإني لم ألق في حياتي من يقدرني كتقديركم.

قالت: لقد ملأنا الله بالرحمة.. فلذلك تجدنا نبـذل أنفسـنا في ذات الله.

اليقطين:

لم أسر معهـا إلا قليلا حـتى وجـدنا ورقـة يقطينـة ممتـد على الأرض بلا ساق ولا قدم(2)، فقلت لها: هذا المكـان أحسـبه صـالحا

---

1) البخاري ومسلم.

2) قال المبرد والزجاج: كل شجر لا يقوم على ساق، وإنما يمتـد على وجـه الأرض فهـو يقطين، نحـو الـدباء والحنظـل والبطيخ، قـال الزجـاج: أحسـب اشـتقاقها من قطن بالمكان إذا أقام به وهذا الشـجر ورقـة كلـه على وجـه الأرض فلـذلك قيـل لـه اليقطين، وروي الفراء أنه قيل عنـد ابن عبـاس هـو ورق القـرع، فقـال: ومن جعـل القـرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين.

ويدخل في اليقطين كل شجر لا يقوم على ساق، كالبطيخ والقثاء والخيار.

لراحتي.. فهذه هي اليقطينة.

قالت اليقطينة: مرحبا بالأخ الصالح.. أراك تمر على إخواني وأخواتي وتنسى أن تمر علي..لولا أني دعوت الله، فأصابك ببعض الإرهاق لتأتي، فتزورني.

قلت: بورك فيك أيتها اليقطينة.. فلا أحسب أن الله تعالى ذكرك في القرآن الكريم إلا ولك شأن.

قالت: وهل في ذلك شك.. فأنا الطعام المبارك الذي كان يحبه رسول الله ﷺ، فقد ثبت أن رسول اللّه ﷺ كان يحب الدباء، ويتبعه من حواشي الصحفة.

قلت: أجل.. فقد ورد الحديث بذلك(1).

قالت: وكان يقول عني:(كلوا اليقطين، فلو علم الله شجرة أخف منها لأنبتها على يونس، وإن اتخذ أحدكم مرقا فليكثر فيه من الدباء، فإنه يزيد في الدماغ وفي العقل)(2).. وكان يقول: (إذا طبَخْتُم قِدْراً، فأكثِروا فيها من الدُّبَّاء، فإنَّهَا تَشُدُّ قَلْبَ الحَزِين)(3)

قلت: فما سر كل هذا الفضل الذي لك.. لقد ذكر القرآن الكريم، وأحبك رسول الله ﷺ؟

قالت: من الأسرار ما تفقهونها، ومنها ما لا تفقهون.

قلت: فخبريني عن الأسرار التي أفقهها.. فما لا أفقهه ألغاز لا طاقة لعقلي بحلها.

قالت: لقد ذكر سلفكم لي فوائد لا يجحدها إلا جاحد.

قلت: فما ذكروا؟

قالت: سرعة نباتي، وتظليل ورقي لكبره ونعومته، وجودة غذائي، وأني أؤكل نيئة ومطبوخة بلبي وقشري، وفوق ذلك لا يقربني الذباب.

قلت: ما شاء الله.. إن بعض ما ذكرت يكفي لفضلك.

قالت: ليس ذلك فقط، بل إن ما ركبه الله في من أنواع الأغذية يدلك على منافعي.

قلت: فما تركيبك؟

قالت: تبلغ نسبة الماء المبارك.7بالمائة وأحتوي على كمية قليلة من السكر والألياف، ولذلك لا تعطي المائة غرام مني سوى 65 حريرة فقط.

قلت: فأنت غذاء جيد لمن أراد إنقاص وزنه.

---

1) البخاري ومسلم.
2) الديلمي عن الحسن بن علي.
3) الغيلانيات.

قالت: أجل.. وفوق ذلك أنا فقيرة جداً من الصوديوم.

قلت: فأنت تناسبين المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم.

قالت: أجل.. وفوق ذلك فأنا غنية بالبوتاسيوم الذي يلزم الذين يتناولون الحبوب التي تدر البول، كما أني أحتوي على الكالسيوم والمغنيزيوم والفوسفور والحديد والكبريت والكلور.. وفوق ذلك، فأنا غنية بالفيتامينات وفي طليعتها فيتامين أ.

قلت: هذه بركات تركيبك، فما بركات شفائك؟

قالت: لقد ذكر عني أسلافكم أني أنفع المحمومين بمائي، وأقطع عطش العطشى، وأني أذهب الصداع إذا شربت أو غسل بي الوجه، وأني ملينة للبطن كيفما استعمل.. فلذلك أنا من ألطف الأغذية وأسرعها انفعالاً.

قلت: فما قال المحدثون؟

قالت: المحدثون مغرمون بالبحث في السرطان، ولذلك رأوني من الحصون الواقية منه، وقد نشرت مجلة الأبحاث البيوكيميائية عام 1985 دراسة أجريت في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، أشارت إلى أن لليقطين فعلاً واقياً من سرطان الرئة عند سكان نيوجرسي في الولايات المتحدة(1).

الثوم:

بينما كنت مع اليقطينة، إذ سمعت صوتا يناديني، فسألت اليقطينة عنه، فقالت: هو ابن خالي.

قلت: ومن ابن خالك؟.. فلا علم لي بأنسابكم.

قالت: الثوم..

قلت: بئس الطعام هو.. لا تقبليه إن تقدم لخطبتك.. فلا أعلمه إلا خبيث الرائحة.

قالت: هو خبيث الرائحة، لكنه طيب السريرة، فلا تحجبك رائحته عن طيبته

قلت: ولكني قرأت النصوص الكثيرة الواردة في النهي عنه، فالنبي ﷺ يقول:(من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، وليعتزل مساجدنا، وليقعد في بيته)(2)

قالت: هذا النص لا ينهى عن أكله، وإنما ينهى آكله عن الذهاب إلى المسجد إلا بعد تغيير رائحته.

---

1) كتاب الأربعين العلمية، عبد الحميد محمود طهماز.
2) البخاري ومسلم.

قلت: أفليس الذي يمنعني من المسجد خبيثا؟

قالت: لا.. لو كان خبيثا لحرمه الله تعالى.. ألم يقل تعالى في رسول الله ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الأعراف:157)

قلت: ومع ذلك.. يظل بمنأى عن الأغذية المباركة التي نزل فضلها من السماء.

قالت: لا تقل هذا.. بل إن في عدم تحريمه مع كونه من الأغذية التي تمنع الدخول إلى المسجد دليل على فضله وبركته.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: ألم يقل كثير من الفقهاء بوجوب صلاة الجماعة في المسجد؟

قلت: بلى...

قالت: وقد ذكروا أعذارا لمن يجوز له التخلف عن الجماعة.

قلت: ذلك صحيح.

قالت: فاعتبار أكل الثوم من الأعذار يدل على الأهمية التي يحملها في باطنه، والتي قد يصرف عنها ظاهره.

قلت: فهمت هذا.. ولكن كلامك مجرد استنتاجات عقلية.. والعقل لا حديث له مع الشرع.

قالت: لقد ورد في النصوص ما يدل على هذا، فلا تأخذ ببعض الكتاب، وترفض بعضه.

قلت: لقد ذكرت لك ما ورد.

قالت: لقد سمعت بعض النصوص، ولم تسمع غيرها.. والكامل هو الذي يسمع كل شيء، ليتسنى له الجمع بين المختلفات، والتوفيق بين المتناقضات.

قلت: فاذكري لي ما سمعت لأصحح به بعض ما سمعت.

قالت: لقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(كلوه.. ومن أكله منكم فلا يقرب هذا المسجد حتى يذهب ريحه منه، يعني الثوم)(1)، فقد أمر ﷺ بأكله.. والأمر في عرفنا يدل على الوجوب.. ثم أضاف إليه حكما آخر لا يناقض الحكم الأول، وهو النهي عن قرب المسجد لمن يأكله.

1) أبو داود والبيهقي.

قلت: فهذا تناقض.
قالت: لا..نزه كلام المعصوم عن التناقض.
قلت: فما فيه من العلم؟
قالت: هذا إرشاد صحي لا يفقهه إلا المتوسمون.
قلت: فأخبريني.. أيتها المتوسمة المباركة.
قالت: كأن النبي ﷺ في هذا الحديث يدعونا إلى اختيار أوقات معينة، أو طريقة معينة لأكل الثوم، ليكون ذلك أكمل في بركته.
قلت: وضحي هذا.
قالت: ألستم تعالجون بعض الأدوية قبل أن تستعملوها.. ثم تختارون لها أوقاتا معينة لاستعمالها.
قلت: ذلك صحيح..
قالت: وهكذا الثوم.. فهو من الأغذية التي تستدعي طرق طبخ معينة، وأوقاتا معينة، ولهذا قال ﷺ عنه وعن البصل:(من أكلهما فليمتهما طبخاً)
وأهدي إليه طعام فيه ثوم، فأرسل به إلى أبي أيوب الأنصاري، وقال: يا رسول الله، تكرهه وترسل به إلي؟ فقال:(إني أناجي من لا تناجي)
قلت: فاخبريني عن الأوقات الفاضلة لأكله.
قالت: سيخبرك الثوم.
قلت: فلم تحدثت بدله؟
قالت: خشيت أن تذهب إليه، وفي نفسك ما فيها من سوء الأدب معه، فتؤذيه، فلذلك ذكرت فضله لتأتيه، وأنت تدرك ذلك الفضل.. فلا تنال البركات إلا لمن أحسن الأدب.
قلت: لكني لم أرك ذكرت شيئا من الفضل إلا ما استنتجته بعقلك.
قالت: لم تدعني أكمل لك ما ورد في النصوص.. فقد قال ﷺ :(كلوه، فإني لست كأحدكم، إني أخاف أن أوذى صاحبي)(1)، وقال ﷺ:(لولا أن الملك ينزل علي لأكلته، يعني الثوم)(2)
قلت: كل هذه النصوص أدلة إباحة، لا أدلة بركة.
قالت: فقد قال ﷺ:(كلوا الثوم وتداووا به، فإن فيه شفاء من سبعين داء، ولولا أن الملك يأتيني لأكلته)(3)

---

1) أحمد والترمذي وابن حبان.
2) الخطيب.
3) الديلمي.

قلت: حســبي مــا ذكــرت.. ولم أكن مجــادلا.. ولكــني كنت أستفزك لتذكري لي ما ورد فيه.

قالت: إذا قلت هذا.. فاذهب إلى ابن خالي، ولا تنس أن تبلغه سلامي.

قلت: ذلك لك.. ولم أر في حياتي أطيب منكم معشر الأغذية المباركة.. ليت البشر مثلكم في طيبتكم، وحسن أخلاقكم.

قالت: فكلونا طيبين يرزقكم الله طيبتنا.

سرت قليلا قاصدا شجرة ثوم قـد بـدت لي من بعيـد، مـا إن وصلت إليها، حتى قال الثوم: كيف تركت ابنة عمتي اليقطينة؟

قلت: تركتها بخير وعافية، وهي تسلم عليك.

قال: سلمها الله من كل مكروه.. فهل ذكرت لك شيئا؟

قلت: هي تكن لـك كـل المـودة.. وقـد ذكـرت لي الأحـاديث الكثيرة التي نزعت عن عيني غشاوة سوء التعامل معك.

قال: بورك فيها..

فعهدي بها كأخواتها الخضر كريمة طيبة.

قلت: فهل تقدرك جميع الخضر؟

قال: تقدرني جميع الأغذية.. ونحن نلتقي في القـدر المباركـة لنكون الغذاء المبارك.

قلت: فحدثني عنك.

قال: لقد ذكرني الله تعالى في القرآن الكريم.

قلت: أين.. فلا أجد لك محلا فيه.

قال: ألم تسمع قوله تعالى: وَفُومِهَا (البقرة:61)؟

قلت: بلى.. ولكـــني في زيـــارتي لســـنابل القمح والشـــعير أخبروني بأن الفوم هو الحبوب.

قـال: ذلـك رأيهم.. وهـو لا يتنـاقض مـع رأيي.. أليس القـرآن الكريم حمال وجوه.. ولـو أراد اللـه وجهـا واحـدا سـماني باسـمي الذي لا يختلف علي فيه.. ولو أرادهم فقط لسماهم باسمهم الـذي لا يختلف فيه.

قلت: لقد ذكرن لي أدلة ما ذهبوا إليه، فبم تستدل أنت؟

قال: لقد قرأ عبـد اللـه هـذه الآيـة: وثومهـا ، وقـد اختـاره الفراء، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله، وهـو قـول كثـير من الخضـر التي أعرفها كالبصل، والفجل، والكراث.

بالإضـافة إلى ذلـك، فـإن الفـاء تبـدل من الثـاء، كمـا تقـول العرب: الجدث، والجدف: للقبر، والأثافي والاثـاثي، للحجـارة الـتي

توضع تحت القدر، ومغافير، ومغاثير: لضرب من الصمغ..
قلت: فحدثني عن بركاتك.
قالت: كثيرة.. ولكني سأكتفي بما يفيدك، ويفيد أكثر قومك.. وهو دوري في معالجة نزلات البرد الشائعة، فقد تبين للباحثين أن الذين يتناولون يوميا الثوم في غذائهم أقل عرضة للإصابة بنزلات البرد الشائعة بنحو الضعف.
قلت: فما سر ذلك؟
قال: لأن في تركيبي مادة تعرف باسم آلاسين، وهي المادة البيولوجية الرئيسية التي تنتجها نبتة الثوم، وهي المادة ذات الرائحة النفاذة التي تفرز عند عصر فص الثوم، وما تحتويه من العناصر الكبريتية، ولها القدرة ـ بإذن الله ـ على خفض معدل الإصابة بالزكام الشائع بنسبة تزيد على النصف.
قلت: سمعت أن بعض قومي يريدون تخليصك من رائحتك بإزالة هذا المادة(1).
قال: لا.. لا ينبغي أن يبدلوا خلق الله.. فما خلقها الله في إلا لسر يعلمه.. وأحسن من ذلك ما فعله ﷺ.
قلت: وما فعل؟
قال: لقد أمر من أكلنا، وأكل البصل بأن يميتنا طبخاً، ويذهب رائحتنا بمضغ ورق السذاب عليه.
قلت: وعيت هذا.. فواصل حديثك عن فوائدك.
قال: لي دور فعال في علاج التهاب القصبات المزمن، والتهاب الغشاء القصبي النزلي، والزكام المتكرر، والأنفلونزا..
قلت: لم.. وما سر ذلك؟
قال: ذلك نتيجة لطرح نسبة كبيرة من زيت الغارليك عن طريق جهاز التنفس عند تناولي.. بالإضافة إلى هذا، فإني أحتوي على مواد مضادة للبكتريا، ولها تأثير قوي حتى في العدوى القوية مثل الدسنتاريا.
قلت: فما لك من أدوار غير هذا؟
قال: أنا أفيد في حالات السعال، والربو، والجمرة الخبيثة، وقرحة المعدة، والغازات، والتهاب المفاصل.
قلت: سمعت أن لك علاقة بضغط الدم.

1) جرت أبحاث عديدة في مصر علي الثوم انتهت بقيام إحدي الشركات بإنتاج أقراص مأخوذة من الثوم، وهي مخففة للكوليستيرول في الدم ومنشطة للدورة الدموية، ولها أيضا تأثير علاجي مضاد للبكتريا في الجهاز البولي، هي بديل عصري لتناول الثوم دون التأفف من رائحته.

قال: أجل.. فقد تمت علي دراسات كثيرة لإثبات هذا، منها دراسة تمت في عام 1980م، وقد أثبتت أنني أخفض ضغط الدم وكذلك دهون الدم.

بل قد ثبت أنني يمكن أن أمنع تكون الجلطات الدموية، وذلك بمحافظتي على إبقاء الدم في حالة جيدة من سيولته بالاضافة إلى تخفيضي الجيد لكولسترول الدم، كما أني أساهم في تخفيض سكر الدم.

وليس ذلك فقط، بل قد وجدوا أن لي دورا علاجيا ووقائيا من الأورام الخبيثة.

قلت: صحيح هذا!؟..

قال: أجل.. ففي دراستين منفصلتين في الصين بإحدى المحافظات التي تعاني من ارتفاع ملحوظ في نسبة الوفاة من سرطان المعدة وجد انخفاض معدل الإصابة بسرطان المعدة إلى عشرة أضعاف في الذين يتناولون الثوم بصورة اعتيادية عن الذين لا يتناولونه.

وفي دراسة أخرى بالولايات المتحدة الأمريكية وجد أن زيادة تناول الثوم تقلل من خطورة سرطان القولون.

وهذه الدراسات الإحصائية أدت إلى دراسات معملية على حيوانات التجارب حيث أظهرت أن تناول الجرعات العالية من مركبات الثوم انخفاضاً ملحوظاً في حدوث سرطان الثدي والقولون والمريء وسرطانات أخرى نتيجة تعرض حيوانات التجارب لمواد كيميائية مسرطنة.

قلت: فما سر هذا التأثير؟

قال: لقد وجدوا أنه في حالة طحني أنتج مادة تعرف باسم (دياليل)، وهي التي تؤدي إلى تقليل حجم الأورام السرطانية إلى النصف إذا ما حقن المرضى بها.. بالإضافة إلى مواد أخرى تؤدي إلى توقف التصاق المواد المسببة للسرطان بخلايا الثدي.

قلت: وسمعت أن لك علاقة بتخفيض الكوليسترول.

قال: ذلك صحيح.. فقد أظهرت بعض الدراسات أن تناول الثوم يخفض من نسبة الكوليسترول منخفض الكثافة أو الكوليسترول السيء، والكوليسترول الكلي في الدم.

والمعروف أن معظم أمراض القلب والأوعية الدموية تشمل تصلب الشريان، حيث يفقد الشريان مرونته الطبيعية نتيجة تجمع الكوليسترول والدهون على الجدار الداخلي للشريان.

وعندما تتزايد الكميات المتراكمة من هذه المواد على الجدار الداخلي للشريان، فإنها تؤدي إلى حرمـان جـزئي من تـدفق الـدم مما يؤدي إلى حرمان العضو أو الجزء الذي يغذيه هذا الشريان من الحصـول على كفايتـه من الـدم اللازم لنقـل المـواد الغذائيـة والأكسجين.

وقد أكـدت الدراسـات أن اسـتخدام الثـوم لمـدة 12أسـبوعا يؤدي لخفض نسبة الكولسترول في الدم إلى 12 بالمائة والدهون الثلاثية إلى 17 بالمائة.

قلت: فلك علاقة بجلطة الدم إذن؟

قال: لا شك في ذلك.. وقد تم اسـتخلاص مـادة مـني يطلـق عليها أجون لها تأثير مضاد لتجلط الصـفائح الدمويـة، ممـا قـد يقي من حدوث جلطات بالدم.

قلت:....؟

قـال: وأنـا من الأغذيـة المضـادة للأكسـدة.. وذلـك لغنـاي بالسلينيوم وهو معروف بتأثيره المضـاد للأكسـدة.. وبـذلك أسـاهم في بعض التفاعلات الحيوية التي تحمي الخلايا من بعض الأمراض، كما يساعد السلينيوم في نمو الخلايا.

قلت:....؟

قـال: وأنـا مضـاد للميكروبـات.. فخلاصـتي لهـا فعـل مضـاد لنشاط البكتريـا والفطريـات.. وقـد عـرفت بهـذا منـذ زمن بعيـد.. ولهذا استعملت قديماً قبل اكتشـاف المضـادات الحيويـة في علاج التهابات الشعب والقصـبة الهوائيـة، وكـان يسـتعمل عصـير الثـوم المخفف في تطهير وتنظيف الجروح.. وهو يسـتعمل الآن كمطهـر للأمعاء، حيث أن تناوله يحد من نشاط البكتريا في حالات الإسـهال والانتفاخ.

قلت: فقد عرفت بركاتك قديما.

قال: من رحمة الله بخلقه أن دلهم على ما يصلح لهم.. ولهذا عرف الخلق بركاتي منذ وجودهم الأول على الأرض.

قلت: فهل هناك ما يثبت ذلك؟

قال: لقد وجد ذكر الخصائص الطبية للثـوم علي أوراق بـردي مصـرية عمرها3500 عـام.. وقـد اسـتخدمه اليونـانيون القـدماء، والمعالجون من الهنود كعلاج.. وقد استعمل سقراط أبخـرة الثـوم لعلاج بعض الأمراض السرطانية، ومنها سرطان عنق الـرحم، وقـد استعمل الثوم أثناء الحرب العالمية الثانية لمداواة إصابات الجنـود،

حيث كان يوضع على الجروح لتطهيرها.

وفي عـام 1858م اكتشـف العـالم باسـتير أهميـة الثـوم في القضاء على ميكروب السل، كما وجـد أن الثـوم فعـال كالبنسـلين بل ان قوته الفعالة تضاهي قوة الكثير من المضادات الحيوية.

وقد وجد بعض العلماء أن الثوم علاج للكوليرا والتيفوس، بـل اكتشف أن أكثر أنواع البكتيريا التي يسـتطيع الثـوم القضـاء عليهـا هي عصيات الجمرة التي تؤدي إلى مرض الجمرة الخبيثة.

قلت: فأنت صيدلية أدوية إذن.

قال: أجـل.. ولكن لا تبـالغوا في اسـتعمالي.. فـإن الـدواء إذا اسـتعمل فـوق حـده انقلب إلى ضـده.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(لأعراف:31)؟

قلت: بلى.. فما أضرار الإفراط في استعمالك؟

قال: الجرعـة الكبـيرة جـدا من عصـير الثـوم سـببت المـوت بالتسمم لبعض الحيوانات التي أجريت عليها التجارب، وقـد حصـل لها تلف بالكبد والمعدة والغدة الكظرية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الجرعة الكبيرة من الثوم قـد تسـبب آلامـا بالمعـدة أو غـازات أو إسـهالا أو بعض الأعـراض الأخـرى في الجهاز الهضمي.

قلت: فما الذي يقي من أخطارك؟

قال: مـا قالـه ﷺ.. ألم يقـل عـني وعن البصـل:(من أكلهمـا فليمتهما طبخاً)

قلت: فما في هذا الحديث من العلم؟

قـال: لقـد وجـد أن اسـتهلاك الثـوم طازجـاً يـؤدي إلى ايـذاء الجهاز الهضمي، ولذلك يعتبر الثوم المطهي أو المحضر في زيـوت الطعام من أفضل الطرق للحصول على فوائده.

البصل:

نادتني حبة بصل في الجوار: تعال إلي.. فلي من البركات مـا لا يقل على بركات الثوم..

قلت: أنا أبحث عن البركات المنصوص عليها.

قالت: وأنـا من المنصـوص عليـه.. وإن كـان قـد اختلـف في الفوم.. فإنـه لم يختلـف في أنـني أنـا البصـل الـذي ورد في قولـه تعالى:﴿ وَبَصَلِهَا ﴾(البقرة:61)

قلت: أجل..

قالت: ليس ذلك فقط.. بل روي في الحديث:(أن آخر طعام

أكله رسول الله ﷺ كان فيه بصل)[1]

قلت: ولكنه قد ورد في الأحاديث نهي من أكلك عن الــدخول إلى المسجد.

قالت: في جمعك بين النهي عن ذلـك، وعـدم التحـريم دليـل على ما فينا من البركات، ألم تسمع ما قالته اليقطينة؟

قلت: اعذريني، فقد نسيت.

قالت: لا حرج عليك.. ولن أطيل عليك.. فإني خفيفة الظــل.. وسأعدد لك من فوائدي ما ينشـرح لـه صـدرك، وتعلم بـه أننـا من الأغذية المباركة.

قلت: فما أسرار البركات في تركيبك؟

قالت: أنا مركبة من فيتـامين ج المضـاد للتعفن، والمـؤثر في النشاط، ومن مادة الكلوكنين، وهي مثل الأنسولين تضبط الســكر في الدم، ومن الفسفور والكالسيوم والحديد بكميات كثــيرة، ومن كـبريت، وحديـد، وفيتامينـات مقويـة للأعصـاب، ومن مـواد مـدرة للبـول والصـفراء، وهي منشـطات للقلب، ومن خمـائر وإنزيمـات مفيدة للمعدة، ومن مواد منشطة منبهة للغدد والهرمونات.

قلت: ورائحتك؟

قالت: سببها هو سلفات الآليل، وهي مادة كبريتية طيارة.

قلت: إن ما ذكرت من مواد يدل على أهميتك..

قالت: أجل.. وهو بعض ما اكتشف.. ولكني أنبهك إلى الحــذر من استعمالي بعد تخزيني مقطعاً، لأني أتأكسد، وتتكون مني مادة سامة، فلذا يجب استعمالي طازجاً.

قلت: فحدثيني عن بركات الشفاء بعد أن حدثتني عن بركات التكوين.

قالت: لقد ثبت علمياً أن عصيري يقتل الميكروبات السـبحية، ومثلها ميكروبات الســل، فهي تهلـك فـور تعـرض المـريض لبخـار البصل.

قلت: زيديني مما زادك الله.

قــالت: لقــد ثبت أني مضــاد حيــوي أقــوى من البنســلين والأورمايويسين، والسلفات.. ومن أجل ذلك فأنا أشفي بـإذن اللــه من الســل، والزهــري، والســيلان، وأقتــل كثــيراً من الجــراثيم الخطيرة.

قلت: إن هذه لبركات عظيمـة، فقـد أهلكت هـذه المضـادات

1) أبو داود.

الصناعية قومي.
قالت: ليس ذلك فقط.. بل لي تأثير علاجي عند الإصابة بنزلات البرد والرشح والسعال ووجع البطن، إلى جانب أني طاردة للديدان ومقوية ومنشطة للجسم.
قلت:....؟
قالت: أنا أعالج كثيرا من الأمراض، كالسعال الديكي، والربو، والتهاب الرئة، والبروستاتا، وتعسر التبول.
قلت:....؟
قالت: وأنا مفيدة للقوة التناسلية، والسرطان، والروماتيزم، ومقوية للأعصاب، وعلاج للاكزيما.. وأفيد في إزالة بقع ونمش الوجه عندما أسحق وينقع في الخل ثم يدعك بي الوجه.. وأفيد في سقوط الشعر إذا ما تم تدليك فروة الرأس بعصيري..وأنصح المصابين بالبول السكري بتناول بصلة متوسطة الحجم يوميا باعتباري أخفض كمية السكر في دم المصاب..
قلت: فوائدك كثيرة.. فبورك فيك.. فأخبريني عما يؤدي إليه الإسراف في تناولك.
قالت: الإكثار من تناولي قد يؤدي إلى الوخم والنوم العميق والإحساس بالعطش.
قلت: فما أكثر منافعك.. وأقل مضارك.

الكراث:

كان الكراث بجانب البصل.. فلذلك ما إن انتهت حبة البصل من حديثها حتى قال الكراث: وأنا.. لا تنسني.. فلي من الفوائد ما لا أقل به عن إخواني من العائلة الزنبقية.
قلت: والنصوص التي وردت في رائحتكم.
قال: ذلك شيء خلقه الله فينا، و لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (الروم:30).. ورائحتنا ــ على الأقل ــ أفضل بكثير من روائح السموم التي تتناولونها.. بل أفضل من روائح المعاصي التي تفوح من أفواهكم المنجسة بأكل لحوم بعضكم.. وأفضل..
قلت: أراك تخلف الثأر.. فهل تحمل حقدا؟
قال: نحن لا نحقد على المؤمنين المباركين.. ولكنا تنشق قلوبنا إن سمعنا فاسقا أو رأينا كافرا.
قلت: عهدي بكم من عالم السلام.
قال: نحن من العالم الذي قال الله تعالى فيه: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا

لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (مريم: 90 ـ 92)

قلت: فأنت تبغض الفسقة في الله.

قال: كما أحب الطائعين في الله.

قلت: فما تنيلهم من بركاتك؟

قال: ألم أقل لك: إن بركاتي لا تقل عن بركات البصل والثوم؟

قلت: فحدثني عنها.

قال: أول بركاتي أن الله جعلني فوائد بجسمي كله حتى جذوري.. وأنا أحتوي على عدة فيتامينات من أهمها أ، ب، ج، كما أحتوي على بروتينات وسكاكر وكالسيوم وفوسفور وبوتاسيوم ومنجنيز وحديد وكبريت وكلورين وسيليكون[1]..

قلت: هذه بركات تكوينك.. فما بركات أكلك؟

قال: لقد عرف البشر بركاتي من قديم الزمان، فقد ورد ذكر الكراث في ورقة بردية قديمة يرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة.

وقد وجد الكراث في مقابر رومانية قديمة، وقد قيل ــ كما ذكر المؤرخ بلين ـ إن الأمبراطور الروماني نيرون كان يخصص يوما كل شهر لتناول الكراث، وذلك ليحسن صوته.. كما يروي أن الفرعون شوبس كافأ أحد السحرة بمائة حبة من الكراث.. كما أن الفيلسوف اليوناني أرسطو كان يرجع نفاذ صوت الحجل وقوته إلى تناوله الكراث.

ضحكت، وقلت: وأبو قراط.. ألم يسمع بك؟

قال: بلى.. كيف لا يسمع بي أبو الطب اليوناني، لقد عرف أني أدر البول، وألين المعدة وأوقف التجشؤ، وأشفي من السل والعقم وأدر حليب المرضعة وأشفي من القولنج وأقطع نزيف الأنف وأقضي على اختناق الرحم.

قلت: وداود الأنطاكي ماذا قال عنك؟

قال: لقد ذكر أني أنفع من الربو، وأوجاع الصدر والسعال وخاصة إذا طبخت في الشعير شرباً وأزيل البواسير ضماداً بالصبر، وأجلو الكلف والنمش والثآليل طلاء بعسل النحل.

قلت: وابن سينا.. لا أظن أنه يجهلك.

قال: لو جهلني ما اعتبره الناس طبيبا، لقد وصفني للثآليل والبثرات، ولفساد اللثة والأسنان.. وللبواسير مسلوقاً أكلاً وضماداً..

---

1) بتحليل الكراث وجد أن المائة غرام منه يحتوي على:نسبة عالية من الأملاح المعدنية والفيتامينات ففيه 90% من وزنه ماء، وبه 1 غرام بروتين، وحوالي 5 غرامات سكر، وكثير من الأملاح المفيدة للجسم.

وأني أوضع على الجراحات الدامية، فيقطع دمها.

بالإضافة إلى ما اتفقـوا عليـه جميعـا من صـلاحيتي لأصـحاب الألحان باستعمالي لتصفية أصواتهم.

قلت: إذن لم يجهلك إلا قومي.. فلا أراهم يصفونك للأصـحاء، ولا للمرضى.

قال: أكثر قومـك يجهلـوني.. ولكن منهم من فتح اللـه عليهم من علوم الكراث ما جعلهم ينتبهون لفوائدي.

قلت: فما ذكروا؟

قال: لقد اعتبروني في تأثيري الطـبي مقاربـاً لتـأثير البصـل.. فأنا مهضم ومقشـع.. أي طـارد للبلغم.. ومطـر.. أي ملين.. ومـدر للبول، وطارد للديدان.

وقد أثبتت الأبحاث أن لي تأثيرا مضادا للبكتريا، وبالأخص ضـد النوع ستافيللوكوكس أورس موجبة وسالبة الجرام.

قلت: أهذا ما ذكروا؟

قال: إن احتجت أن تعرف كل ما ذكروا، فاصبر ولا تستعجل.

قلت: فاذكر، فإني صابر.

قال: أنا أقوي دفاعكم الطبيعي المهدد بالاعتـداءات الفصـلية أو الجرثومية، وذلك بتزويدكم بالفيتامين(ب)، وهو عنصـر التـوازن، والفيتامين (ج)المقاوم للأنتان والتعب.

قلت: فزدني زادك الله بركة.

قال: إن أجل خدمـة أقـدمها لكم هي في جهـازكم الهضـمي، فأنا صديقه الصدوق.. فأنا سهل الهضم، فإذا ما صنعت مني حساء استطاعت أكثر المعد الحساسة تقبله وهضمه دون أن يسـبب لهـا أي تقبض، كالذي تبديه حيال غيري من الأطعمة.

بالإضـافة إلى هـذا، فأنـا أريح المعـدة وأنشـطها، واختمـاري يسهل عملية الهضم والامتصاص.. أما ما أحتوي عليـه من كـبريت، فإنه يقاوم التخمرات العفنة.

أما سكر الخشب الـذي يكـثر في والسـللوز، فإنهمـا يقومـان بتنظيف الأمعاء تنظيفا شاملا، فالعنصر الأول يجـرف أثنـاء مـروره في الأمعاء جميع ما يكون قد تخلف فيها من فضلات الطعام، بينما يعمل العنصر الثاني في طرها خارجـا، ومن هنـا ظفـرت بشـهرتي التي لا شك فيها، بصفتي ملينا لطيفا وطبيعيا.

قلت: أنت صديق صدوق للجهاز الهضمي.

قال: وصديق صدوق للدم.. فأنا أقاوم فقـر الـدم بمـا أحتـوي

عليه من الحديد، وأنشط توالـد وعمـل الكريـات الحمـراء. وأقـوي العظام والجلد بفضل ما أضمه من الجير والكلس، كما أني أنشـط الجهاز العصبي بما أحمل من مغنيزيزم.

قلت:....!؟

قال: وصديق صدوق للرشاقة فأنـا أخفـف البدانـة.. وصـديق صدوق للجلد فعصيري مـع الحليب يسـتعمل غسـولاً للوجـه لإزالـة البقع الحمـراء والطفح الجلـدي.. وعصـيري مـع لب القمح وسـكر قليل يستعمل لبخات على الجراحات والـدمامل لانضـاجها وإخـراج مـا بهـا من صـديد.. كمـا أن مغلي أوراقي ينفـع مطهـراً ومعقمـاً للجـروح.. ولإزالـة آلام قـرص الحشـرات يفـرك مكـان القرصـة بالكراث.

قلت: عرفت أصدقاءك، فمن أعداؤك الذين تقهرهم؟

قـال: أنـا عـدو تصـلب الشـرايين والروماتيزمـا وداء الملـوك والتهابات الكلى والمثانة والسمنة.. لأن ما أحتوي عليه من خلاصـة الـ sulfo-azotee يضعني في مصاف أفضل مدرات البول التي وضعها الله في الطبيعة.

قلت: أنت غني جدا وقوي جدا.

قال: أجل ـ بحمد الله ومنتـه ــ فأنـا بالإضـافة إلى مـا ذكـرت غني بالأملاح القلويـة إلى درجـة جعلت بعض البـاحثين لا يـترددون في القول بأن المعالجة بالكراث لا تقـل نفعـا عن المعالجـة بميـاه (فيشي)المعدنية.

ولعــل أهم مــيزة في هي أني أقــدم لكم في فصــل الشــتاء عنصــرا لا غــنى عنــه على ندرتــه في الأشــهر البــاردة، ألا وهــو الكلوروفيل الذي يقـوم بـدور فعـال في تنشـيط التبـادل الغـذائي، وتسهيل عملية استخدام المواد المبتلعـة، وتنشـيط قـدرة العضـلة القلبية.

قلت: فوائدك عظيمة، فبم تنصحني؟

قال: احتفظ دائما بـاوراقي الخضـراء، وإذا كنت من أصـحاب الحدائق، فتشبه بـالفلاحين الـذين يكتفـون، بـدافع من الاقتصـاد أو الحكمة، بقطع أوراقي لصنع الحساء، ولا يقتلعـون الكـراث كلـه إلا عندما يريدون طهو طبق منه، أو إذا مارأوه أوشك أن يبرز.

***

بعـدها دلـني الكـراث على بعض النباتـات الـتي وردت فيهـا

النصوص المقدسة، وكان من أهمها السلق(1) الذي أخبرني بحديث أم منذر عندما قالت: دخل علي رسول الله ﷺ ومعه علي، ولنا دوال معلقة، قالت فجعل رسول الله ﷺ يأكل وعلي معه يأكل، فقال رسول الله ﷺ:(مه يا علي فإنك ناقه)، قالت: فجعلت لهم سلقاً وشعيراً، فقال النبي ﷺ:(يا علي فأصب من هذا، فإنه أوفق لك)(2)

ثم مررنا على الرجلة فحدثتني بما روي أن النبي ﷺ مر بها وفي رجله قرحة فداواها بها، فبرئت، فقال رسول الله ﷺ:(بارك الله فيك أنبتي حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع)(3)

ثم مررنا على السفرجل(4)، فحدثني بحديث عن أبي ذر، قال أتيت النبي ﷺ وهو في جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلبها، فلما جلست إليه، دحا بها إلي ثم قال:(دونكها أبا ذر، فإنها تشد القلب، وتطيب النفس، وتذهب بطخاء الصدر)(5)

الفواكه

قالت السفرجلة لي، وقد رأت إعجابي بحديقة الخضر، وما فيها من أصناف البركات: أفلا أدلك على حديقة أكثر بهجة، فضلت

---

1) قال فيه الطب القديم: السلق حار يابس في الأولى، وقيل رطب فيها، وقيل مركب منهما، وفيه برودة ملطفة، وتحليل. وتفتيح، وفي الأسود منه قبض ونفع من داء الثعلب، والكلف، والحزاز، والثآليل إذا طلي بمائه، ويقتل القمل، ويطلى به القوباء مع العسل، ويفتح سدد الكبد والطحال، وأسوده يعقل البطن، ولا سيما مع العدس، وهما رديئان. والأبيض يلين مع العدس، ويحقن بمائه للإسهال، وينفع من القولنج مع المري والتوابل، وهو قليل الغذاء، رديء الكيموس، يحرق الدم، ويصلحه الخل والخردل، والإكثار منه يولد القبض والنفخ.

2) الترمذي وأبو داود، قال الترمذي حديث حسن غريب.

3) أبو نعيم وهو مرسل ضعيف.

4) قال عنه الطب القديم: والسفرجل بارد يابس، ويختلف في ذلك باختلاف طعمه، وكله بارد قابض، جيد للمعدة، والحلو منه أقل برودة ويبساً، وأميل إلى الإعتدال، والحامض أشد قبضاً ويبساً وبرودة، وكله يسكن العطش والقئ، ويدر البول، ويعقل الطبع، وينفع من قرحة الأمعاء، ونفث الدم، والهيضة، وينفع من الغثيان، ويمنع من تصاعد الأبخرة إذا استعمل بعد الطعام، وحراقة أغصانه وورقه المغسولة كالتوتياء في فعلها.

وهو قبل الطعام يقبض، وبعده يلين الطبع، ويسرع بانحدار الثفل، والإكثار منه مضر بالعصب، مولد للقولنج، ويطفئ المرة الصفراء المتولدة في المعدة.

وإن شوي كان أقل لخشونته، وأخف، وإذا قور وسطه، ونزع حبه، وجعل فيه العسل، وطين جرمه بالعجين، وأودع الرماد الحار، نفع نفعاً حسناً.

وأجود ما أكل مشوياً أو مطبوخاً بالعسل، وحبه ينفع من خشونة الحلق، وقصبة الرئة، وكثير من الأمراض، ودهنه يمنع العرق، ويقوي المعدة، والمربى منه يقوي المعدة والكبد، ويشد القلب، ويطيب النفس.

5) النسائي.

علينا في القرآن الكريم بذكرها في نعيم الجنة، ولم نذكر.

قلت: إن هذا لحسن خلق منك، فما هي؟

قالت: حدائق الفاكهة، ألم تسمع الله يذكرها في القرآن الكريم ويثني عليها كل الثناء.. وهو ما يكفي للدلالة على البركات التي أودعت فيها.

قلت: بلى.. فقد ذكرها القرآن الكريم، ورغب فيها بأصناف من الترغيب:

فقد ذكر كثرتها، وهو ما لم يحظ به طعام آخر، فقال تعالى: لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (الزخرف:73)، وقال تعالى: مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (صّ:51)

وأخبر عن تنوعها، فقال: يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (الدخان:55)، وقال تعالى: فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ(الرحمن:52)

وأخبر عن تفاضلها، فقال: وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ(الواقعة:20)

وأخبر عن سهولة الحصول عليها، وعلى فوائدها، فقال: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ(الواقعة:32 ـ 33)، وقال تعالى: قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(الحاقة:23)

قالت: وفي كل ما ذكرت آثار أنزلها الله في الدنيا لتعرفوا بها فضل الآخرة.

قلت: كيف ذلك، فالدنيا دنيا، والآخرة آخرة، وقد قال ﷺ: (يقول اللّه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرأوا إن شئتم: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(السجدة:17)

قالت: بلى.. وقد سمعت معها الله تعالى وهو يقول: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(البقرة:25)، فقد أخبر تعالى أنهم إذا رأوها تذكروا برؤيتها ما رأوه من قبل.

قلت: ولكنه تشابه شكل لا تشابه طعم.. وقد ورد في وصف سدرة المنتهى أن ورقها كآذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر(1).

قال: صحيح ما ذكرت.. فلا يمكن للدنيا أن تشبه الآخرة في

1) البخاري ومسلم.

تفاصـيلها، ولكـني أقصـد قولـه ﷺ:(لـو قُلت إنَّ فاكهـة نـزلت من الجَنَّة قلت التين، لأنَّ فاكهة الجنَّة بلا عجمٍ ـ كلـوا منـه فإنـه يقطـع البواسير، وينفع النقرس)(1)، فقد ذكر ﷺ أن اللـه جعـل في الـدنيا ما يذكر بنعيم الآخرة.

قلت: صـدقت في هـذا..ونحن لم نختلـف.. فـاذكري لي: أين الحديقة؟.. وما تحوي؟

قالت: هي حديقـة غنـاء تحـوي من ألـوان الفواكـه الـتي ورد فضلها في النصوص المقدسة، فبوركت بذكرها لها.

قلت: فما هي ألوان الفواكه التي تحتويها؟

قــالت: تقســم الفاكهــة إلى حلــوة كــالموز والــتين والعنب والتمر.. وحامضة كالأترج والرمان.. وإلى نصـف حـامض، وهـو مـا تبقى من الفاكهة.. وقد زرت التمـر من قبـل.. فلـذلك سـتزور في هذه الحديقة ما بقي من الفواكه.

التين:

قلت: وبمن أبدأ؟

قالت: بالتينة التي ذكرناها.

قلت: فأين هي؟

قالت: هي عن يمينك تنتظر دورها في الحديث، فقد آتاها الله من الأدب بحيث لا تقطع حديثا، ولا تنغص جليسا..

قلت: قد عرفت ذلك منها.. فهي الفاكهة اللذيـذة إلى نفسـي أسرطها سرطا.. فلا عجم أرميه، ولا قشر أطرحه.

قـالت التينـة: بـورك فيـك، وفي السـفرجلة الـتي أتت بـك.. وستجد ـ إن شاء الله ـ عندي من حلو الحـديث مـا يجعلـك تحبـني كما أحبني أهل الله.

قلت: فهل أحبك أهل الله؟

قالت: وكيف لا يحبوني.. وقـد أقسـم اللـه بي، فقـال تعـالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾(التين:1)، وقد قال في ﷺ ما قال.

قلت: عرفت هذا.. فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قالت: أنا ـ بحمد الله ـ عالية القيمة الغذائية، وذلـك لاحتـوائي على السكريات الأحادية، والعناصر المعدنية، والفيتامينات.

قلت: هذه بركات التكوين.. فما بركات الشفاء؟

قــالت: لقــد شــاع اســتخدامي في علاج الإمســاك، ومغلي أوراقي يستخدم عند العـرب أو البـدو في علاج اضـطراب الحيض،

1) ابن السني وابو نعيم والديلمي.

كما أن المحفوظ مني يعمل على إدرار اللبن.

قلت: لقد وصفك رسول الله ﷺ للنقرس والبواسير، فقال: (كلوا التين فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لأن فاكهة الجنة لا عجم فيها، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس)[1]

قالت: أجل.. صدق حبيبي ﷺ، أما كوني أقطع البواسير، فيرجع ذلك إلى كوني مسهلة وقابضة.. وأما ما يخص علاج النقرس، وهو ترسُّب أملاح حمض اليورك في المفاصل، والذي يؤدي إلى خلل في تمثيل الأحماض النووية، فقد ثبت أن لي علاقة بالإنزيم الخاص بتحويل الزانسين إلى اليوريك أسيد، فالإنزيم ـ بدل أن يسمح له يسير في اتجاه واحد ـ يسير في اتجاهين فيكون الاتزان، ولذلك فالأدوية التي تعطى من الخارج تثبط الإنزيم، لكن تثبطه جزئياً، لكن التين ينظم عمل الأنزيم.. ذلك أن النقرس هو عبارة عن خطأ في التمثيل الغذائي.

قلت: فماذا تعالجين أيضا؟

قالت: أنا أوصف لعلاج الامساك، فلهذا يمكن تناول التين المجفف أو الطازج، من دون أي تحضير معين، للتخفيف من الامساك، ويمكن طهو ثلاث أو أربع ثمرات تين طازجة مقطعة، وعشر حبات زبيب في مقدار كوب كبير من الحليب، ويتم تناولها صباحاً على الريق، كما يمكن نقع ست ثمرات تين في الماء الفاتر طوال الليل، ثم يتم تناولها صباحاً على الريق أيضاً.

قلت:....؟

قالت: من أدواري أنني أخفف من الاضطرابات الهضمية، فيمكن تناول التين الطازج بعد الوجبات الخفيفة، أو قبل الوجبات الثقيلة للتخفيف من اضطرابات الجهاز الهضمي.. وذلك مفيد في مكافحة القرحة والطفيليات والجراثيم.

قلت:....؟

قالت: وأنا أخفف من اضطرابات التنفس، وذلك لاحتوائي على عناصر شافية تخفف من تهيجات الأغشية المخاطية، وخاصة في الجهاز التنفسي، لذلك فإن تناول التين الطازج يمكن أن يساعد على التخفيف من الاضطرابات التنفسية، فأنا ألعب دوراً مشابها لدور مضادات الالتهابات.

وأنا أفيد أيضاً لعلاج التهابات الحلق، ويكفي لذلك أن يتم غلي

---

1) ابن السني وأبو نعيم والديلمي - عن أبي ذر.

أربع أو خمس ثمرات تين طازجة في حوالي 50 ملليلتر من الماء، ثم يصفى الماء ويترك حتى يبرد، ثم يشرب لعلاج أوجاع الحلق.

قلت: سمعت أن لك استعمالات خارجية.

قالت: أجل، فقد جعلني الله بركة في الداخل والخارج.

قلت: فاذكري لي بعض بركاتك.

قالت: أنا أستعمل لإزالة مسامير القـدمين.. وذلـك لاحتـوائي على إنزيمات تساعد على التخلص من النتـوءات الجلديـة الزائـدة، لهذا يمكن استخدامي لإزالة المسامير التي تظهر على القدمين.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: يوضع لُب ثمرتي على المسامير ويغطى برباط طـوال الليل.

قلت: بورك فيك.. فهل تعالجين غيرها؟

قالت: أعالج الحبوب والتقرحات.

قلت: فاذكري لي وصفة لذلك.

قالت: يتم تسخين التين في الماء أو الحليب، وتقطع كل حبة مني إلى نصفين، بحيث يوضع لب الثمر على البثور مباشرة، وهذه الطريقة فعالة جدا في العلاج، وخصوصاً في علاج تقرحات الفم.

قلت: فهل لك وصفات أخرى؟

قالت: أنا أتمتع بخصائص وقائيـة وملطفـة ومرطبـة.. ولـذلك أقوم بتغذية الجلد والشعر وأقيهمـا من تغـيرات الطقس القاسـية، ومن التلوث..ولـذلك يـدخلني تجـار قومـك في تـركيب العديـد من مستحضرات العناية بالبشرة والشعر.

العنب:

التفت فـرأيت عنقـود عنب يفيض بحبـات أجمـل من اللآلئ، فقلت له: أأنت عنقـود الجنـة الـذي رآه ﷺ، كمـا في حـديث جـابر الـذي قـال: بينـا نحن في صـلاة الظهـر إذ تقـدم رسـول اللّـه ﷺ، فتقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تـأخر، فلمـا قضـى الصـلاة، قال له أبي بن كعب: يا رسول اللّه صنعت اليوم في الصـلاة شـيئاً ما كنت تصنعه، قال:(إنه عرضت علي الجنة وما فيهـا من الزهـرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه)(1)

قال: لا.. ولكني لا أقل عنه شرفا.. فقـد شـرفني اللـه تعـالى بذكره في كتابه في مواضع كثيرة، فقال تعالى: وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ

(1) مسلم.

مُتَجَـاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَـابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيـلٌ صِـنْوَانٌ وَغَيْـرُ صِـنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّـلُ بَعْضَـهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُـلِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ (الرعـد:4)، وقـال: يُنْبِتُ لَكُمْ بِـهِ الـزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـةً لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل:11)

وقد قرنني بالنخلة المباركة في مواضع، فقال: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْـهُ سَـكَراً وَرِزْقـاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(النحل:67)، وقال تعالى: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِـهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَـأْكُلُونَ(المؤمنـون:19)، وقال تعالى:وَجَعَلْنَا فِيهَـا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيـلٍ وَأَعْنَـابٍ وَفَجَّرْنَـا فِيهَـا مِنَ الْعُيُونِ(يّـس:34)

قلت: قـد سـمعت كـل هـذا.. ولأجلـه جئت أبحث عن أسـرار هذه البركات.

قال: ألا يكفيك كلام ربك؟

قلت: نحن قـوم غشـي على عيوننـا.. فلا نـرى إلا مـا تقولـه الدراسات.

قال: فأنت عبد لها إذن.

قلت: يمكنك أن تقول ذلك.. فنحن لا نصـدق بالحقـائق حـتى تأتينا من الألسن التي ترطن بالعجمة.

قالت: لا بأس عليك.. أمـا أنـا فلم يجهـل أسـراري عـرب ولا عجم.. فقد عرفت منذ القدم، عرفني الصينيون والهنـود وغـيرهم، ورغبوا في القيمة الغذائية العالية التي حباني الله بها.

قلت: ذكرت القيمة الغذائية العالية!؟

قالت حبة من العنب، وقد اشتد غضبها: أجل.. أفي شـك أنت من ذلـك.. فنحن نحتـوي على نسـبة جيـدة من المـواد السـكرية سـريعة الامتصـاص وسـهلة الهضـم حيث يـتركز سـكر الجلوكـوز وسكر الفركتوز بشكل كبير في مكوناتنا.

ونتميز بغنانا بالفيتامينات مثل فيتـامين ج، وفيتـامين ب.. كمـا نحتـوي على نسـبة جيـدة من العناصـر المعدنيـة مثـل البوتاسـيوم والكالسيوم والصوديوم.

كما نحتوي على مواد ذات مفعول علاجي.. حيث نحتوي على مركب يعرف بريزفيراتول، وتتميز هذه المادة بتأثيرها الايجابي في الحد من تصلب الشرايين حيث أن لها تأثيرا مباشرا وملحوظـا في تقليل نسبة الكولسترول في الدم وخصوصا الكولسترول السـيء،

مما يقلل الإصابة بأمراض القلب.
كما نحتوي ـ بحمد الله ــ على بعض الأحمـاض الـتي لهـا دورٍ في الوقاية من تـراكم الجـذور الحـرة، ولـذلك نعتـبر مضـاداً جيـداً للسرطان.
قلت: فبركاتك عظيمة؟
قالت: لا تزال لم تسمع شيئا.. فقد أشـارت الأبحـاث العلميـة أن لي دورا في الوقاية من مرض هشاشـة العظـام، أو مـا يعـرف بوهن العظام.
قلت: هو من الأمراض التي تنتشر بشكل كبير بين السيدات، وله علاقة بالكالسيوم.. فكيف تكون لك علاقة به؟
قالت: أنا أحتوي على معدن البودون، وهو يسـاهم في زيـادة هرمون الاستروجين لدى الاناث عند بلوغهن سـن اليـأس.. وبـذلك يعمل هذا الهرمون على الاقلال من التعرض لهذا المرض في هـذه المرحلة من السن.
قلت: وما علاقة هذا الهرمون بالهشاشة؟
قالت: يعمـل هـذا الهرمـون الهـام للسـيدات على امتصـاص الكالسيوم، والذي يكون في الغـذاء عـادة، ولكن نسـبة امتصاصـه تنخفض مع تقـدم العمـر عنـد الرجـال وعنـد النسـاء عمومـا إلا أن تأثيره عند السيدات يكون أكثر.
والعمـل الـذي يقـوم بـه هرمـون الاسـتروجين مهم جـدا في عملية امتصاص بل زيادة امتصاص الكالسيوم، ومثله زيـادة عمليـة ترسب وإضافة الكالسيوم الى العظام.
قلت: فاذكري لي بركاتك على الدم.
قـالت: لقـد جعـل اللـه فينـا دورا مهمـا في خفض الضـغط المرتفع، حيث أننا من مدرات البول لاحتوائنا على نسبة عاليــة من البوتاسيوم.
قلت:....؟
قالت: ولنا دور في علاج الإمساك.. حيث أننـا نسـهل البطن.. ولذلك نستخدم كمسهل يتناول عصيرنا للكبار وللصغار، وهو نــاجح بشكل جيـد للأطفـال حيث يقـوم بعمليـة تنظيـف البطن وتسـهيل حركة الامعاء.
قلت:....؟
قالت: ونحن نخفض الحموضة، وخصوصا الحموضة التي تنتج من عسر الهضم حيث نحتوي على العديـد من الأحمـاض الطبيعيـة

ذات التأثير القاعدي.
قلت:....؟
قالت: ونحن نساهم ــ بفضل الله ــ في الحد من الإصابة بالسرطان، حيث تشير الأبحاث أن البلاد التي يكثر فيها إنتاج العنب تكون فيها أمراض السرطان منخفضة، بل معدومة، لأننا نحتوي على العديد من العناصر الغذائية التي تساهم في اخراج المواد المسرطنة، وهي الجذور الحرة، وتطرحها خارج الجسم، حيث نحتوي على العديد من الفيتامينات والمعادن مضادات للأكسدة مثل فيتامينات (أ،ج)وبعض العناصر المعدنية، بالإضافة إلى الألياف الذائبة وغير الذائبة.
قلت:....؟
قالت: ولنا ــ فوق ذلك ــ قيمة علاجية عالية، وخصوصاً للأشخاص الذين يعانون من اضطرابات أو ضعف في الكلى، حيث نحتوي على نسبة جيدة من الماء والأملاح بكميات مناسبة.. ولهذا نساهم بشكل جيد في عملية تصفية الدم وتنقيته من السموم.

الرمان:

رأيت رمانة جميلة تحدق إلي بعيون تمتلئ خجلا.. وقد تورد خداها، فقلت: ما بالك أيتها الرمانة.. لكأني بك تريدين أن تسري إلي أمرا تستحين من ذكره.
قالت: لا.. فنحن لا نعرف الأسرار.. وإنما أنا ممتلئة سرورا بما ورد في النصوص من فضلي.. فقد ذكرني الله تعالى في كتابه، فقال:﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:99)، وقال:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام:141)
وذكر أني من فاكهة الجنة، فقال:﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾(الرحمن:68)
قلت: وقد ذكر رسول الله ﷺ فضلك وعلاقتك بالجنة، فقال:(ما من رمانة إلا ولقحت من رمان الجنة، وما رمانة إلا فيها حبة من رمان الجنة)[1]
قالت: دعك من هذا الحديث، فهو لا يصح.. ولا ينبغي أن

1) ابن عدي وابن عساكر ، وقال ابن عدي: هذا حديث باطل.

نفخر بما لا يصح.. ويكفي ما ورد فينا من فضل في القرآن الكريم.

قلت: فحدثيني عن بركاتك.

قالت: سأحدثك عن بركة نقلها علي فقد كان فقيهـا في كلام الله.

قلت: لقد وصف وصفات طبية صالحة.. فهـل لـه وصـفة لهـا علاقة بك؟

قالت: أجل.. فقد روي أنه روى:(كلوا الرمـان بشـحمه فإنـه دباغ للمعدة)(1)

قلت: فما في هذه الوصفة من الطب؟

قالت: القلف الأبيض الذي هي الطبقة البيضاء بين الفصـوص يحتوي على مادة قابضة ومضادة للحموضة، وثبت أنها تقوم بشفاء قرحـة المعـدة وقرحـة الإثـنى عشـر، والأطبـاء في أوربـا يأخـذوا المستخلص المائي أو المعلـق منهـا، ويـدخلوه بالمنـاظير ويحقنـوا قرحة المعدة وقرحة الإثنى عشر فتبرأ في الحال(2).

قلت: فحدثيني عن بركات تكوينك.

قالت: أنا غذاء تمد كل 100 جـرام مـني قرابـة 160 سـعراً حرارياً.

قلت: دعك من الحريرات.. فلي من الأغذية ما أجـدها فيهـا.. لقد سمعت أنك لا تحوين الكثير من الفيتامينات.

قالت: في غيري من الفيتامينات ما يكفيك.

قلت: فما فيك مما يرغب فيه؟

قـالت: أنـا أحـوي الكثـير من المعـادن.. وأنـا مصـدر جيـد للسكريات، وتصل نسبة فيتامين ج في عصير الرمـان البلـدي إلى حوالي 10 مليجرامات كل 100 جرام من العصير. ويوجد في كـل 100 جرام من حبوبي المواد الغذائية التالية:كالسيوم 8 مليجـرام، بروتين 1.3جـرام، فسـفور 20 مليجـرام، دهن 0.8 جـرام، حديـد 0.8 مليجرام، كربوهيدرات 41.7 جرام، بوتاسيوم 658 مليجرام.

قلت: نعم ما ذكـرت.. ولكـني أرى في قشـورك الداخليـة مـا يشوهك..فهلا سألت الله أن ينزعها عنك؟

قالت: لجميع قشوري الداخلية والخارجيـة فوائـد شـتى، فهي تحتوي على مواد قلويـة ومـواد قابضـة، وهي دواء لطـرد الديــدان من الأمعـاء خاصـة الـدودة الشـريطية، ويسـتخدم القشـر كمـادة

---

1) أبو الحسن علي بن الفرج الصقلي في فوائده، وفي سنده مجاهيل.

2) محاضرة للدكتور عبد الباسط محمـد السـيد على قنـاة الجزيـرة في برنـامج بلا حدود 4/12/2002م.

قابضة للبطن حيث تجفف القشور وتطحن وتستخدم عند الحاجة.

قلت: نعم ما ذكرت.. ولكني أراك تهتمين بالإشادة بقشورك.. فهل تراك من ذوات القشور، لا من أولي الألباب؟

قالت: لا.. بل أنا من أولي القشور والألباب.. وقد أكدت دراسة علمية حديثة أن ثمار الرمان تعالج 11 مرضاً وتوفر احتياجات الجسم الأساسية من العناصر الغذائية.. وذكرت الدراسة أن بذور الرمان ذات الغلاف العصيري البلوري والتي تستخدم في سلطة الفواكه تقضي على البكتريا المسببة للإسهال، كما تقوي القلب والمعدة وتدر البول وتطهر الدم وتذيب حصوات الكلى وتلطف الحرارة المرتفعة بالجسم وتشفي عسر الهضم وتقلل آلام النقرس، كما أن مسحوق أزهارها يستخدم شراباً أيضاً ضد الإسهال.

وبينت أنه يمكن استخدام الرمان لمعالجة الزحار (الديزنتاريا)ومعالجة الوهن العصبي وبعض أنواع الأورام التي تصيب الأغشية المخاطية، خاصة إذا استخدم مع العسل.

وذكرت أن تناول الرمان مع الأغذية الدسمة يساعد على هضمها بشكل جيد.

ومن الأخبار الهامة التي طالعتكم بها الصحف ما ذكرت من غناي بمركبات منع الأكسدة..

قلت: أجل.. سمعت بهذا.. فما في ذلك من أسرار البركات؟

قالت: في ذلك كل البركات.. ألا تعلم أنها فعالة بصورة جيدة لمنع أكسدة دهون البلازما التي يعتقد أنها من أسباب تصلب الشرايين.. وقد جرت دراسة على أشخاص أصحاء وعلى حيوانات التجارب، حيث تم إعطاء الأصحاء عصير الرمان لمدة أسبوعين والحيوانات 14 أسبوعاً. وذلك بهدف معرفة تأثير عصير الرمان على أكسدة البروتينات الشحمية وتكدسها، وتصلب الشرايين عند الأصحاء أو حيوانات مصابة بتصلب الشرايين.

قلت: فماذا وجدوا؟

قالت: لقد وجدوا أن عصير الرمان يعمل على التقليل من تكدس البروتينات الشحمية الضارة بالجسم وأكسدتها عند المتبرعين الأصحاء.. كما أنه يؤدي إلى تقليل حجم مشكلة تصلب الشرايين في فئران التجارب، وخلصت الدراسة بنتيجة مفادها أن لعصير الرمان مفعولاً قوياً كمضاد لتصلب الشرايين عند الأشخاص الأصحاء، وكذا عند الحيوانات المصابة بتصلب الشرايين.. وهذا

المفعـول يرجـع بصـورة أساسـية لوجـود مضـادات الأكسـدة في الرمان.

قلت: نعم ما ذكرت.. ولكنك مع ذلك لا تدومين إلا قيلا.

قالت: نعم.. ولكن مع ذلك فقد جعل اللـه في من الوفـاء مـا يجعلني سهلة الحفظ لعدة أشهر، إذ يمكن حفظي لمدة 6 أشـهر، وذلك بتجفيف القشرة الخارجية شمسياً وحفظي بعـد جفـافي في الجو العادي.

ويمكن حفظي أيضاً لمدة تصل إلى ثلاثة أشـهر دون تجفيـف القشرة، وذلك في الثلاجة، ويتم ذلك بلف كل ثمرة بأوراق شفافة على حدة ووضع الثمار الملفوفة في كرتون في الثلاجة.

وتمتـاز ثمـاري المخزنـة بارتفـاع محتواهـا من السـكر وقلـة حموضتها ولين بذورها(1).

الموز

جاءت الموزة تختال في مشيتها، وقالت من غـير أن أسـألها: ألا تعلم أني من فاكهة الجنة؟

قلت: لا أى لك ذكرا في القرآن الكريم.. فهل علمت وجودك في الجنــة بالقيــاس أم بالاستحســان؟.. ألا تعلمين أنــه لا يجــوز استعمالهما في الأخبار؟

قالت: ولا في الإنشاء..

قلت: فكيف عرفت بوجودك في الجنة؟

قالت: بالقرآن الكريم.. فأنا من فاكهة القرآن الكريم..

قلت: أفصحي.. فلا أرى في القرآن الكريم موزا..

قالت: أنـا الطلح المـذكور في قولـه تعـالى:﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُـودٍ﴾ (الواقعة:29)(2)

قلت: والموز؟

قالت: هي كلمة مستعربة من اللغة الهنديـة (مـوزى) وتعـني (فاكهة الحكمـاء)كمـا سـميت في الهنـد حيث أن الفلاسـفة كـانوا

---

1) نشر في مجلة (عالم الغذاء)عـدد (3)بتـاريخ (سـبتمبر 1998م -جمـادى الأولى 1419هـ)

2) وقد روي هذا عن ابن عباس، انظر: تفسـير الطـبري (27/104)، وقـد روي في الحديث خلاف هذا القول فعن عُتْبة بن عبد السلمي ال: كنت جالسًا مع رسـول اللـه ﷺ، فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله، أسمعك تـذكر في الجنـة شـجرة لا أعلم شـجرة أكـثر شوكًا منها؟ يعني: الطلح، فقال رسول الله ﷺ:« إن اللـه يجعـل مكـان كـل شـوكة منهـا ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعام، لا يشبه لون آخر » انظـر: البعث لابن أبي داود برقم (69)ورواه الطبراني في مسـند الشـاميين بـرقم (492)وعنـه أبو نعيم في الحلية (6/103)عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن يحيى بن حمزة بـه، وقـال الهيثمي في المجمع (10/414): رجاله رجال الصحيح.

يستظلون تحت شجرتي.

قلت: فلم ترينا نؤثر لغة الهنود؟

قـالت: ذلـك لأني أرتبـط بالهنـد تاريخيـا.. ثم انتقلت منـه إلى أنحاء العالم.. وأذكر أن العالم الجديـد عرفـني عـام 1516م حيث غرست أول نبتة لي في الكاريبي آنذاك.. وعرضـت لأول مـرة في ولاية فيلاديلفيا في معرض سينتينيال عام 1876م.

قلت: دعيني من تاريخك.. وعـودي بنـا إلى بركاتـك.. فلا أرى القرآن الكريم ذكرك إلا لما فيك من خير وفضل وبركة.

قـالت: بلى.. وقـد ذكـر أسـلافكم عـني أني أنفـع من حرقـة الصدر والرئة والسعال وقـروح الكليـتين والمثانـة، وأني أدر البـول وألين البطن وأسمن كثيرا.. ولكن الإكثار مني يضر المعـدة ويثقـل ويزيـد في الصـفراء والبلغم ويـدفع ضـرري بالسـكر والعسـل والزنجبيل.

وقـد ذكـروا أني إذا طبخت في دهن اللـوز أصـلحت الصـدر سريعا.. وأن طبخي مع بـذر البطيخ ودهن الوجـه بـه يجلـو الكلـف وينعّم البشرة ويحسن اللون وان وضـعت ورقـة مـني على الأورام حللها.

قلت: فما قال المحدثون من بني قومي؟

قالت: لقد ذكروا أني من أفضـل مصـادر الطاقـة الطبيعيـة.. فأنا خالية من الصوديوم.. ولذلك أقلـل من مخـاطر ارتفـاع ضـغط الدم، وخالية من الدهن والكوليسـتول وأحتـوي على كاربوهيـدرات سهلة الهضم مقارنة بالفواكه الأخرى.

وقـد سـاعدت الأبحـاث في الطب الحـديث على التوعيـة والتعريف بأني قد أحد من الوفاة الناتجة عن أمراض القلب لبعض الحالات.

قلت: فما ذكروا من بركات تكوينك؟

قالت: لقد أكد أخصائيو التغذية أني غنية بالألياف والفيتامينات A،B،C بالإضافة إلى الأملاح المعدنية كالحديد والزنـك والفوسـفور والمنغنيز والصوديوم، كما أحتوي على المـاء والنشـا وسـكر العنب وسكر القصب مما يجعلـني مصـدراً حيويـاً للعناصـر الـتي يحتاجهـا الجسم البشري.

قلت: فما بركات الاستشفاء بك؟

قالت: لقد أظهرت دراسة سويدية حديثة أن الموز الناضـج أو المطهـو يحتـوي على مـواد تزيـد من مقاومـة الخلايـا الـتي تبطن

المعدة للقرحة وقد تمنـع حـدوثها وتسـاعد على الشـفاء منهـا في حالة الإصابة بها.

وفي الدراسة التي نشرتها مجلة (الأفكار الصـحية)الأمريكيـة، أكد أخصائيو التغذية أن الموز الغني بعنصر البوتاسيوم يسـاعد في الحفاظ على سلامة العضـلات والعظـام ويـؤدي إلى تقليـل ضـغط الدم الشرياني، وبالتالي يخفض إلى حد كبير من احتمالات الإصابة بالنوبات القلبية.

وكانت دراسات أخرى قد أشـارت إلى أن للمـوز أثـراً إيجابيـا على عملية الهضم في الأمعـاء خلافـاً للاعتقـاد الشـائع بـأن المـوز يسبب الإصابة بالإمساك أو الانتفاخات، وأن أثر المـوز على عمليـة الهضم يزداد كلما كان الموز ناضجاً.

الأترج:

تـركت المـوزة تـذكر مـا ورد في الدراسـات من فضـلها.. ثم التفت إلى أترجة ملأت نفسي بمنظرها نشاطا.. فقلت لها: طـوبى لك أيته الأترجة.. لقد ذكرك رسول اللـه ﷺ فقـال:(مثـل المـؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة ريحهـا طيب وطعمهـا طيب ومثـل المؤمن الذى لايقرأ القـرآن كمثـل التمـر لا ريح لهـا وطعمهـا حلـو ومثـل المنـافق الـذى يقـرا القـرآن كمثـل الريحانـة ريحهـا طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلـة ليس لها ريح وطعمها مر)(1)

قالت: أجل.. فقد شبهني رسول الله ﷺ بالمؤمن الـذي يقـرأ القرآن الكريم.. وحسبي بذلك شرفا.. بل حسبي أنه فضـلني على التمر في هذا.. فلا تسمع لتيه التمر علي.

قلت: لقد رأيته من أكثر الناس تواضعا.. فلا تتيهي عليه أنت.

قـالت: أنـا لا أتيـه عليـه، ولا على غـيره.. ولكـني أتيـه على عقولكم الضعيفة التي استبدلتني بأنواع السموم.

قلت: فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قـالت: لقـد أثـني علي القـدماء أعظم الثنـاء.. وقـد روي أن بعض الملوك الاكاسرة سجن بعض الاطباء، وأمر ألا يقـدم لهم من الأكل إلا الخبز وإدام واحد، فاختاروا الأترج وسئلوا عن ذلك فقالوا: (لأنه في العاجل ريحـان ومنظـره مفـرح، وقشـره طيب الرائحـة ولحمه فاكهة وحماضه إدام وحبه ترياق وفيه دهن)

لقد عرف العرب الأترج منذ القدم وتغـنى بـه شـعراؤهم في

---

1) البخاري ومسلم.

مختلـف العصـور منهم ابن الـرومي الـذي قـال فيـه في معـرض الحديث عن أحد ممدوحيه.

كل الخلال التي فيكم ومحاسنكم | تشابهت منكم الاخلاق
كأنكم شجر الأترج طاب معاً | حملا ونوراَ وطاب العود والورق

قلت: دعينـا من أقـوال الشـعراء.. فقـد يـذمون الممـدوح.. ويحمدون المذموم..

قالت: تريد الخبراء العلماء.. فقد قال عني ابن سـينا:(لحمـه (لبه)ملطف لحرارة المعـدة نـافع لاصـحاب المـرة الصـفراء قـامع للبخارات الحارة)

وقال الأطبـاء العـرب فيـه الكثـير حيث قسـموني الى أربعـة أصناف: قشر ولب وحمض وبذر ولكل منها منافع وخواص وقـالوا: إن من منافع قشره أنه إذا جفف وسحق ثم جعـل بين الملابس أو الفراش منع السوس ورائحته تطيب رائحة الهواء والوبـاء، ويطيب النكهة إذا أمسكها في الفم، ويحلل الرياح، وإذا أضيف إلى الطعام أعـان على الهضـم. وعصـارة القشـرة الطازجـة تنفـع من نهش الأفاعي شرباً، كمـا ينفـع القشـر ضـماداً على الجـروح وإذا أحـرق قشره بعد جفافه فإن رماده طلاء جيدا للبهاق.

أما لبه فملطف للمعـدة، وحماضـه قـابض وكاسـر للصـفراء، ومسكن للخفقان الحار، يفيد اليرقان شـرباً، يقطـع القيء، ومشـه للأكـل، يحبس البطن ينفـع الإسـهال والصـفراوي، ينفـع طلاوه من الكلف، مقو معدي ويسكن العطش.

أمـا بـذره فينفـع من السـموم القاتلـة إذا شـرب منـه وزن مثقالين مقشراً بماء فاتر، ملين للطبيعة مطيب للنكهة.

وقـالت عـني طائفـة من الحكمـاء:(جمـع الأتـرج أنواعـاً من المحاسن والإحسان، فقشره مشموم، وشـحمه فاكهـة، وحماضـه إدام، وبذره دهان)

وقال عـني ابن البيطـار:(قـوة الأتـرج تلطـف وتقطـع وتـبرد وتطفئ حرارة الكبد وتقوي المعدة وتزيد في شهوة الطعام وتقمع حدة المرة الصـفراء وتزيـل الغم العـارض منهـا، ويسـكن العطش ويقطع الاسهال وحماضه نافع من الخفقـان وحب الأتـرج ينفـع من لدغ العقارب)

قلت: فما قال المحدثون؟

قـالت: هم يسـتخدمونني في الطب الحـديث كفـاتح للشـهية

وطـارد للأريـاح ومهضـم ومنبـه للجهـاز الهضـمي ومطهـر ومضـاد للفيروسـات وقاتـل للبكتريـا ومخفض للحمى، وأسـتخدم كمضـاد للبرد والانفلونزا والحمى ولعـدوى الصـدر والحنجـرة بالميكروبـات وأقوي جهاز المناعة.. كما أساعد في موازنة ضغط الدم.

البقول

انصرفت من حديقة الفواكه.. وقد امتلأت نشاطا وحيوية.. وقد أزمعت في نفسي العودة إلى مـدائن السـلام.. التقيت في طريقي بحبة عـدس.. فسـألتها عن الطريـق إلى المستشـفى.. فقالت: كيف تريد أن تعود إليه.. وأنت لما تعرفني وتعـرف بـني جنسي.

قلت: أنا أعرفك.. فمن بنو جنسك؟

قالت: نحن البقول..

قلت: أعرفك.. ولكن لا شأن لي بك.. فأنا أبحث عن أغذية البركة.. وقد وجدتها جميعا.

قـالت: مـا دمت لم تلقـني ولم تتعــرف علي وعلى بــني جنسي.. فـأنت لم تعـرف أغذيـة البركـة.. ألم تسـمع أني أمثـل البقول.. وأني من الأغذية المنصوص عليها في القـرآن الكـريم، فقد قال تعالى: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَـامٍ وَاحِـدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْـتَبْدِلُونَ الَّذِي هُـوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُـوَ خَيْـرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ (البقرة:61)

قلت: ولكن الله تعالى ذكرك في هذه الاية في موضع ذم؟

قـالت: لا.. من قـال ذلـك.. ولـو كـان كـذلك لـورد النص بكراهتي أو بتحريمي، ولم يرد شيء من ذلك.

قلت: فمـا تقـولين في اعتبـار القـرآن الكـريم لـك طعامـا دانيا؟

قال: الدنو والرفعة نسـبيان، فلـذلك ذكـر اللـه تعـالى دنـو العدس مقارنة بغيره من الأطعمة الـتي كـانت ميسـرة لهم من غير عنـاء، ففي المن - وهـو العسـل أو مـادة سـكرية مقويـة - وفي لحوم السـلوى مـا يفـوق جميـع مـا ذكـروه من الأطعمـة، إضــافة إلى أن المن والســلوى أســهل هضــما من الحبــوب المذكورة.. ولسـهولة الهضـم والامتصـاص أهميتهـا الكـبرى في باب التغذية.

قلت: أراك تتواضعين بذكر فضل غيرك عليك.

قـالت: وذلـك لا يلغي فضـلي.. فأنـا أحتـوي على عناصـر كثيرة يفتقر إليها الجسم افتقارا شديدا.

قلت: لا يعرف عامة قومي من عناصرك إلا الحديد.

قالت: وهل تستهين بالحديد؟

قلت: لا أستهين به.. ولكني مع ذلك لا أرى أهميتـه مقارنـة بالبروتينات وغيرها.

قالت: فلا تقل هذا.. فالحديد من الأملاح المهمـة للجسـم، فهو يدخل في تركيب هيموجلوبين الدم ويكسـبه المقـدرة على نقل الأكسيجين من الرئتين إلى أنسجة الجسـم المختلفـة حيث يؤكسد ما بها من طعام فيولد طاقة حراريـة ضـرورية لوظـائف الجسم.

فوظائف الحديد في الجسم كثيرة فهـو يـدخل في تـركيب الدم، وهو ضروري لإنتاج الطاقة والحرارة من المـواد الغذائيـة، وهـو يعـادل الحموضـة والزائـد من الحديـد يخـتزن في الكبـد والطحـــال وبعض البروتينـــات المعقـــدة لكي تســـتخدم عنـــد الضرورة في حالة نقص موارد الجسم منه.

اللحوم

ســرت قليلا بعيــدا عن العــدس.. فــرأيت كبشــا في منتهى الجمال يحدق إلي بعيون تمتلئ رحمـة ورقـة.. فقلت: أيهـا الكبش المبارك.. أأنت الذي فدى الله بك إسماعيل ﷺ من الـذبح.. فـإني أرى لك جمالا لا أراه فيما أراه بين قومي من كباش.

قال: ذاك ابن عمي.. وكلنا ذلك الكبش.. أما ما تــراه في من جمال، فهو جمال روحي المتنورة بنور الإيثار.

قلت: فكيف ميزت بين قومك من الكباش بهذه الحلة؟

قال: أنا لم أميز.. كل الكباش وكل البقـر.. وكـل مـا تذبحونـه من أنعام لا يختلفون عني، ولا أختلف عنهم.. نحن جميعا خلــق من خلق الله ملأنا الله بالرحمة، فقدمنا أنفسنا غـذاء طيبـا لكم لتـؤدوا الوظائف التي خلقتم من أجلها.

قلت: أتفعلون ذلك بدافع الإيثار والمحبة؟

قال: أجل.. ونحن لا نختلف عن الشهداء في ذلك.

قلت: ولكن الشهداء مظلومون.

قال: ونحن كذلك قد تظلمونا.. فينزع الله البركة من لحومنا.

قلت: أفي لحومكم بركة؟

قال: في لحومنا بركة وشفاء إذا تحققتم بما يتطلبـه التوصـل إلينا من أسرار البركات.

قلت: فما هي؟

قال: أربعة.

قلت: أعلم أنها أربعة.. فما هي؟

قال: التسمية، والذبح، والأدب، والاعتدال.

التسمية:

قلت: فحدثني عن التسمية.

قال: كل من ذبحنا، ولم يذكر الله في ذبحنا إنما يقـوم بقتلنـا، فنخرج من الدنيا بأعظم ألم.

قلت: وما الألم الذي تخرجون به؟

قال: ألم عدم سـماع ذكـر اللـه في آخـر لحظـات حياتنـا.. ألا تلقنون موتاكم؟

قلت: بلى.. نلقنهم.

قال: فذكركم لله عند ذبحكم هو تلقينكم لنا، ألم تسـمع اللـه تعالى يأمركم بالتسمية عند ذبحنا؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى:﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام:118)

قال: وهو يعاتب على عدم الأكل من حيوانات معينــة لم ينص على تحريمها، ما دام قد ذكر اسم الله عليهـا، فقـال تعـالى:﴿ وَمَـا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَـا حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ (الأنعام:119)

قلت: وهل تشعرون حينها بالسعادة؟

قال: نشعر حينها بسعادة لا تشعرون بها وأنتم تأكلون لحومنا.

قلت: كيف ذلك وأنتم مهيئون للذبح؟

قال: ألا تعلم السعادة التي كان يشعر بها الغلام ـ الذي ذكـره رسول الله ﷺ في قصة أصحاب الأخدود ــ وهـو يتقـدم للـذبح في سبيل الله؟

قلت: فحدثني بها لأعلم وجه العلاقة بينكما.

قال: لقد قال ﷺ في حديث طويـل:(ثم جيء بـالغلام فقيـل له: ارجـع عن دينـك، فـأبى، فدفعـه إلى نفـر من أصـحابه، فقـال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبـل، فـإذا بلغتم ذروتـه،

فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فصعدوا به إلى الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإذا رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك، ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال بسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صغه في موضع السهم فمات، فقال الناس آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرمت النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى أتوا على امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام يا أمّه اصبري إنك على الحق)(1)

قلت: لقد رويت الحديث بألفاظه، فبارك الله فيك.. ولكني لم أفهم سر المقارنة بينكما.

قال: لقد استعمل الملك كل الوسائل لاستحلال دم الغلام، فلم يطق إلا بعد أن ذكر الله، وحينذاك بارك الله في جسد الغلام الذي فارق روحه، فصار سببا لإيمان قومه، بل صار رمزا لنا معشر الكباش، نحن لأن يحدث لنا ما حدث له.

قلت: أتحنون لأن يحصل لكم ما حصل له؟

قال: لا تجد فردا من أفرادنا إلا ويعلم هذه القصة، ويحن لأن يضحى به باسم الله، فيبارك الله في جسده، فيصير مقبرة خلايا ذاكر لله.. أو يصير كجسد ذلك الولي الذي قال:

وذلك في ذات الله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

(1) مسلم.

قلت: أفتعرفونه؟

قال: نعرفه، ونمتلئ محبة له.. فهو قد تعلم التضحية منا، وعلمنا من فنون التضحية ما نحن له كل الحنين.

قلت: أنت تحدثني عن ذكر الله كما يحدثني أهل الله.. ولكني لا أرى إخوانك إلا منهمكين في رعيهم لا يبالون بشيء، بل هم أكثر الخلق غفلة، حتى أننا نعتبر البهيمية هي الإسراف في المتاع، والبعد عن ذكر الله.

قال: أخطأتم الحقائق.. نحن نأكل ونسرف في الأكل لأجلكم.. فتلك وظيفتنا.. وظيفتنا أن نسمن لتأكلونا لحما طريا لذيذا، ونحن نستلذ بالتذاذكم لنا إن ذكرتم الله.

قلت: فأنتم تنحجبون إذن بعملكم عن ذكر الله، كما ينحجب الغافلون عندنا بزيادة الإنتاج.

قال: لا.. كيف تشبه من يسمن نفسه لله بالغافلين؟.. وهل تتصور أن رعينا وأكلنا وشربنا يبعدنا عن ربنا؟.. إننا نذكر الله في أنفاسنا كما يذكره أهل الجنة.. ألم تسمع نهيه ﷺ عن اتخاذ البهائم كراسي معللا ذلك بكثرة ذكرنا الله، فقد مر ﷺ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم:(اركبوها سالمة ودوعها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه)(1) ؟

وقد عرف أسرارنا ذلك الرجل الصالح الذي قال:(ما أحد سب شيئا من الدنيا دابة ولا غيرها ويقول: أخزاك الله أو لعنك الله إلا قالت: بل أخزى الله تعالى أعصانا لله تعالى)

قلت: فهمت هذا ووعيته.. ولكني أراك تتحدث عن التسمية وكأنها هي الركن الأساسي في علاقتكم بنا.

قال: فإلام تنظرون إذا لم تنظروا للتسمية؟

قلت: نحن ننظر إلى لحومكم وشحومكم..

قال: لا يجوز لكم أن تستحلوها من غير إذن الله.. وإلا كنتم كابن آدم الذي قتل أخاه.

قلت: أتتصور أن كل هذه الأمم التي تسفك دماءكم كل يوم كابن آدم الأول.

قال: كل من لم يذكر الله عند ذبحنا، ويستشعر الرحمة في قلبه، وهو ينظر إلينا، ونحن نضحي بأنفسنا في سبيل إطعامه، إنما يقتلنا ويسفك دماءنا.. وهو لا يختلف عن ابن آدم الأول في ذلك،

(1) أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والحاكم.

ألم تسمع ذلك الرجل المبارك الذي قال لرسول الله ﷺ:(يا رسول الله إني لأرحم الشاة أن أذبحها)، فقال:(إن رحمتها رحمك الله)(1)

قلت: وكيف تكون رحمتك؟

قال: بذكر الله عند ذبحي.

قلت: ولكن نفرا عظيما من فقهاء قومي يتساهلون في ذلك.

قال: لا ينبغي أن يتساهلوا.. ألم يسمعوا القرآن الكريم، وهو يشتد في ذلك.

قلت: بلى.. ولكنهم يستدلون لذلك بحديث لرسول الله ﷺ.

قال: الحديث لا يعارض القرآن الكريم.. فكلاهما وحي.. فاذكر لي ما رووا.

قلت: لقد حدثوا أن أناسا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري اذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ:(سموا الله عليه، وكلوا)(2)

قال: هذا الحديث لا يفهم منه ما ذكروا.

قلت: فما تفهمون أنتم معشر الأنعام؟

قال: هؤلاء قوم امتلأوا ورعا، فتصوروا أنهم لا يأكلون لحما إلا بعد أن يسمعوا الذابح، وهو يذكر الله.. فخشي ﷺ عليهم الوسوسة، وأخبرهم أن الأمر ليس كذلك.

قلت: ولكن الذابحين قد يكونون قصروا في التسمية وغفلوا عنها.

قال: وقد أرشدهم ﷺ بما يسد ذلك التقصير، فأمرهم بذكر الله بدلهم، ألم تعرف هديه ﷺ فيمن نسي التسمية في بداية الطعام والشراب.

قلت: بلى.. فقد قال ﷺ:(.. فإذا أكل أحدكم طعاما، فليقل: بسم الله، فإن نسي أن يقول: بسم الله؛ في أوله فليقل: بسم الله في أوله وآخره)(3)

قال: فقد ذكر ﷺ الحل لتدارك التقصير في التسمية.

قلت: لقد زعمت بأن ذبحكم بغير ذكر اسم الله يمحق البركة عن لحمكم.. فكيف تزعم الآن بأن ذلك قد يستدرك؟

قال: هذا ما نص عليه رسول الله ﷺ في الحديث الذي قرأته، ثم: ألم يخبر ﷺ عن تأثير التسمية في وسط الطعام في

1) الحاكم وقال: صحيح الإسناد.
2) الدارقطني ومالك.
3) أحمد وابن ماجة وابن حبان والبيهقي.

الشيطان الذي يحضر الأكل ليمحق بركته؟

قلت: بلى.. فقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمى، فلم يبق في بطنه شيء إلا قاءه) (1).

قال: وفي مثله ورد قوله ﷺ:(كل طعام لا يذكر اسم الله تعالى عليه، فإنما هو داء، ولا بركة فيه، وكفارة ذلك إن كانت المائدة موضوعة أن تسمى وتعيد يدك، وإن كانت قد رفعت أن تسمى الله وتلعق أصابعك)(2)

فجأة قدم رجلان من بني قومي، قلت للكبش: احذر، فهذان يريدان اقتيادك إلى حتفك.

قال، وقد ظهرت على وجهه علائم السرور: بشرتني بشرك الله بكل خير.

نظر إليهما، فقال: لا.. هؤلاء لم يريدا ذبحي.

قلت: فما الذي قدم بهما إلى هنا؟

قال: هذان خبيران من خبراء قومك، فتح الله علهيما، فأدركا من أسرار البركة في التسمية ما يمكن أن يكون سبيلا لإقناع الجاحدين.

قال أحدهما: أنا دكتور في العلوم الصيدلية، وأخصائي في الكيمياء التحليلية الصيدلية، وفي تحاليل السمومية والغذائية والصناعية(3).

قلت: فحدثني عن سر اكتشافك.

قال: موضوع بحثي كان حول فرضية وضعتها، ثم أردت إثباتها، وهي حول تأثير التسمية في الحيوان.

وبداية ذلك كانت رغبة ثلَّةٌ من المؤمنين في القيام بكلِّ ما تمكِّننا به وسائلنا المخبرية في توضيح الفرق بين اللحم المذبوح المصحوب بذكر اسم الله، واللحم المذبوح بغير ذلك، أي دون تكبيرٍ ودون ذكر اسم الله عليه.

ولإثبات ذلك عمدنا إلى الزرع الجرثومي لنموذجي اللحم المأخوذين آنفاً علَّنا نعثر على ما يمكن أن يكوِّن حجَّةً راسخة وصحيحة لا لبس فيها، تؤكد فائدة ذكر اسم الله الرحمن الرحيم

---

1) أحمد وأبو داو والنسائي والحاكم.
2) ابن عساكر.
3) هو الدكتور محمد نبيل الشريف، وهو أستاذ في جامعة دمشق، انظر: الطب الإسلامي للدكتور عبد الرحمن العوضي، والذبح الإسلامي علم وتعاليم أم شعائر وطقوس؟ د. مصطفى حلمي.

على الذبائح.
قلت: فما هي نتائج هذه الدراسة المخبرية؟
قال: كانت نتائج هذه الدراسة باهرةً بصورة قاطعة، حيث كان كلُّ ذبحٍ مع ذكر اسم الله عليه عقيماً من الناحية الجرثومية والفطرية بدرجةٍ كبيرة على عكس لحوم الذبح التي لم يُذكر اسم الله عليها، فقد بدا فيها النمو الجرثومي كثيراً وغزيراً وواضحاً مما لا يدع أي مجال للشكِّ في تأثير التسمية.
قلت: فكيف فسرتم ذلك؟
قال: نحن مؤمنون، ولذلك فسرنا ذلك على ضوء قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:28)، فقد كانت الطمأنينة والهدوء بادية الآثار في اللحم الذي صحبته التسمية.
قلت: كيف ذلك، وما تأثير ذلك في البركة؟
قال: إن الطمأنية التي حصلت لها أثناء الذبح جعلت من أخلاطها ودورتها الدموية وأحشائها في حالةٍ لا يحدث معها أي اختلاطٍ، أو تلوثٍ ما بين داخل أحشاء الحيوان ولحمه وعضلاته وأجهزته المختلفة، وبذلك حققت حالةً من العقامة والنظافة الصحية تجعل من هذا اللحم شهي المنظر وسائغ الطعم، غير مؤذٍ بقدرته تعالى.
قال الثاني(1)من غير أن أسأله: لقد ثبت لي ما ثبت لزميلي وما ثبت لغيرنا.. فما إن أحضرت قطعاً من اللحم المكبَّر عليه وقطعاً من اللحم غير المكبَّر عليه كعينات، وتمت معالجتها حتى أصابني الذهول وأخذتني الدهشة، فاتصلت بالجزار، وقلت له بأني أريد أن أذهب معه شخصياً إلى المسلخ، وكان ذلك في شهر أيلول من عام (2000)، وشاهدت الخرفان المكبَّر عليها والخرفان التي لم يكبَّر عليها بأم عيني، وأحضرنا منها قطع اللحم.. واتَّسعت دهشتي لأن النتيجة كانت ذاتها.
قلت: فاذكر لي خلاصة ما رأيت.
قال: عند عمل المقاطع التشريحية ووضْعها على البلاكات بدا لون لحم الخرفان المكبَّر عليها زهريا فاتحا، أما لون اللحم غير المكبَّر عليها فكان أحمر قاتما يميل إلى الزرقة..
ثم قمت بالدراسات الجرثومية لكلا العينتين، فرأيت الجراثيم

(1) الدكتور فايز الحكيم، مجاز من هيئة البورد الأميركية بالباثولوجيا التشريحية والسريرية.

الممرضة بأعداد كبيرة في أوساط الاستنبات التي زُرعت عليها اللحوم غير المكبَّر عليها، بينما خلت اللحوم المكبَّر عليها من الجراثيم الممرضة تماماً.

ومثل ذلك رأيته بعد الفحص النسيجي، فقد رأيت وجود عدد أكبر من الكريات الحمر والبيض في الأوعية الدموية للحوم غير المكبَّر عليها.

قلت: فما علاقة هذا بالبركة؟

قال: لقد أثبت العلم الحديث أن الدم بيئة خصبة لنمو الميكروبات والجراثيم، ووجود الدم في جسم الحيوان المذبوح يساعد على نمو الميكروبات في الجسم وسرعة فساد اللحم، ووجود الدم بكثرة في أمعاء الإنسان يساعد على تكوين مركبات نشادرية تؤثر على المخ، وتحدث تغيرات مرضية قد تصل إلى حد الغيبوبة وفقدان الوعي، وهذا ما يحدث فعلاً نتيجة ابتلاع الإنسان لكميات كبيرة من الدم بسبب نزيف من المري أو المعدة أو الأمعاء.

ومن هنا كانت الحكمة البالغة في وجوب ذكاة الحيوان بعد ذبحه، والتخلّص من الدم الذي يجري في عروقه قبل أكله، والتسمية عليه قبل ذبحه حتى يصير أكله حلالاً.

قالا ذلك، ثم انصرفا كما جاءا.

الذبح:

التفت للكبش، وقلت: عرفت سر البركة في التسمية، فعلمني سرا آخر من بركاتكم معشر الأنعام.

قال: أن تستحلوا دماءنا بالطريقة التي علمكم الشرع، فهو أعلم بمصالحنا منكم.

قلت: وما علاقة ذلك ببركتكم؟

قال: ألم تسمع قصة الغلام التي ذكرتها؟

قلت: تقصد قوله:(تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس)

قال: أجل.. فقد دله على الطريقة التي يمكن أن يذبح بها.

قلت: أما التسمية، فقد عرفت سر البركة فيها.. ولكني لا أفقه سر الذبح.. حتى إن من قومي من يشنعون عليه، ويعتبرونه من القسوة.

قال: يخطئون في ذلك.. ألم يسمعوا ما قال ابن الجوزي،

فقد أدرك من أسرار الألم واللذة ما لم يدركوه.

قلت: فما قال؟.. فعهدي به فطنا.

قال: لقد قال:(وأما ألم الذبح فانه يستر، وقد قيل: أنه لا يوجد أصلا لأن الحساس للألم أغشية الدماغ، لأن فيه الأعضاء الحساسة، ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم، فإذا قطعت الأوداج سريعا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:(إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته)(1)

قلت: إن قومي لا يعرفون ابن الجوزي.. ولا يؤمنون بما يقول.. وهو في أذهانهم أقل من أن يقول.. فاذكر لي غيره.

قال: فسأذكر لك ما يقول علمهم الذي يعبدونه من دون الله.. فقد توصلوا إلى أن الذبح من العنق هو أنجح وسيلة للإجهاز السريع على الحيوان بغير تعذيب ولا تمثيل، إذ أنه من الثابت علميا أن الرقبة حلقة الوصل بين الرأس وسائر الجسد، فإذا قطع الجهاز العصبي شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ، وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس.. وفي جميع هذه الحالات تنتهي الحياة سريعا.

قلت: ألا تشعرون بالألم عند ذلك؟

قال: ألم تمر في [ابتسامة الأنين] على قسم الغيبة؟

قلت: بلى.. فهل تعرفه؟

قال: كل من ذبح منا على الطريقة التي أمر الشرع بها.. وذكر اسم الله عند ذبحه يصيبه من الوجد والإيمان ما يجعله يقدم نفسه لله راضيا مسرورا سعيدا.

قلت: فهل لذلك علاقة بالصحة.. فنحن في قسم البركة؟

قال: أجل.. ألا ترى الحركات العنيفة التي نقوم بها بعد ذبحنا؟

قلت: أتألم لذلك كثيرا.

قال: لا تتألم.. وانظر إلينا بنظر الإيمان.. إن تلك الحركات نهدف بها إلى طرد كمية كبيرة من الدم خارج أجسامنا.

قلت: لم؟

قال: لأن الدم هو المجرى الذي تلقى فيه مواد الأيض أو التمثيل الغذائي كلها، ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ.. والكائنات المتطفلة في الجسم تفرز سمومها في الدم ناهيك عن وجودها

---

1) تلبيس إبليس.

في الدورة الدموية في بعض مراحل تطورها.. ولهذا حـرم الشـرع الدم.

قلت: أعلم ذلك.. وقد علمت سر ذلـك في حصـون العافيـة.. ولكني أريد أن أسألك عن أمر يفعله بعض قومي.

قال: وما يفعلون؟

قلت: يصعقونكم بتيار كهربائي قبل الذبح.

قـال: رأيت ذلـك.. وهم يعـذبوننا بـذلك عـذابا عظيمـا.. لم يتفننون في تعذيبنا؟

قلت: هم يزعمون أنهم يرحمونكم.

قال: هم يعذبوننا، فنخـرج من الـدنيا من غـير أن نسـمع ذكـر الله.. ثم يعـذبون أنفسـهم بتعـذيبنا حيث تبقى دماؤنـا الملوثـة في أجسامنا ليأكلوها بعد ذلك ممحوقة البركة.

قلت: فاذكر لي من فوائد ذبحكم ما أقنع به قومي.

قال: فوائد ذبحنا كثيرة.. فقطـع الـودجين أثنـاء عمليـة الـذبح يؤدي إلى نزف أكبر كمية ممكنة من الدماء في أقـل وقت ممكن؛ حيث تنزف الذبيحة ما يقرب من ثلـثي كميـة الـدم الموجـودة في جسم الحيوان. ويعتبر التخلص من الدم أمرا بالغ الأهمية حيث إنـه يعتبر أفضل وسـط لتكـاثر الميكروبـات والكائنـات الدقيقـة، علاوة على ما يسببه من تبقع باللحم وإفساد للمظهر.

وفي قطع السباتي، وهو متصل مباشرة بالودجين من الناحية الداخليـة، وقطعـه يتسـبب في عـدم وصـول الـدم إلى المخ وإلى الأطـراف الأماميـة، ومن ثم إلى سـرعة الوفـاة وإعاقـة مراكـز الإحساس بالألم المركزية في المخ بسبب عدم وصول الدم إليها.

ويؤدي قطع القصبة الهوائية بالـذبح إلى عـدم وصـول الهـواء إلى الرئة؛ لأن ضـغط الهـواء داخـل الرئـة يكـون مسـاويا للضـغط الجوي الخارجي، في هذه الأثناء يحاول الحيوان التنفس من الأنف، ولكن الأكسجين أيضا لا يصل إلى الجسم فيساعد ذلك في سـرعة الوفاة. ويساعد وضع رقبة الحيـوان إلى الخلـف في إتمـام عمليـة قطع القصبة الهوائية بإتقان، ويشتمل منع سحب الـدماء بواسـطة السبابتين فتحدث الوفاة سريعًا وتفقد الذبيحـة الـوعي خلال ثـوان معدودة.

ويؤدي قطع المريء إلى نزول إفـرازات المعـدة إلى الخـارج بـدلاً من ارتجاعهـا إلى القصـبة الهوائيـة عـبر المـريء كـرد فعـل طـبيعي أثنـاء المـوت في حالـة عـدم الـذبح؛ حيث أن دخولهـا إلى

القصبة الهوائية يؤدي لدخول فضـلات الطعـام إلى الرئـة والـتي لا يزال بها بقايا من هواء؛ وهـو مـا يـؤدي إلى نمـو البكتيريـا في هـذا العضو الحساس بعد الوفاة مباشرة.

أما العضلات فتستمر في العمل لعدة ثوان بعد الـذبح، وربمـا دقائق؛ وهـو مـا يـؤدي إلى اسـتمرار دفـع الـدم من العضـلات إلى خارجها عن طريق الانقباضات، ودفعه أيضا خارج الأوعيـة الدمويـة الفرعية إلى الأوعية الأساسية ومن ثم إلى الودجين المقطـوعين.. وهي تؤدي إلى نقص كمية الدماء الموجودة في العضلات بكميـات كبيرة وتقليل الدم؛ الوسط المساعد للنمو البكتيري في الذبيحة.

الأدب:

قلت: فحدثني عن الأدب.

قـال: أول أدب تحتـاجون إلى تعلمــه هــو أن تتعـاملوا معنـا باعتبارنا من مخلوقات اللـه، فتحترمونـا، وتقـدرونا حـق قـدرنا، ولا تتلاعبوا بأرواحنا التي جعل الله بين أيديكم.

قلت: أجل.. إني أقف موقف الحيـاء منـك.. وأنـا أرى قـومي يتعاملون معكم بتلك العنصرية التي تمتلئ كبرا وظلما.

قال: إنهم لم يسمعوا لأصوات الهدى التي تحـذر من عـواقب ظلمنا.. لم يسمعوا إلى الرحمة المهداة ﷺ، وهو يدعو إلى الرحمة بالكائنات، ومحبتها في الله، وأخذ ما يؤخذ منها باسم الله.

قلت: أجل.. فقد كان ﷺ شديدا في هذا الباب.. فقد نهى عن التمثيل بالبهائم، فقال:(لعن الله من يمثل بالبهائم)(1)

ونهى أن صـيد الحيـوان أو قتلـه لغـير غـرض، فقـال ﷺ:(لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا)(2)

قال: بل إنه ﷺ علمكم الكيفية المثلى للاستفادة من الحيوان مع عدم إيذائه ما أمكن، فقد رأى رسول الله ﷺ رجلا أضـجع شـاة وهـو يحـد شـفرته، فقـال النـبي ﷺ:(أتريـد أن تميتهـا موتـات، هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها)(3)

ومر رسول الله ﷺ برجل وهو يجر شاة بأذنها، فقـال رسـول الله ﷺ:(دع أذنها وخذ بسالفتها)والسالفة مقدم العنق.

ونهى ﷺ عن شريطة الشيطان، وهي التي تذبح وتقطع الجلد ولا تفري الأوداج.

وقـد اعتـبر ﷺ ذلـك من الإحسـان، فقـال ﷺ:(إن اللـه كتب

---

1) أحمد والطبراني في الكبير.
2) أحمد والترمذي والنسائي.
3) الطبراني والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(1)

وقد كان أهل الجاهلية يجبون أسنمة الإبل، وهي حية، ويقطعون أليات الغنم، وكان في ذلك تعذيب لهذه الحيوانات، فحال النبي ﷺ بينهم وبين مقصودهم، فحرم الانتفاع بهذه الأجزاء، فقال:(ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة)

قلت: هذا أدب ذبحكم.. فهل هناك آداب أخرى؟

قال: كثيرة.. قل لقومك يدعونا لمراعي الله.. ولا يطعموننا السموم التي يطعموننا بها، فإنها ستنقلب عليهم.. فمن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

قلت: وهل يطعمونكم سموما؟

قال: من كل ألوان السموم يطعموننا.. وقد نجاني الله فهمت على نفسي في أرض الله، حتى وقعت بين يدي ولي من أولياء الله، فر بدينه، فكان يرعاني ويطعمني طعام السلام.

قلت: فحدثني عن أطعمة الصراع.

قال: عندما تذهب إلى:(أدوية الأرض) سيأتي من يحدثك عن أطعمة الصراع.

الاعتدال:

قلت: فحدثني عن الاعتدال.

قال: لقد سمعت بعض إخوانكم من تلاميذ الماكروبيوتيك ينفرون منا، ويزعمون أننا من أغذية اليانج المتطرفة.

قلت: سمعت بهذا.. ولو أني لم أفهم ما يقصدون.

قال: ستلقاهم في أدوية الأرض ليشرحوا لك مقصودهم.

قلت: فهل هم مصيبون أم مخطئون؟

قال: هم مصيبون ومخطئون.

قلت: كيف ذلك؟

قال: إن أرادوا ما يفعله قومك من التعامل معنا، فهم مصيبون كل الإصابة، وإن أرادوا ما يفعله الصالحون، فهم مخطئون كل الخطأ.

قلت: أفعل واحد يتعاقب عليه الصواب والخطأ؟

قال: إذا أكلونا باسم الله، وباعتدال لا إسراف فيه ولا غلو، فنحن من الطعام المبارك.. ألم يجعلنا الله من أطعمة أهل الجنة اللذيذة، فقال تعالى:﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾

(1) مسلم.

(الطور:22)، وقال تعالى: وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (الواقعة:21)

وأخبر ﷺ بأننا سادة الطعام، فقال:(سيد طعام أهل الدنيا، وأهل الجنة اللحم)[1]، وقال:(خير الإدام في الدنيا والآخرة اللحم)[2]

وقد عرف الأولياء فضلنا، فقال علي بن أبي طالب:(كلوا اللحم فإنة يصفي اللون ويخمص البطن، ويحسن الخلق)، وكان يقول:(من تركه أربعين ليلة ساء خلقه)

قلت: وهل يخطئ قومي في التعامل معكم؟

قال: أجل.. لقد أطعمنا الله قضبا[3] وأبا، فأطعمنا سموما.. فذهب ذلك بعقولنا، ويوشك أن يذهب بعقولكم.

قلت: ما الأب؟

قال: الأب هو فاكهتنا.. ألم تسمع قول ترجمان القرآن: الفاكهة كل ما أكل رطباً، والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم.

قلت: فهل لك دليل من النص غير ما ذكرت من النقل؟

قال: أجل، فقد قال تعالى بعدها: مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (عبس:32).. وإليك دليلا آخر، ألم تسمع قوله ﷺ:(دواء عرق النسا[4] ألية شاة أعرابية تذاب، ثم تجزأ ثلاثة أجزاء، ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزء).. ألا تلاحظ أن رسول الله ﷺ عين شاة أعرابية؟

قلت: بلى.. وأنا متعجب من سر هذا التخصيص.

قال: لقد ذكر بعضهم علة ذلك، فقال:(وفى تعيينِ الشاةِ الأعرابيةِ لقِلة فضولِها، وصِغر مقدارِها، ولُطف جوهرها، وخاصيَّة مرعاها لأنها ترعى أعشابَ البَرِّ الحارةَ، كالشِّيحِ، والقَيْصُوم، ونحوهما، وهذه النباتاتُ إذا تغذَّى بها الحيوانُ، صار فى لحمه من طبعِها بعد أن يُلَطِّفَها تغذيةً بها، ويُكسبَها مزاجاً ألطَفَ منها، ولا سيما الألية)

قلت: فهمت هذ.. ولكن هل يخالف قومي هذا؟

قال: ستذهب إلى تلاميذ الماكروبيتويك ليخبروك ما يطعمنا قومك.

---

1) ابن ماجه.

2) ابن ماجه.

3) القضب الوارد في قوله تعالى:﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً (عبس:27 ـ 28)هو ـ كما قال ذلك ابن عباس ـ الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها القت أيضاً.

4) عِرْقُ النَّسَاء: وجعٌ يبتدىءُ مِن مَفْصِلِ الوَرِك، وينزل مِن خلفٍ على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدتُه، زاد نزولُه، وتُهزَلُ معه الرجلُ والفَخِذُ.

قلت: فهم صادقون في هذا إذن.

قال: كل الصدق.. ولا جناح عليكم أن تتبعوهم في هذا.

قلت: أنحرم ما أحل الله؟

قال: إذا صارت لحومنا سموما لم يبق خلاف في حرمتها.. ألا تعرف الجلالة؟

قلت: بلى.. وقد علمت تحريمها.

قال: وفي ذلك دليل على أن الحرمة لها علاقة كبيرة بنوع غذائنا.

قلت: ولكن فقهاء قومي يكتفون بذبحكم على الطريقة الإسلامية.

قال: لا ينبغي أن يكتفوا بذلك.. بل ينبغي أن يذهبوا إلى المراعي.. ليرونا هل نأكل على الطريقة الإسلامية.

قلت: وهل في الأكل طريقة إسلامية؟

قال: أجل.. فقد خلقنا الله نأكل حشيشا لا سموما.

قلت: قد سمعت بعض السلف ينهى عنك..

قال: بلى.. ولكنه لا يحرم ما أحل الله.. وإنما ينهى عن المبالغة فيه.

قلت: هذا صحيح، فمع أن للحم فوائده الصحية، باعتباره مصدرا مهما من مصادر البروتين إلا أنه ينقلب نتيجة الإسراف في تناوله إلى عواقب مضرة بالصحة.. وأعرف من قومي من اعترته الأدواء وفتكت به من أجل قرمه الشديد اللحم.. فهو يأكله كما تأكله الأسود والنمور.

قال: أولئك هم القساة.. فاحذر منهم.. واحذر منهم.. واحذر منهم..

وبقي يرددها إلى أن غاب في الأفق البعيد.

رابعا ـ مشافي البركة

لست أدري، هل استفقت من حلم جميل، أم أنني رحلت حقيقة إلى تلك العوالم الجميلة.. ولكني عدت لأرى متوسم الغذاء بجانبي، وقد رفع يده عن صدري، وهو يقول: كيف استقبلتك؟.. وهل علمتك؟

قلت: نعم الاستقبال.. وخير التعليم.. فبورك فيها.. فما أعظم أدبها.. وما أكثر علومها.

قال: كل أكوان الله تنعم بما رأيت من أدب، لأنها لا تعرف الصراع.. ولأن قلوبها لا تزال على الفطرة.

قلت: فحدثني عن سر رحلتي.. أهي حلم جميل حلمته؟.. أم هي..

قال: دعك من هذه الأسئلة.. فلا ينبغي أن تسأل عما لا تطيق فهمه.

قلت: صدقت.. فقد عرفت نفسي.. ومن عرف نفسه تواضع وتذلل.

قال: لا بأس عليك.. فستكمل رحلتك في مدرسة السلام.. لتفقه هذا وغيره.. فلا تعجل.

قلت: والآن.. لم يبق لي من هذا القسم إلا مشافي البركة، فكيف أزورها؟

دخل معلم البركة، وهو يقول: هيا.. فمشافي البركة تنتظرك.

قلت: هل سنذهب إلى المشافي.. فإني متلهف لزيارتها؟

قال: أجل..

خرجنا من مخزن الغذاء.. وكانت عيني تتلفت إلى أنواع الأغذية المباركة، فتراها تبتسم وتودعني، وكنت أبادلها كل ذلك.. وقد حمدت الله على أني لم أكن في أرض الصراع، فلو قمت بمثل ذلك فيها لرمي عقلي، ولرماني الأطفال بالحارة.

فجأة رأيت مبنى جميل قد كتب عليه قوله ﷺ:(إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له الشفاء إلا الهرم)(1)

دخلنا المشفى المختص بالأدوية المباركة، فرأيت أنواعا كثيرة من الأدوية المحفوظة كما هي من غير أي تبديل أو تغيير فيها.

قلت لمعلم البركة: ألا تستخلصون من أدوية البركة ما ترونه

______

1) الحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي.

من أنواع العلاج؟

قال: لا.. ألم تعلم بأنا نتعامل مع الدواء كما نتعامل مع الكائن الحي.. ولذلك نرى أن كل تغيير له قد يؤدي إلى قتله ونزع البركة منه.

قلت: فما فائدة وجود الخبراء إذن.. وما الفرق بينهم وبين العامة؟

قال: فائدة الخبراء هو البحث عن أسرار الشفاء في الألوان والأصناف.

قلت: لم أفهم قصدك.

قال: سأضرب لك مثالا بما يخرج من بطون النحل.

قلت: تقصد العسل.. لقد أخبر الله تعالى أنه شفاء، فقال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(النحل:69)

قال: لقد ذكر الله تعالى في هاتين الآيتين اعتبار ما يخرج من بطون النحل شفاء مطلقا.. وهو يدل على أنه شفاء من كل داء.. ولكنه حدد مواصفات لذلك يكمن في البحث عنها دور الخبراء.

قلت: مثل ماذا؟

قال: فقد ذكر المواطن التي ينبغي أن تعيش فيها النحل.. والمآكل التي ينبغي أن تأكلها.

قلت: ألهذا علاقة بالشفاء؟

قال: أجل.. ألم يقل الله تعالى لها: ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

قلت: إن من قومي من يطعمونها السكر..

قال: أيريدون أن يجنو من الشوك العنب.. إن النحل لا يعطي إلا ما يأخذ.. فهل تعطيه مزيفا، وتريد أن يعطيك خالصا؟

قلت: فكيف يتعامل العلماء هنا مع هذا الشرط؟

قال: لقد جعلوا في مخابر التجريب ثمرات مختلفة جلبوها من أنحاء العالم، ثم جربوا تأثير تغذية النحل بها في نوع العسل، ثم جربوه على المرضى بالأمراض المختلفة.

قلت: وهل رأوا تأثير ذلك؟

قال: أجل.. وقد حددوا لكل مرض من الأمراض نوعا خاصا.. ومدة استعمال خاصة.

قلت: وأصحاب الصيدليات عندكم ماذا يفعلون؟

قال: هم يربون الأنواع المختلفة ليعالجوا بها الأدواء المختلفة.

قلت: فالصيادلة عندكم مربو نحل؟

قال: لا.. ليسوا مربو نحل فقط.. بل هناك أدوية أخرى.. ستراها.. وما ذكرته لك مجرد مثال.

قلت:..

قال: والله تعالى ذكر في الآية أنه ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾، فلم يسم ما يخرج من بطونها عسلا.. وفي ذلك دلالة على أن العلاج يشمل كل ما يخرج من بطونها سواء كان عسلا أو غيره.

قلت:..

قال: ثم ذكر الألوان المختلفة، وهو دليل على أن لها تأثيرا في الشفاء.. وفي انواع الشفاء.

قلت: فهمت هذا ووعيته.. فكيف نتعرف على مشافي البركة؟

قال: سترحل إليها كما رحلت في مخزن البركة.

قلت: وأين متوسم البركة ليضع يده على صدري.

ضحك، وقال: لا.. لن تحتاج إلى ذلك.. تلك كانت البداية.. وكنت تحتاج إلى مدد من البركات.. أما لآن.. فقد صارت لك القدرة بحمد الله على سماع أصوات الكائنات.

قلت: فماذا أفعل حتى أسمع أصواتها.

قال: تعال.. اجلس.. واسترخ تحت ظل هذه الشجرة المباركة.. وستأتيك أنواع الأدوية المباركة لتخبرك عن بركاتها.

قلت: وأنت..

قال: ستجدني بجانبك.. كلما احتجت إلي..

العسل

كان المكان جميلا، تفوح فيه الروائح العطرة، وتغرد بجانبه أصوات العنادل، وكان البساط الذي اتكأت عليه لا يختلف عن بساط الريح الذي سمعت حديثه في الأساطير، فقد كان يرفرف بي، وكأني أسبح في النسيم العليل.

فجأة طنت بجانب أذني نحلة، فاهتززت لطنينها، وحملت يدي أريد أن أبطش بها، فصاحت: ما الذي تفعله يا رجل؟

قلت: من الذي أرسلك إلي لتكدير صفوي؟

قـالت: أنـا لم يرسـلني اللـه لأكـدر صـفو أحـد، بـل أرسـلني لمــداواة الآلام وغســل الجــراح.. أرســلني لأبعث الابتســامة في الحناجر المملوءة أنينا.

قلت: ولكن اللــه أمــرك أن تتخــذي من الجبــال بيوتــا ومن الشجر، ولم يرسلك إلى جلدي وأذني.

قالت: لا.. أنا كلي علاج حتى قرصـتي الـتي تخـاف منهـا دواء وشفاء.

قلت: قرصك يؤلمني.. وقبل ذلك يخيفني.

قالت: ولكنه يشفيك ويعافيـك.. قـل لي: أيهمـا أعظم بركـة: تلك الحقنة الـتي تملؤونهـا سـموما، ثم تحقنـون بهـا أجسـادكم، أو قرصتي المباركة التي تفوح بأنوار الشفاء، وبركات العافية.

قلت: لا أستطيع أن أجيبك الآن.. فأنا لم أجلس هـذا المجلس لأتحدث.

قالت: فلم جلست إذن؟

قلت: جلست كما يجلس المتوسمون لأسمع بركات الشفاء.

قالت: ومن يعلمك بركات الشفاء؟

قلت: اسـكتي.. ألم تعلمي بـأن اللـه رزقـني سـماع أصـوات الكائنات؟.. وقد سمعت في مخـزن الأغذيـة المباركـة مـا ينقضـي دونه العجب.

قالت: وماذا تريد أن تسمع هنا؟

قلت: أريـد أن أسـمع أصـوات الأدويـة المباركـة، وقـد كـدت أسمعها لولا أن جئت لتكدري صفوي.

قالت: أنا لم آت لأكدر صفوك.. بـل أنـا رسـول معلم البركـة إليك لأعرفك على مصانع الشفاء التي كلفني الله بإدراتها.

قلت: أنت لم تأتي إلي صدفة إذن.

قالت: لا وجود للصدفة في الكون ألم تقرأ (أسرار الأقدار)؟

قلت: لم أرحل إليها بعد، فتلك في المرحلة الجامعيـة، وأنـا لا أزال تلميذا في المدرسة الابتدائية.

قالت: إذن سأحاول أن أبسط في حديثي معك بقدر الإمكان.

قلت: هل تحتقرين كفاءتي لهذه الدرجة؟

قـالت: أنـا لا أحتقـرك، ولكـني نهيت أن أحـدث النـاس على خلاف ما تستطيعه عقولهم.

قلت: فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قالت: سأبدأ بالشراب المبارك، والذي تسمونه العسل.

قلت: وهل هناك غيره؟

قالت: أجل.. وسنرجئ الحديث عنه إلى آخر الجلسة.

قلت: فحدثيني عن العسل.

بركات التكوين:

قالت: يتركب العسل من مواد مختلفة كلها بركات.. أولها ما تسمونه الغلوكوز، أو سكر العنب، وهو يوجد في بنسبة 75 بالمائة.. وأساس اختياري لهذا النوع من السكر هو أنه السكر الأساسي الذي تسمح جدران الأمعاء بمروره إلى الدم.. على عكس بقية الأنواع من السكاكر، وخاصة السكر الأبيض المعروف بسكر القصب، والذي يتطلب من جهازكم الهضمي إجراء عمليات متعددة من التفاعلات الكيماوية، والاستقلابات الأساسية، حتى تتم عملية تحويله إلى سكاكر بسيطة أحادية كالغلوكوز.

قلت: فأنت تستعملين هذا كمسوغ إذن..

قالت: لا.. لا أستعمله مسوغا فقط.. ألا تعلم أن عسلي غذاء وشفاء.. فسكري الذي حدثتك عنه ليس سهل الامتصاص فقط، بل هو بالإضافة إلى ذلك سهل الادخار.. فهو يتجه بعد الامتصاص مباشرة إلى الكبد، ليتحول إلى غلوكوجين، يتم ادخاره فيه لحين الحاجة.. فإن دعت الضرورة لاستخدامه يعاد إلى أصله ليسير مع الدم، فيغذي الجسم بما يحتاج من طاقة.

قلت: مهما يكن، فإن ما لدينا من السكر يغني عن سكرك.

قالت: لا تقل هذا.. فلا يمكن لك أن تقارن سكري بما لديكم من السكر.. فتمثل سكري في الجسم سهل وسريع.. ولا يضر سكري الكلى، ولا يسبب تلف أنسجتها.. ويزود سكري بأعظم وحدات النشاط بأقل صدمة للجهاز الهضمي(1).. ولا يسبب أي اضطرابات في الأغشية الرقيقة للقناة الهضمية.

وفوق ذلك، فإن تناول كميات كبيرة من عسلي بدلاً من أي مادة حلوة ثانية لا يحدث أي ضرر للجسم، بل تجد أن النفع منه أكيد.

قلت: عرفت هذا المكون من مكونات العسل.. فحدثيني عن سائر المكونات.

قالت: عسلي يتكون من مواد كثيرة، منها ما عرف، ومنها ما لا يزال في طي النسيان، فمما عرف: بعض الأحماض العضوية

---

1) من الملاحظ أن القيمة الحرارية للعسل مرتفعة جداً، لاحتوائه على الغلوكوز.. و قد ثبت أن كيلوغراماً واحداً من العسل يعطي 3150حريرة.

وكميــة قليلــة من البروتينيــات، وكميــة لا بــأس بهــا من الخمــائر الضرورية لتنشيط تفاعلات الاستقلال في الجسم، وتمثيل الغذاء.

قلت: وما هذه الخمائر؟.. وما فائدتها؟

قالت: منها خميرة الأميلاز، وهي الخميرة التي تحـول النشـاء الذي في الخبز ومختلف المـواد النشـوية، إلى سـكر عنب.. ومنهـا خميرة الأنفزتاز: وهي التي تحول سكر القصب إلى سكاكر أحادية يمكن امتصاصـــها في الجســـم.. ومنهـــا خميرتـــا الكاتـــالاز والبيروكسيداز: وهمـا ضـروريتان في عمليـات الأكسـدة والإرجـاع التي في الجسم.. ومنها خميرة الليباز: وهي الخاصة بهضم الدسم والمواد الشحمية..

قلت: بورك في خمائرك.. فحدثيني عن أملاحكم، فـإني أعلم ما لها من تأثير على الصحة.

قــالت: أملاح عســلي المعدنيــة قليلــة، فهي تشــكل نســبة 0.018 بالمائة من مكوناته، وعلى الـرغم من ضـآلة نسـبتها، فـإن لها أهمية كبرى، بحيث تجعل العسل غذاء ذا تفاعل قلوي.. مقاوماً للحموضة.. وله أهمية كبرى في معالجة أمـراض الجهـاز الهضـمي المترافقة بزيادة كبيرة في الحموضة والقرحة.

ومن أهم العناصــر المعدنيــة الــتي في العســل: البوتاســيوم والكبريت والكالسيوم والصوديوم والفوسفور والمنغزيوم والحديــد والمنغنيز.. وكلها عناصر معدنية ضرورية لعملية بناء أنسجة الجسم الإنساني وتركيبها.

قلت: والفيتامنيات تلك المركبات المملوءة بأسرار الحياة؟

قــالت: في عســلي كميــات قليلــة من الفيتامينــات الــتي لهــا وظائف حيوية مهمــة: فمنهــا فيتــامين ب1، ولــه دور أساســي في عمليات التمثيل الغذائي داخل الجســم، ولا ســيما بالنســبة للجملــة العصــبية.. ومنهــا فيتــامين ب 2، وهــو يــدخل في تــركيب الخمــائر المختلفة التي تفرزها الغدد في الجسم.. ومنها فيتــامين ب3 وهــو فيتامين مضاد لالتهابات الجد.. ومنها فيتــامين ب5، ومنهــا فيتــامين بث: المضــاد الــنزيف.. ومنهــا فيتــامين ج: بنســبة 50 ملــغ لكــل كيلوغرام وله دوره في مناعة الجسم ومقاومته للأمراض.. ومنها..

قلت: ومم يتكون عسلك أيضا؟

قالت: من حبيبات غروية وزيوت طيارة، تعطيه رائحة وطعماً خاصاً.. ومنها مواد ملونة تعطيه لونه الجميل.

قلت: أهذا ما تتركبين منه.. إن كل ما ذكرت يوجـد في سـائر

الأغذية.. وقد يوجد بكميات أوفر.

قالت: لا.. توجد مكونات أخرى لم تعرفوها.. ولعلك لم تستوعب ما قال لك معلم البركة.

قلت: وما قال؟

قالت: ألم يقل لك: إن الشأن ليس في المكونات، بل الشأن في البركة.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: ألا تجد في المعارك الجندي القصير النحيف يصول ويجول، بينما يرتد على عقبه الرجل العملاق الضخم.

قلت: صحيح هذا.. وقد قال الشاعر فيه:

ترى الرجلَ النحيفَ	وفي أثوابِه أسد مزيرُ
ويعجبُكَ الطريرُ فتبتليه	فيخلفُ ظنكَ الرجلُ الطريرُ
فما عُظْمُ الرجالِ لهم	ولكن فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخَيْرُ
لقد عَظمَ البعيرُ بغيرِ لبٍ	فلم يستغنِ بالعظمِ البعيرُ
يصرِّفهُ الصبيُّ بكلِّ وجهٍ	ويحبسُهُ على الخَسْفِ

بركات الشفاء:

قالت: أما إن قلت هذا.. فقد جعلني الله جنديا من جندي الشفاء.. وشرفني بما لم يشرف به أحدا من مصانع الشفاء التي تفخرون بها.

قلت: وبم شرفك؟

قالت: ألم تسمع ما ورد في من القرآن الكريم؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى:﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل:69)

قالت: إن أول ما شرفني به هو الوحي الذي تمتلئ به جوارحي وكياني، فتراني أرقص جذلة، وأنا أستمع إليه.

قلت: إن قومي يفسرون الوحي الوارد في الآية بالإلهام والهداية والإرشاد.

قالت: أي إلهام يقصدون؟

قلت: الإلهام الغريزي..

قـالت: أتعـني أني لا أسـمع شـيئا.. ولا أشـعر بشـيء إلا أني أتحرك حركات آلية كحركات مصانعكم.

قلت: هذا ما يقصدون.

قالت: بئس ما يقولون..فليسلبوني من حياتي خير لي من أن يقولوا عني هذا.

قلت: فهل تسمعين الوحي حقيقة؟

قالت: أسمعه وأعيشه وأطرب له.. ولا أحسب أن عسـلي إلا ثمـرة مباركـة من ثمـاره.. إن عسـلي ملقح بنـور الـوحي.. مطعم بجمال الإرشاد الرباني.

قلت: ما بالك غضبت هكذا؟

قالت: كيف لا أغضـب.. وأنتم تسـلبونني أخص خصوصـياتي.. أرأيت لـــو أن أحـــدهم رمى حركـــاتكم بالآليـــة، ورمي جهـــودكم بالجبرية.. أترضون بذلك؟

قلت: لا نرضى.. بل تأخذنا الحمية.

قالت: فكيف تريدون مني أن لا أغضب؟

قالت: أنت مجرد نحلة.

قـالت: أفيـك رائحـة من روائح إبليس الـذي تـاه بنـاره على طينكم.

قلت: معاذ الله.

قـالت: فلم تقــول هــذا إذن، وقــد قــال تعــالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَـا فَوْقَهَـا﴾(البقـرة:26)، وقـال تعـالى:﴿ وَمَــا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَـائِرٍ يَطِـيرُ بِجَنَاحَيْـهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾(الأنعام:38)

قلت: سلمت لكلام ربي.. فحدثيني عن أسرار الشفاء فيك.

قالت: إن بركات الوحي التي تملأ كياني تتغلغـل في جزيئـات العسل، فتملؤها بإكسير الشفاء.. فلـذلك لا يعجـز إكسـير شـفائي عن أي داء.

قلت: لـدينا أدواء كثـيرة تملأ مستشـفياتنا.. ولا نـرى لهـا من علاج.

قالت: فلم لم تجربوا العسل.. بل لم لم تداووا بالعسل.. فقد جعله الله شفاء لكل داء.

قلت: لعلهم داووا به.. فلم يفلح.

قالت: معاذ الله.. كلام الله لا يتخلف.. ألم تسـمع مـا ورد في الحديث أن رجلاً جاء إلى رسول اللّـه ﷺ فقـال: إن أخي اسـتطلق

بطنه، فقال ﷺ:(اسقه عسلاً)، فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول اللّه، سقيته عسلاً، فما زاده استطلاقاً، قال:(اذهب فاسقه عسلاً)، فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول اللّه ما زاده إلا استطلاقاً، فقال رسول اللّه ﷺ:(صدق اللّه وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً)، فذهب فسقاه عسلاً فبرئ(1).

قلت: سمعت هذا الحديث كثيرا، وسمعه قومي.

قالت: سمعتموه، أم قرأتموه.

قلت: سمعناه وقرأناه.. وتكلمنا به.

قالت: فماذا وجدتم؟

قلت: أما القدماء، فقالوا: كان لهذا الرجل فضلات، فلما سقاه عسلاً، وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع، فزاده إسهالاً، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع، ثم سقاه فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته ﷺ.

أما المحدثون..

قالت: فقالو:..

قلت: أهذا ما تقصدين؟

قالت: لا.. أنتم لم تسمعوا الحديث بعد، بل اكتفيتم بقراءته.

قلت: كيف هذا؟

قالت: سماعه ـ الذي هو التحقق به ـ يدلكم على المنهج الذي تستعملون به العسل شفاء لكل داء.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: أرأيت لو أن طبيبا غبيا من أطبائكم أجرى هذه التجربة على من استطلق بطنه، فسقاه عسلا.. فرأى بطنه يزيد استطلاقا ماذا سيفعل؟

قلت: سيقدم دراسة تحذر المرضى من استعمال العسل.. أو قد يوضع في أواني العسل: لا يصلح استعماله لمن يستطلق بطنه.

قال: ولكن النبي ﷺ الذي أدرك ما في قوله تعالى:﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾(النحل:69)أدرك أن الشفاء لا بد أن يتحقق، لأن كلام الله لا يتخلف.. ولذلك

---

1) البخاري ومسلم.

كان ﷺ يقول:(عليكم بالشفاءين العسل والقرآن)(1)

قلت: ولكن الخبراء عندنا يجربون(2).

قالت: هم يجربون بعض التجارب.. لا كل التجارب.. هم يجربون على الفئران، والفئران ليست بشرا(3).. وهم يجربون بلون من ألوان العسل، والعسل ألوان متعددة.. وهم يجربون بعسل مستنتج من غذاء معين، والأغذية كثيرة، ووفق ذلك يجربون ذلك بكميات معينة ومدد محددة..

أجبني: ألا يتطلب وصول تأثير بعض الأدوية عندكم شهورا؟

قلت: من الأدوية ما يحتاج استعماله سنوات.

قالت: فكيف تطلبون من ملعقة عسل واحدة أن تقضي على جميع عللكم.. وبين عشية وضحاها.

قلت: كل ما ذكرته صحيح.. ولكنه ليس سوى استنتاجات.. لا حقائق.. ونحن لا نسلم إلا للحقائق التي دلت عليها التجارب.

قالت: أما إن قلت هذا.. فسأدلك على رجل من أهل الله.. استطاع أن يعالج بعسلي بعض الأدواء التي تملأ قلوبكم بالمخافة.

قلت: من؟

قالت: ها هو ذا أمامك.

---

1) ابن ماجه.

2) البحوث الحديثة لا تزال تجد كل يوم جديدا في العسل... وكمثال على التطورات المتعلقة باستعمال العسل كمضاد حيوي أنه في سنه 1937 أظهر دولد في بحثه مفعول العسل كمضاد حيوي على سبعة عشر نوعا من مختلف الميكروبات... وفي سنه 1944 ناقش بلاكي محتويات العسل التي قد يكون لها مفعول المضاد الحيوي... وفي سنه 1956 استخلص فوجل مكونات العسل، بواسطة عدة مذيبات وتوصل إلى إن المواد القاتلة للميكروبات فيه موجودة في المواد القابلة للذوبان في الأثير... وفي سنه 1958 وجدت الدراسات أن المضاد الحيوي في العسل ليس في الخمائر الموجودة فيه، وفي سنة 1958 أيضا وجد ورنك أن العسل المخفف له نفس المفعول كمضاد حيوي وانه قد يكون ذلك بسبب خميرة الانفرتيز بالعسل.... وفي سنه 1960 قال ستومغاري أن تلك المادة في العسل غير معروفة وناقش كل من ستنسون سنة 1960 وجوناشن سنة 1963 المادة القاتلة للميكروبات بالعسل، وافترضوا أن تكون في حامض الجليكونيك أو في فوق اكسيد الهيدروجين... وفي سنه1970- وجد كافاناج في دراسة على مريضة عملت لها عمليات استئصال الرحم أن استعمال العسل موضعيا على الجرح يجعله خاليا من الميكروبات بين 3 إلي 6 أيام فقط، وان الالتئام يحدث بعد أسبوعين في المتوسط.

3) في الطب المتداول تتم تجربة الدواء على الحيوانات بحقنها بمواد تصيبها بالمرض، ثم تحقن بالدواء لمعرفة مدى فعاليته. بعد ذلك يطرح الدواء الجديد في السوق. وهذه طريقة ناقصة إن لم تكن خطا تماماً. فالحيوانات تختلف فزيولوجياً عن الإنسان، كما أنها لا تستطيع الكلام لتخبرنا عما تحس به عند أخذ الدواء. وقد وجد أن الفئران، وهي من أهم الحيوانات وأكثرها استعمالاً في هذا المجال، تتأثر بالمواد التي تحقن بها بدرجة تختلف كثيراً جداً عن تأثر الإنسان بها. وهذا يعني أن ما يحسبه المصنعون فتحا جديداً في علاج المرض الفلاني لا يعدو كونه وهما، لأنّ أثره العلاجي على الإنسان سيكون مختلفاً. هذا ناهيك عن الآثار الجانبية التي ستكون مختلفة هي الأخرى. انظر: الطب البديل.

التفت، فرأيت صاحب لحية طويلة، يظهر من هندامه أنه بعيد كل البعد عن الحضارة وما تتزين به، قال لي مفاجئـا: لا تنظـر إلى لحيتي وثيابي..فالإنسان ليس لحية ولا ثيابا.

قلت: زعمت هـذه النحلـة أنـك قـد توصـلت إلى علاج الأدواء الخطيرة بالعسل.

قال: أجل.. أنا أعيش في أدغال إفريقيـة.. وقـد أصـاب بعض إخواني هذا الداء الخطير الذي تسمونه فقدان المناعة المكتسـبة.. وقد كان عفيفـا طـاهرا.. ولكن بعض المجـرمين من ذوي البشـرة البيضاء حقنوه به، وهم يزعمون أنهم يعالجونه لألم أصاب ضرسه.

قلت: فما فعلت؟

قال: لقد سمعت ما أوحى الله تعالى به إلى النحـل.. فـرحت إلى بعض الأدغال، وأخـذت أجـرب الأنـواع المختلفـة من العسـل.. وبالمقادير المختلفة إلى أن وصلت إلى التركيبة التي لا يقـوم لهـذا المرض معها قائمة.

قلت: فلم لم تكتــف بشــراء العســل بــدل إرهــاق نفســك بالذهاب إلى الأدغال؟

قال: فعلت ذلك لسببين.. أما أحدهما، فلعدم ثقتي فيمـا يبـاع من عسـل.. فهم يطعمونـه سـمومهم، وأمـا الثـاني، فليقيـني أن العسل ابن ما يأكله كما أن الدواء ابن العناصر التي يتكون منها.

قلت: أتقصد أن النحل مصنع من مصانع الدواء؟

قال: أجل.. هو مصنع يقوم بتحليل ما يأكله ليصنع منه إكسـير العلاج.. فلذلك تختلف أنواع العسل باختلاف تغذية النحل.

قلت: فنلرجع إلى أخيك.. فهل شفي؟

قـال: شـفي شـفاء تامـا بحمـد اللـه.. وقـد أجـرى لـه بعض المتوسمين تحاليـل خاصـة، فوجـده قـد عـوفي عافيـة تامـة.. بـل اكتسب فوق ذلك من الصحة ما كان غائبا عنه.

قلت: فهل عدت وجربته على غيره؟

قال: جربته على كثيرين.. وكلهم بحمد الله شفوا.

قلت: فهل تصف لي نوع التركيبة العسلية الـتي اسـتخدمتها.. أم أنك تحتفظ بها سرا.

قال: انا لا أحتفظ بها.. ومعاذا الله أن أكتم مـا علمـني اللـه.. ولكنه لم يؤذن لي في نشرها في الوقت الحالي.

قلت: لم؟

قال: لقد جعل الله هـذا الـداء من الأدواء الـتي نـزلت عقوبـة

على عباده بسبب إفـراطهم في الانحـراف.. ولم يـأذن اللـه لهـذه العقوبة أن ترفع بعد.

قلت: فهل نسكت عن البحث عن علاجها؟

قـال: لا.. ابحثـوا كمـا تشـاءون.. وسـتجدون قريبـا دواءهـا.. وسـتجدون للعســل من ذلــك لحــظ الأوفى.. ولكن اعلمــوا أنكم ستبتلون بغـير هـذا الـداء.. ولعلـه أخطـر منـه إن ظللتم على هـذا الانحراف.. فهذه سنة الله.. وسنته لا تتخلف.

قلت: فهل وجدت علاجا لأدواء أخرى؟

قال: أنا الآن بصـدد البحث عن علاج يشـفي من جميـع أنـواع السرطان.

قلت: هذا مهم جدا.. فهل توصلت إليه.

قال: توصـلت إلى تركيبـة عسـلية تجعـل من الأورام الخبيثـة أوراما طيبة لا تؤذي صاحبها.. ولكني لم أكتف بـذلك.. بـل أريـد أن يفتح الله علي باستئصالها تماما.

قلت: ذلك يستدعي عمليات جراحية.

قال: أنا من جهة لا تؤمن بهـذه العمليـات.. فلـذلك نـرمم مـا يحتاج إلى الترميم من غير عمليات.

قلت: فدلني على ذلك..

قال: لم يأذن لي معلم البركات ولا معلم السلام في تعليمــك هذه العلوم.

قلت: لم؟..

قال: لكل شيء أهله.. ولست من أهل هذا الباب.

قلت: فلم أخبرتموني؟

قال: إدراك الحقائق يستدعي هذه المعارف.. أما التفاصــيل.. فتعرف عند أهلها.

قلت: ألا تأذنون لي في العلاج بالعسل؟

قال: لا نأذن لك ولا لغيرك ممن لم يؤتـه اللـه الفهم في هـذا الباب.

أردت أن أحدثــه فــإذا بــه يهم بالانصــراف، قلت: إلى أين.. فالحديث معك متعة لا تدانيها متعة.

قال: النحل في انتظاري.. وقد قدمت لهم اليوم طعاما خاصا لأنظر نوع العسل الذي يقدومه لي.. ثم نـوع الشـفاء الـذي يجعلـه الله فيه.

وقد سمعت اليوم من بعض الصالحين حديثا، أريـد أن أطبقــة

في العلاج.

قلت: وما سمعت؟

قال: سمعته ﷺ وهو يقـول:(من لعـق العسـل ثلاث غـدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء)(1)

انصرف.. فعادت النحلة، تقول: هذا مثال واحد.. وأعـرف من أمثاله الكثير ممن آتاهم الله الفهم عنه.

قلت: إن مـا ذكـره الشـيخ دلـني على منـاهج جديـدة يمكن استعمالها في الطب.. فنحن مقصرون جدا في اسـتعمال العسـل وفي البحث عن أسراره.

قـالت: لأن شـركات الأدويـة هي الـتي تتحكم في صـحتكم.. وهي لا يهمها من صحتكم إلا ما يملأ جيوبها.

قلت: ولكن العسل غال..

قالت: هو أرخص بكثير من الأدوية التي تملـؤكم سـموما.. ثم إن مصدر غلائه هو تقصيركم فيه.. ولو أحسنتم تربيته ووفرتم الجو الملائم له لاسـتغنيتكم عن السـكر المملـوء بالسـموم واسـتعملتم العسل.. ليكون لكم دواء وغذاء.

قلت: وعيت هـذا.. فعـودي بي إلى أرض قـومي ومعـاملهم، وأخبريني عما اكتشفوا في عسلك من أسرار الشفاء.

قالت: لقد اكتشـفوا الكثـير ممـا لا يمكن حصـره، وسـأكتفي بذكر ما تمس الحاجة إليه.

قلت: فاذكريه بورك فيك.

قالت: أولا.. من أهم خواص عسلي أنه وسط غير صالح لنمو البكتيريات الجرثومية والفطريات.. ولذلك فهو قاتل للجراثيم، مبيد لها أينما وجدت..

قلت: ولكنني سمعت شائعة في الولايات المتحـدة منـذ ثلاثين سـنة تنص على أن العسـل ينقـل الجـراثيم، كمـا ينقلهـا الحليب بالتلوث.

قالت: تلـك شـائعة أشـاعها المجرمـون عنـا.. وقـد ألهم اللـه طبيب الجراثيم ساكيت، فقـام باختبـار أثـر العسـل على الجـراثيم بالتجربـة العلميـة.. فـزرع جـراثيم مختلـف الأمـراض في العسـل الصافي.. وأخذ يترقب النتائج..

قلت: فماذا وجد؟

قالت: لشد ما كانت دهشته عظيمة عندما رأى أن أنواعـاً من

(1) ابن ماجة.

هذه الجراثيم قد ماتت خلال بضع ساعات في حين أن أشدها قـوة لم تستطع البقاء حية خلال بضعة أيام.

قلت: ماتت الجراثيم إذن؟

قالت: ماتت طفيليات الزحار (الديزيتريا)بعـد عشـر سـاعات من زرعها في العسل.. وماتت جراثيم حمى الأمعاء (التيفوئيد)بعد أربع وعشرين ساعة.. أما جراثيم الالتهاب الرئوي.. فقد مـاتت في اليوم الرابع.. وهكذا لم تجد الجـراثيم في العسـل إلا قـاتلاً ومبيـداً لها.

قلت: فيمكن استعمال العسل مادة علاجية بهذه الخاصية.

قالت: أجل.. فقد وجد أن الحفريات التي أجريت في منطقـة الجيزة بمصر دلت على وجود إناء، فيه عسل، داخل الهرم، مضـى عليه مـا ينـوف على ثلاثـة آلاف وثلاثمائـة عـام.. وعلى الـرغم من مرور هذه المدة الطويلة جداً، فقد ظل العسل سـليما لم يتطـرق اليـه الفسـاد.. بـل إنـه ظـل محتفظـاً بخواصـه، لم يتطـرق إليـه الفساد.. بل إنه ظل محتفظاً حتى بالرائحة المميزة للعسل!!

قلت: هذه بركات عظيمة.. فزيديني من بركاتك؟

قالت: العسل الـذي يتـألف بصـورة رئيسـة من سـكر العنب يمكن استعماله في كل الاستطبابات المبنية على الخواص العلاجية لهـذا السـكر كـأمراض الـدورة الدمويـة، وزيـادة التـوتر والـنزيف المعـوي، وقـروح المعـدة، وبعض أمـراض المعي في الأطفـال، وأمراض معدية مختلفة مثل التيفوس والحمى القرمزيـة والحصـبة وغيرها.. بالإضافة إلى أنه علاج ناجح للتسمم بأنواعه.

بالإضافة إلى أن السكر المدخر في الكبد (الغلوكوجين)ليس ذخيرة للطاقة فحسب.. بـل إن وجـوده المسـتمر في خلايـا الكبـد وبنسبة ثابتة يشير إلى دوره في تحسـين وبنـاء الأنسـجة والتمثيـل الغذائي.. زيادة على أن هذا اسـتعمل حـديثاً، وعلى نطـاق واسـع، ليزيد من معاونة الكبد لمضادة التسمم.

قلت: فزيديني من أخبار بركاتك.

قالت: يحتوي العسل على عامـل فعـال جـداً، لـه تـأثير كبـير على الخضاب الدموي (الهيموغلوبين)، وقد جـرت دراسـات حـول هذا الأمر في بعض المصـحات السويسـرية أكـدت التـأثير الفعـال على خضـاب الـدم حيث ازداد قـوام الخضـاب في الـدم من 57 بالمائة إلى 80 بالمائة في الأسبوع الأول، أي بعد أسبوع واحـد من المعالجة بالعسـل.. كمـا لـوحظت زيـادة في وزن الأطفـال الـذين

يتناولون العسل مقارنة بالأطفال الذين لا يعطون عسلاً.

قلت: رأيت بعض قـــومي يســـتعملون عســـلك في شـــفاء الجروح.

قالت: أحسنوا صـنعا.. وقـد أثبتت معـاملكم هـذا.. وقـد دلت الإحصائيات التي أجريت في عـام 1946 على نجاعـة العسـل في شفاء الجروح ذلك أن الدكتور (س. سـميرنوف)، وهـو أسـتاذ في معهد تومسك الطبي استعمل العسل في علاج الجـروح المتسـببة عن الإصابة بالرصاص في 75 حالة، فتوصل إلى أن العسل ينشط نمو الأنسجة لدى الجرحى الذين لا تلتئم جروحهم إلا ببطء.

وفي ألمانيـا يعـالج الـدكتور (كرونيـتز)وغـيره آلاف الجـروح بالعسـل وبنجـاح، مـع عـدم الاهتمـام بتطهـير مسـبق، والجـروح المعالجة بهذه الطريقة تمتاز بغزارة افرازاتها إذ ينطرح منهـا القيح والجراثيم.

ولهـذا ينصـح الـدكتور (بولمـان)باسـتعمال العسـل كمضـاد جراحي للجـروح المفتوحـة.. ويعـرب عن رضـاه التـام عن النتـائج الطيبة التي توصل إليها في هذا الصدد لأنه لم تحدث التصـاقات أو تمزيق أنسجة أو أي تأثير عام ضار..

قلت: فلعسلك تأثير في الجلد إذن؟

قالت: أجـل.. لا شـك في ذلـك.. وفي بعض الـدول الأوروبيـة يقوم الريفيون بربط أماكن الحروق والجروح والتسلخات بأشرطة من القماش المدهون بالعسل.

وأثبتت حادثة واقعية لطفل انسـكب عليـه كـوب من الشـاي المغلي أدى إلى التهـاب جلـد الصـدر والبطن، ومـع دهانـه سـريعًا بالعسل المتجمِّد؛ في الصباح بعد الكشف عن أماكن الحـرق تـبين أن السطح البطني للجسم أبيض عاديّ، كـأن لم يصـبه شـيء مـع ظهور فقاعة بحجم حبة العنب في أعلى الصدر ممتلئة سـائلاً يبـدو أنها كانت قليلة الالتهاب؛ فلم تُرَ، ولم تُدهَن بالعسل، ومع المقارنـة بين السطحين تبين المفعول الأكيد للعسل.

وفي الطب الروسي الشـعبي كـانت تُسـتعمَل لبخـة العسـل المخلـوط بالـدقيق لعلاج الخـراريج السـميكة الـتي تصـيب الأكـف والأقدام وكذلك سل الجلد.

وقد نشر الباحثون العاملون في عيادة الأمراض الجلدية، سنة 1945، في المعهد الطبي الثـاني، في موسـكو مقالـة عن النجـاح في علاج ســبعة وعشــرين مريضــاً، من المصــابين بالــدمامل

والخراجـات، ثم شـفاؤهم بواسـطة اسـتعمال أدهـان العسـل كمراهم.. ولا يخفى ما للادهان بالعسـل من أثـر في تغذيـة الجلـد، وإكسابه نضارة ونعومة.

قلت: فلعسلك علاقة لهذا بالجمال؟

قالت: لا شك في ذلك.. فالعسل من مصـادر الجمـال؛ ولهـذا يُستخدَم كمحلول للوجه مع اللبن؛ حيث يغذي العسل الجلد ويزيده بياضًا ونعومةً، ويقيه من الميكروبات، كما يعمل العسـل على شـدِّ الجلـد المـرتخي والمتشـقق، والشـفتين ولهـذا ينصـح بخلـط (30)جرامًا من العسل بمثلها من عصير الليمون بنصف مثلهـا من مـاء الكولونيا لهذا.

بل يعتبر العسل وعصير الليمون أحسـن المـواد لعلاج ضـربة الشمس وتهيج وتبقع الجلد.

قلت: والجهاز التنفسي.. فـإن أكـثر المرضـى يـترددون على أطباء الجهاز التنفسي.

قالت: فانصحهم بالتردد على عسلي.

قلت: كيف؟

قالت: لقد استعمل العسل لمعالجـة أمـراض الجـزء العلـوي من جهـاز التنفس، ولا سـيما التهـاب الغشـاء المخـاطي وتقشـره، وكذلك تقشر الحبال الصوتية.

وتتم المعالجة باستنشاق محلول العسل بالماء الدافئ بنسـبة 10 بالمائة خلال 5 دقائق.. وقد بين الـدكتور (كيزلسـتين)أنـه من بين 20 حالة عولجت باستنشاق محلول العسـل.. فشـلت حالتـان فقط.. في حين أن الطرق العلاجية الأخـرى فشـلت فيهـا جميعـاً.. وهي نسبة عالية في النجاح.

ولهذا كله يستعمل العسـل ممزوجـاً بأغذيـة وعقـاقير أخـرى كعلاج للزكـام.. وقـد وجـد أن التحسـن السـريع يحـدث باسـتعمال العسل ممزوجاً بعصير الليمون بنسبة نصف ليمونه في 100غ من العسل.

قلت: بالمناسبة.. لقد رأيت فيلما عن ابن سينا.. وقد لاحظت أنه عالج السل في أطواره الأولى بالعسل.. فهـل هـذا صـحيح.. أو هو مجرد مبالغة فنية؟

قالت: لا.. هذا صحيح.. ولـو أنـه لا ينبغي أن تأخـذ علمـك من الأفلام.. فبعض أهلها لا يتقون الله فيما يوزعونه من معلومات.

قلت: فهل ما فعله ابن سينا صحيح من وجهة النظر الحديثة؟

قـالت: أجـل.. وقـد كـان الـدكتور (ن. يـورش)، وهـو أسـتاذ الطب في معهـد كـييف، يـرى أن العسـل يسـاعد العضـوية في كفاحها ضـد الإنتانـات الرئويـة كالسـل وخراجـات الرئـة والتهابـات القصبات وغيرها..

قلت: عرفنا أثر عسلك في الصدر.. فما أثره في تلك العضلة التي تضخ الدماء في الجسم؟

قـالت: عضـلة القلب الـتي لا تقصـر في حفـظ دوران الـدم، وبالتالي تعمل على سلامة الحياة.. لا بد لها من غذاء يقوم بأودها.. وقد عرفت أن العسل لوفرة مـا فيـه من سـكر العنب يقـوم بهـذا الدور.. ومن هنا وجب إدخال العسل في الطعام اليـومي لمرضـى القلب.

قلت: فلننزل إلى الجهاز الهضمي.

قالت: إن المنطق الأساسي لاسـتعمال العسـل كعلاج لكافـة أمراض المعدة والأمعاء المترافقة بزيادة في الحموضـة، هـو كـون العسل غذاء ذا تفاعل قلوي.. يعمل على تعديل الحموضة الزائدة.. ففي معالجة قروح المعدة والأمعاء ينصح بأخذ العسل قبل الطعام بساعتين أو بعده بثلاث ساعات.

وقد تبين أن العسل يقضي على آلام القروح الشديدة، وعلى حموضة الجوف والقيء.. ويزيد من نسـبة هيموغلـوبين الـدم عنـد المصابين بقرح المعدة والاثنى عشري.

وقـد أثبتت التجربـة اختفـاء الحموضـة بعـد العلاج بشـراب العسل، كما أظهر الكشـف بالتصـوير الشـعاعي اختفـاء التجويـف القرحي في جدار المعدة لدى عشرة مصـابين بالقرحـة من أصـل أربعة عشر مريضاً، وذلـك بعـد معـالجتهم بشـراب العسـل، لمـدة أربعة أسابيع، وهي نسبة عالية معتبرة.

قلت: فنلسر قليلا نحو اليمين حيث يتربع الكبد على عرشه.

قالت: إن كافة الحوادث الاستقلالية تقع في الكبد تقريباً، وهو يـدل على مـدى الأهميـة الـتي يكتسـبها هـذا العضـو من أعضـاء الجسم.

قلت: أعلم ذلك.. ولكني أبحث عن بركات الشفاء بالعسل.

قـالت: لقـد ثبت بالتجربـة أن سـكر العنب الـذي هـو المـادة الرئيسية المكونة للعسل، يقوم بعمليتين اثنـتين.. أمـا الأولى، فإنـه ينشط عملية التمثيل الغذائي في الكبد.. وأمـا الثانيـة فإنـه ينشـط الكبـد لتكـوين التريـاق المضـاد للبكتريـا لزيـادة مقاومـة الجسـم

للعدوى.

كما تبين أن للعسل أهميـة كبـيرة في معالجـة التهـاب الكبـد والآلام الناتجة عن حصوات الطرق الصفراوية.

قلت: فلنـنزل إلى جهـاز الإطـراح الـذي يخلص الجسـم من الفضلات.

قالت: يرى الدكتور (ريمي شوفان)أن سـكر الفواكـه الـذي يحتوي العسل على نسبة عالية منه يسهل الإفراز البولي أكـثر من سـكر العنب، وأن العسـل أفضـل من الاثـنين معـاً، لمـا فيـه من أحمـاض عضـوية وزيـوت طيـارة وصـباغات نباتيـة تحمـل خـواص فيتامينية.

ولئن كثر الجدل حـول العامـل الفعـال الموجـود في العسـل الذي يؤدي إلى توسيع الأوعية الكلوية وزيادة الإفرازات الكلـوي أو ما يسمى بالإدرار، إلا أن تأثيره الملحوظ لم ينكره أحد منهم، حتى إن الدكتور (ساك)بين أن إعطاء مئة غرام ثم خمسـين غرامـاً من العسـل يوميـاً أدى إلى تحسـين ملمـوس، وزوال كـل من التعكـر البولي والجراثيم العضوية.

قلت: فلنصعد إلى الجهاز العصبي.. فما بركاتك عليه؟

قـالت: لقـد أثبتت المشـاهدات السـريرية الخـواص الدوائيـة للعسل قي معالجة أمراض الجهاز العصبي، فقد بين البروفيسور (ك. بوغوليبوف)و(ف. كيسيليفا) نجاح المعالجة بالعسل لمريضـين مصابين بداء الرقص ـ وهـو عبـارة عن تقلصـات عضـلية لا إراديـة تؤدي إلى حركات عفوية في الأطـراف ــ ففي فـترة امتـدت ثلاث أسـابيع أوقفت خلالهـا كافـة المعالجـات الأخـرى حصـل كـل من المريضين على نتائج باهرة.. لقد اسـتعادا نومهمـا الطـبيعي، وزال الصداع ونقص التهيج والضعف العام.

قلت: والعين.. هل لها ترياق من لعابك؟

قالت: أجل.. ألم تعلم أني شـفاء من كـل داء، فكيـف تقصـر العيون دون شفائي.. لقـد اسـتعمل الأطبـاء في الماضـي العسـل كدواء ممتاز لمعالجة التهاب العيون.

قلت: ذلك قديما.. أمـا الآن، فقـد اكتشـفت أنـواع كثـيرة من العقاقير والمضادات الحيوية.

قالت: لا تعد لذكرها أمامي.. فكيف تقارن السيف بالعصا؟

قلت: أنا لم أقرنك.. ولكني..

قالت: لا بأس.. مع ما ذكرت لم يفقـد العسـل أهميتـه.. فقـد

دلت الإحصائيات على دور العسل في شفاء التهاب الجفون والملتحمة وتقرح القرنية، وأمراض عينية أخرى.

ومن أكثر المتحمسين الاستطباب بمراهم العسل الأساتذة الجامعيون في منطقة (أوديسا)في الاتحاد السوفيتي، وخصوصاً الأستاذ الجامعي (فيشر)والدكتور (ميخائيلوف).. حتى إن تطبيب أمراض العين بمراهم العسل انتشر في منطقة (أوديسا)كلها.

وقد كتب الدكتور(ع. ك. أوساولكو)مقالاً ضمنه مشاهدته وتجاربه في استعمال العسل لأمراض العين، فإن شئت أن أذكر لك ما خرج به من نتائج فعلت؟

قلت: اذكري.. فمن يشبع من العلم؟

قالت: من النتائج التي وصل إليها أن العسل يبدي بدون شك تأثيراً ممتازاً على سير مختلف آفات القرنية الالتهابية، فكل الحالات المعاندة على العلاج العادية والتي طبق فيها المرهم ذا السواغ العسلي تحسنت بسرعة غريبة، كما أن عدداً من حادثات التهاب القرنية على اختلاف منشئه، أدى تطبيق العسل صرفاً فيها إلى نتائج طبية.

وقد ختم بحثه بنصيحة يقول فيها:(من المؤكد أن ما توصلنا إليه من نتائج يدعوا المؤسسات الصحية كافة، والتي تتعاطى طب العيون، أن تفتح الباب على مصراعيه لتطبيق العسل على نطاق واسع في معالجة أمراض العيون)

قلت: فهل سمعت نصيحته؟

قالت: لقد اطلعت أخيرا على بعض بني جلدتك قام ببحث في هذا[1]، وقد دفع إيمانه بما في القرآن الكريم من ذكر العسل إلى تجربته علاجا.

قلت: فهل نجح العلاج؟

قالت: يستحيل أن لا ينجح.

---

1) في عام (1981) أشار د. محمد عمارة - رئيس قسم طب العيون بجامعة المنصورة - إلى نجاح العسل في علاج التهاب القرنية، وعتمات القرنية المترتبة عن الإصابة بفيروس الهربس، والتهاب وجفاف الملتحمة، وينصح بوضع العسل في جيب الملتحمة الأسفل (2 – 3)مرات يوميًّا مثل وضع المراهم تمامًا، وإن كان ذلك ربما يؤدي إلى حدوث حرقان وقتي بالعين وانهمار الدموع؛ فإنه سرعان ما يتلاشى وتتحسن الحالة بنسبة (85 بالمائة).

انظر: دراسة إكلينيكية عن استخدام عسل النحل موضوعياً في علاج بعض أمراض العين السطحية، الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة، جمهورية مصر العربية، موقع: إسلام ست، وقد نشر بحثا في هذا عن طريقة جديدة لعلاج هربس القرنية منشور في صحائف المؤتمر الرمد الدولي الثالث والعشرين الذي عقد في كيوتو باليابان 1978، صفحة (175 ـ 1753).

قلت: فحدثيني عن مرض السرطان.. فلا أحسب أن هناك ما هو أكثر فتكا منه.

قالت: لقد ثبت لدى العلماء المتخصصين أن مرض السرطان معدوم بين مربي النحل المداومين على العمل بين النحل، ولكنهم حاروا في تفسير هذه الظاهرة..

فمـال بعضـهم إلى الاعتقـاد بـأن هـذه المناعـة ضـد مـرض السرطان لدى مربي النحـل مردهـا إلى سـم النحـل الـذي يـدخل مجرى الدم باستمرار نتيجة لما يصـابون بـه من لسـع النحـل أثنـاء عملهم.

ومال آخرون إلى الاعتقـاد بـأن هـذه المناعـة هي نتيجـة لمـا يتناوله مربو النحل من العسل المحتوي على كمية قليلة من الغذاء الملكي ذي الفعلية العجيبة، وكمية أخرى من حبوب اللقاح.

ومال كثير من العلماء إلى الرأي الثـاني خصوصًـا بعـد مـا تم اكتشافه من أن نحل العسل، يفـرز بعض العناصـر الكيماويـة على حبـوب اللقـاح تمنح انقسـام خلاياهـا، وذلـك تمهيـداً لاختزانهـا في العيون السداسية، فهـذه المـواد الكيماويـة الغريبـة الـتي تحـد من انقسام حبوب اللقاح، والتي يتناولها الإنسان بكميات قليلة جداً مـع العسل لربما كان لها أثـر كبـير في الحـد من النمـو غـير الطـبيعي لخلايا جسم الإنسان، وبالتالي منع الإصابة بمرض السرطان.

ومع ذلك.. فلا زالت مخابركم أعجز إلى أن تصـل إلى النتـائج الحقيقية في هذا.

قلت: لم؟

قالت: لعدم الجدية والصـدق.. فهم يتعـاملون معي باحتقـار.. ولا يستفيد مني إلا من يكرمني.. ويكرم شرابي المبارك.

بركات الألوان:

قلت: لقد حدثتني عن بركات تكوينك، وبركات شفائك..

قاطعتني وقالت: لم أحدثك عن بركات شفائي..

قلت: وعم كنت تتحدثين؟.. اشربي عسلا لتتخلصـي من هـذا النسيان.

قالت: أنـا لم أحـدثك إلا عن بعض بركـات شـفائي.. أمـا كـل شفائي.. فذلك شأن آخر.. ولـه أسـرار أخـرى.. لا تفهمهـا أنت ولا قومك.

قلت: فحدثيني عن بركات ألوانك وأنواعك.. فقد ذكـر تعـالى أنه يخرج من بطنك شراب مختلف ألوانه.

قالت: الله تعالى في تلك الآيــة ينبهكم إلى النظــر في ألــوان عسلي لاستعمالها في العلاجات المختلفة، ألم تسمع بعلم الألوان؟

قلت: بلى.. سمعت به، ولكني لم أفهمه.

قالت: لا يهم أن تفهمه أو لا تفهمه.. المهم أن تســتفيد منــه.. فإنكم تستفيدون من كل شيء من غير أن تفهمــوه.. وأقــل شــيء أنكم تستفيدون من رزق الله، ثم لا تبحثون عن الله.

قلت: فحدثيني عن ألوانك.

قالت: قومك يذكرون لي أربعــة ألــوان: الأبيض، والكهرمــاني الفاتح، والكهرماني، والكهرماني الداكن.

قلت: فما سر هذا الاختلاف في الألوان؟

قالت: لقد ربط الله تعالى بين إختلاف الأراضي التي نســلكها وبين الألــوان، فقــال تعــالى: فَاسْــلُكِي سُــبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْــرُجُ مِنْ بُطُونِهَــا شَــرَابٌ مُخْتَلِــفٌ أَلْوَانُــه(النحــل:69).. وهــذا يشــير إلى حقيقتين علميتين عن سبب اختلاف ألوان العسل، أقرتهــا المتابعــة العلمية الحديثة.

أما أولاهما، فهي أن اختلاف مرعى النحــل يــؤثر تــأثيراً كبــيراً في لون العسل.. وذلك لأن نوعية الرحيق وقف على نوعية الأزهار التي يرعاها النحل.

وأما الثانية، فهي أن اختلاف تركيب التربة الكيماوي بين بقــاع الأرض المختلفة.. يؤدي إلى اختلاف لون العســل.. ذلــك أن رحيــق الأزهار يعتمد اعتماداً كبيراً على ما يمتصه النبات من المعادن التي في التربــة.. وحيث كــانت كميــة المعــادن تختلــف بــاختلاف بقــاع الأرض.. فإن من الطبيعي لذلك أن يختلف لون العسل.

قلت: ولكــني ســمعت من المــربين أن اختلاف لــون العســل يعتمد أيضــاً على الأقــراص الشــمعية المســتعملة في الخليــة، فــإذا كانت هذه الأقراص جديــدة أعطت عســلاً فــاتح اللــون، وإذا كــانت قديمة أعطت عسلاً داكناً.

قالت: ولكن التمحيص في هذه الحقيقة العلمية المــؤثرة في لون العسل يدلنا على عظمة القرآن الكريم، كما يشير إلى بلاغتــه التي اقتضت أن يعطي من الحقــائق العلميــة مــا يتطلبــه الموقــف وبصورة بالغة اللطــف حــتى يتمكن الإنســان من تفهمهــا وهضــمها تماماً.

ذلك أن هذه الحقيقة العلمية التي ذكرتها والمــؤثرة في لــون العســـل هي ذات تـــأثير عـــارض وليس بطـــبيعي.. إذ أن اختلاف

الأقـراص الشـمعية بين القـدم والجـدة إنمـا مـرده إلى مـا يحدثـه الإنسان، اليوم، الذي يضع الأقراص القديمة في خليـة النحـل.. أمـا عسل النحل.. كما يصنعه النحل.. دون أن تتدخل فيه يد الإنسـان.. فإنه لا يتأثر مطلقاً بهذه الحقيقـة الـتي ذكرتـا، لأنـه لا أثـر لهـا، ولا وجود لها، في الأحوال الطبيعية.

ومن أجل ذلك لم تشر الآية الكريمـة إلى هـذا الأمـر مطلقـاً، لأنها تعالج العسل، كما ينتجه النحل، وفقاً للوحي الإلهي.

قلت: فما بركات ألوانك؟

قالت: لقد ذكرت لك أن ألوان عسلي تختلف باختلاف ألـوان غذائي.. ألم تعلم بأني مصنع أدوية؟ .. قـدموا لي مـا تشـاءون من أصناف الأغذية لأحولها لكم أصناف أدوية.

قلت: كيف ذلك.. وهل لكم علم بالكيمياء؟

قـالت: كيمياؤنـا تختلـف عن كيميـائكم.. كيميـائكم بـدأت بالإكسير الذي يحول الحجارة ذهبا.. وانتهت بالمصـانع الـتي تحـول السموم أدوية.. والفضـلات أطعمـة.. لتملأ الجيـوب بالـذهب الـذي تأسست لأجله الكيمياء.

قلت: فما كيمياؤكم؟

قالت: نحن نتعامل مع الأشياء، لا مع عناصرها.

قلت: كيف ذلك؟..

قـالت: نحن لا نعـرف مـا تسـمونه من سـكريات ودهـون وبروتينات..

قلت: فما تعرفون؟

قالت: نحن نسلم على كل زهرة نشـم رحيقهـا، ونسـألها عن أنواع البركات المودعة فيها.. لنأخذ منها قدر ما نحتاجه لنصنع منـه الإكسير المبارك.

قلت: أيعرف بعضكم بعضا؟

قالت: نحن لا نغتصب رحيق الأزهار إلا بعد إذنهـا لنـا.. أتريـدنا أن نطعم أولادنا أو أولادكم الحرام؟

قلت: أتعرفون الحرام؟

قالت: أنتم الذين لا تعرفونه.. لولا أن اللـه أذن لنـا من الأكـل من كل الثمرات ما امتدت أفواهنا إلى شيء منها.

قلت: وهل تسمون الله عند أكلكم؟

قالت: نحن لا نحتاج إلى ذلك.

قلت: أرفع عنكم القلم؟

قالت: نحن لا نغفل عنه، فنحتاج لأن نـذكره.. إننـا نـذكره في كل لحظة بكل كياننا.. ونرقص جذلا.. ونحن نذكره.

بركات الأنواع:

قلت: فحدثيني عن بركات ما يخرج منك(1) من أنواع بعـد مـا حدثتني عن بركات الألوان.

قالت: لقد شـاع في أوسـاط النـاس أن عسـلي وحـده فيـه شفاء للناس، بينما الآية تدل على ما هو أعم من ذلك.

قلت: فما الذي هو أعم من ذلك؟

قالت: هي تدل على كل مـا يخـرج من أجسـامنا من عسـل، وشمع، وسم، وغذاء ملكي، فقد ثبت لكل منهـا فوائـد علاجيـة من أمراض مختلفة.

قلت: فحدثيني عن الشمع.

قالت: يُعَدُّ شمع النحل من أغلى وأهم أنواع الشموع، وكـانت لـه أهميـة كبـيرة في العصـور الماضـية، ولكن أهميتـه قلت في عصركم نظرًا لاكتشاف المواد الشمعية الأخرى والشبيهة بالشـمع، ولكن لا يزال شمع النحل هو الوحيد الذي يدخل في صناعة الأدوية ومواد التجميل.

قلت: طلبت منك الحديث عن بركـات الشـفاء لا عن بركـات الصناعة.

قالت: لقد ثبت من خلال التجـارب أن شـمع العسـل يسـاعد في حماية الجيوب الأنفية من الانسداد؛ فقد كتب دكتـور جـارفيس أن طفلاً عمره (8)سنوات كان يشكو من بـرد في الـرأس وزكـام شديد، ولم ينفـع أي علاج معـه؛ حيث يوجـد بأنفـه إفـرازات مائيـة كثـيرة، وتتطلب عـدة نفخـات، ويعـاني الطفـل من تـورم أنسـجة الأنف.

وبعـد الفحص العـام، وفحص الأنـف أعطي الولـد قطعـة من شمع العسل لمضغها لمعرفة تأثيره، وبعد خمس دقـائق من مضـغ الشمع فـوجئ الطـبيب أن أنفـه قـد فتح، وصـار بإمكانـه التنفس، وبذلك كانت المضغة الواحدة من شمع العسل لها تأثير في ظرف خمس دقائق، وتستمر لمدة أسبوعين.

قلت: سمعت أن لك شرابا يسمى الغذاء الملكي.

قالت: أجل.. وهو سائل أبيض اللون يُسمَّى لبن النحـل، وهـو يشبه اللبن الكثيف أو القشدة، تفرزه الشغالات لتطعم بـه الملكـة

---

1) شراب النحل...اختلاف في الألوان واتفاق في الشفاء، رضوة حسن، 9/1/2001

واليرقات.

والغذاء الملكي هو الذي يحدد مستقبل اليرقات المؤنثة؛ فـإذا غذيت عليه طيلـة الطـور الـيرقي خمسـة أيـام؛ فستصـبح الملكـة طويلة ورشيقة ومبايضها كاملة خصبة، وإن غذيت عليه لمدة ثلاثـة أيـام فقـط، واسـتكمل غـذاؤها بحبـوب اللقـاح المعجـون بالعسـل أصبحت شغالة عقيمة، مبايضها ضامرة.

قلت: حدثينا عن بركاتك علينا.. لا عن بركاتك على ملكاتكم.

قالت: هذا الغذاء ذو تـركيب خـاص يجعلـه يتمثـل بأكملـه في الجسم، ويمر في الدم بدون حاجة إلى عمليات الهضـم، بالإضـافة إلى احتوائـه على كثـير من المـواد السـكرية والبروتينيـة والدهنيـة والعناصر المعدنية والفيتامينات، ومواد أخرى لم يُقَّدر بعضـها حـتى الآن.

وقد ثبت أن هذا الغـذاء يعمـل على تنشـيط أعضـاء الجسـم، ويزيد سرعة التحول الغـذائي، ويشـفي حـالات الإرهـاق والهبـوط، وينشط الغدد، ويؤدي إلى زيادة النشـاط ومقاومـة الضـعف سـواء كان بسبب السن أو بمسببات أخرى.

قلت: فما بقي مما يخرج من بطنك؟

قالت: حبوب اللقاح.. وصموغ النحل.. والسم.

قلت: فحدثيني عن حبوب اللقاح؟

قــالت: حبــوب لقــاح الأزهــار هي المصــدر الرئيســي لأهم المكونات الغذائية والعلاجية فيما يخرج من بطوننا، وقد ثبت حـديثًا أن حبوب اللقاح نفسها تحتفظ ببعض الخواص الغذائية والعلاجية.

حيث تُستخدَم حبوب اللقاح التي يجمعها النحل كغـذاء مركـز للإنســان لتعــويض النقص في الفيتامينــات والأحمــاض الأمينيــة والعناصــر المعدنيــة، وكــذلك تحتــوي حبــوب اللقــاح على كــل الفيتامينات المعروفة فيما عدا (ب12)، وتساعد حبوب اللقـاح في القضـاء على الأنيميـا لـدى الأطفـال؛ حيث تـؤدي إلى زيـادة عـدد كرات الدم الحمراء، ونسبة الهيموجلـوبين بعـد شـهرين من العلاج بحبوب اللقاح، وكذلك مستحضرات التجميل.

قلت: حدثيني عن صموغ النحل.

قالت: هي مـواد صـمغية يجمعهـا النحـل من قلـف الأشـجار، وبراعم بعض النباتات؛ لكي يسـتعملها في تضـييق مـداخل الخلايـا في فصــل الشــتاء، وفي تثـبيت الأقــراص الشــمعية في سـقوف الجحور التي يسكنها، وهذا الصمغ له لون بني مخضـر، ولـه رائحـة

مريحة جدًّا.

قلت: حدثيني عن بركات الشفاء فيه.

قالت: لقد استعمل في الطب الشعبي منذ القرن التاسع عشر، ويُعتقَد أنه علاج ناجح للأورام الخبيثة والجروح، ويُستعمَل في علاج الكالو، وذلك بتسخين الصمغ حتى يكون طريًّا، ثم يشكل على هيئة قرص صغير يوضع على الكالو، ويربط عليه فيسقط الكالو بجذوره بعد أيام قليلة.

قلت: فحدثيني عما به بدأنا.

قالت: تقصد سمي..

قلت: أجل.. ولو أني أخافه.

قالت: هو عافية وشفاء.. فسمي سائل شفاف يجف بسرعة حتى في درجه حرارة الغرفة، ورائحته عطرية لاذعة، وطعمه مُرٌّ، وبه أحماض عديدة منها: الفورميك، والأيدروكلوريك، والأرثوفوسفوريك، وغيرها؛ بالإضافة إلى كمية كبيرة من البروتينيات والزيوت الطيارة.

قلت: حدثيني عن بركات الشفاء(1).

قالت: الواقع أن استعمال سمي في العلاجات الطبية يعود إلى العصور القديمة، فقد ذكر في كتب صينية تعود إلى ما يزيد عن ألفي عام، وكتب عنه أبقراط وجالينوس والأطباء الإغريق.. ويقال: إن قدامى المصريين يعالجون الأمراض بمرهم مصنوع من منتجات النحل.

وفي عام 1888، نشر معالج نمساوي يدعى فليب تيرك تقريرا حول أولى الدراسات السريرية المتعلقة بلسعات النحل تحت عنوان:(تقرير حول ترابط غريب بين لسعات النحل والروماتيزوم)، ومنذ ذلك الحين شاع استعمال النحل لأغراض علاجية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا، حيث شكل نوعا من العلاجات الشعبية المتداولة.

ولكن باقتراب القرن الواحد والعشرين بدأت المختبرات الطبية تبحث في هذا العلاج، وتدرس طرق استعمالاته الصيدلية، وعلى الرغم من أن الأبحاث السريرية بدأت قرابة العام 2000، فإن معظم المرضى يطبقونه إما بأنفسهم وإما بمساعدة نحّالين عاديين، أما الأطباء، فقد باشروا باستعمال العلاج بسم النحل لكن بطريقة أكثر تخصصية وعلى هيئة حقن.

---

1) انظر:مجلة الدليل إلى الطب البديل.

قلت: فالاستفادة من هذا العلاج لا تزال قاصرة إذن؟

قـالت: أجـل.. ومـع ذلـك.. فقـد أثبتت جـدواها في كثـير من العلل.. كأمراض الجهاز المناعي، مثل التهاب المفاصـل والتصـلب المتعدد.. وأمراض القلب والأوعية الدموية القلبية، كارتفـاع ضـغط الدم، وعدم انتظـام النبض القلـبي، والتصـلب العصـيدي، والأوردة الدواليـة.. اضـطرابات الغـدد الصـماء كمتلازمـة مـا قبـل الـدورة الشـهرية والتشـنجات المرافقـة للـدورة الشـهرية وعـدم انتظـام الدورات الشهرية وانخفاض معدل سكر الـدم.. والالتهابـات كـالكلأ والثؤلول والتهاب الثدي والتهاب الحنجرة.. والاضطرابات النفســية كالكآبــة وتقلبــات المــزاج.. والاضــطرابات الروماتيزميــة كالتهــاب المفاصــل الرومــاتيزمي والالتهــاب العظمي المفصــلي والتهــاب الكيس الزلالي وآلام وتر المرفـق.. والمشـاكل الجلديـة كالأكزيمـا وداء الصـدفية ومسـامير اللحم والثؤلـول والقرحـات الموضـعية.. وأمراض الدم كفقر الدم والتهاب اللثة النزفي وفـرط دهن الـدم.. أمراض الجهاز الهضمي كالالتهاب الكبدي المزمن والتهاب القولون والقرحــة الهضــمية.. وأمــراض الجهــاز العصــبي كــالوهن والخثــار الدماغي والأرق والألم العصـبي القطـني.. وأمـراض العين كإعتـام عدسة العين والتهاب القزحية والجسـم الهـدبي.. وأمـراض الأنـف والأذن والحنجرة.. والأمـراض المرتبطـة بالتغذيـة وعمليـة التحـول الغــذائي كــداء الســكري وعــدم انتظــام معــدل الكوليســترول والتريغليسريد وفقدان الشهية للطعام وسوء التغذيــة.. والأمــراض السرطانية، كسرطان الخليـة القاعديـة والـورم اللمفـاوي والـورم القتامي الخبيث.

قلت: فما سر هذه البركـات الشـفائية الـتي وضـعها للـه في سمك؟.. أليس سما؟

قالت: أنتم تسمونه سما كما تسـمون سـمومكم أدويـة.. ألم تعلم أن لكم خبرة بتبديل الحقائق؟

قلت: صدقت.. فلنا الخبرة في ذلك.. وقد قال الشاعر:

إِن الفقيرَ، وإِن نمت	هُ (نمته)مكارمٌ
لا يستعانُ به، ولا	يُعبا بما هو قائلُ
لو كانَ سبحانَ البلا	غةِ (البلاغة)أنكرَتْهُ باقلُ
أو كان قساً في الفصا	حةِ (الفصاحة)قيْلَ هذا باقلُ

قالت: صدق شـاعركم.. فلـو أن الأغنيـاء وأصـحاب شـركات الأدوية اهتموا بسمي لصارت النحلة منا بآلاف الدولارات.

قلت: حدثيني عن أسرار العلاج في هذا الذي يسمونه سما.

قالت: يحتوي هذا الترياق الذي تسـمونه سـما على أكـثر من 40 مادة فاعلة، يتمتع العديد منها بتأثيرات فيزيولوجية.

أمـا المـركب الأكـثر غـزارة في السـم فهـو العنصـر المضـاد للالتهاب ميليتين، وهو مادة تحفز في إنتاج الكورتيزول الذي يشكل عاملا هاما في عملية الشفاء الذاتية للجسم.

قلت: كيف يتم العلاج بهذا الترياق؟

قـالت: هم يسـتخدمون لـذلك أي نحلـة من خليـة أو قفـير بواسطة ملقط، ويضعونها على جزء من الجسم حتى تلسـعه على أن تبقى في موضعها مدة تتراوح بين عشر وخمس عشرة دقيقة.

قلت: فهل يحددون لذلك عددا من اللسعات؟

قـالت: يختلـف عـدد اللسـعات في الجلسـة الواحـدة، وعـدد الجلسات، بحسب طبيعة المرض ومقدرة المريض على التحمــل.. فلمعالجة التهاب الأوتار مثلا قد يحتاج المريض إلى ما بين جلستين وخمس جلسات علاجية فقط، يتعرض في كل منها إلى لسعتين أو ثلاث لسعات.

بينما قد تستلزم معالجة الأمراض المزمنة كالتهاب المفاصـل مثلا عدة لسعات في الجلسة الواحدة مـرتين إلى ثلاث مـرات في الأسبوع لمدة ثلاثة أشهر تقريبا.

قلت: فهل كل المعالجين يستعملون النحـل.. ألا يستخلصـون سمه ليحقنوا به.

قالت: هم يفعلون ذلك.. وهو خلاف الأصل.. فأكثر المعالجين بسم النحل في أرضكم لا يسـتخدمون النحـل الحي، بـل يحصـلون منـه على السـم ويحقنونـه تحت الجلـد.. وتعطى الحقن كمعـدل وسطي مرة واحدة إلى مرتين في الأسبوع.. أمـا عـدد الحقن في كل جلسة، فيتجاوز بين حقنة واحدة إلى ثلاثين حقنة بحسب الـداء الذي تجري معالجته.

ولهذا كلمـا زاد عـدد الحقن أو اللسـعات اسـتغرقت الجلسـة العلاجية وقتا أطول.

قلت: فهل لهذا العلاج تأثيرات جانبية؟

قـالت: لا ينبغي اسـتخدام النحـل لمعالجـة المرضـى الـذين يعـانون من الحساسـية الشـديدة وداء السـل وداء الزهـري وداء

السيلان وداء السكري العابر المعتمد على الأنسولين.

قلت: فغير هؤلاء هل تحدث لهم بعض الآثار الجانبية؟

قالت: من التأثيرات الجانبية الشائعة التي تتجلى لدى حقن المريض أو لسعه الشعور بالألم والحكاك والتورم.

قلت: قد ذقت من ذلك.. فلذلك تجديني أرهبك.

قالت: وهذه الآثار لا ضرر فيها على الصحة.. فقد ورد في مجلة رعاية المريض في عام 1999 أن مدير معهد Monmouth pain في نيوجرسي أعطى خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة 34 ألف حقنة لمئة وأربعة وسبعين مريضا، ولكنه لم يلحظ أي تعقيدات هامة على مرضاه.

الحجامة

يعلم الله كم امتلأ قلبي بمحبة هذه النحلة المملوءة خيرا وبركة، لقد قلت لها، وهي توشك أن تغادرني: إلسعيني بلسعة من لسعاتك أتذكرك بها.

قالت: لا.. لم يؤذن لي في ذلك.. ولو أذن لي لفعلت من غير أن تطلبني.. ألم تعلم أني لا أفعل إلا ما يطلب مني؟

قلت: نسيت أنك تتلقين الأوامر من السماء.. فاعذريني.. فلا أزال ملطخا بتراب الأرض، وأعراف أهل الأرض.

قالت: لا بأس عليك.. فبإمكانك أن تطير إلى الأعالي إن تسلقت جبال الإرادة بعزيمة أهل الله.

قلت: لا تنسينا من دعائك.. فإن دعاء المسافر مجاب، ولا أراك إلا قد أزمعت سفرا.

قالت: أجل.. فقد جاءتني رسالة تطلب مني زيارة زهرة بعيدة.. هي في انتظاري.. لأستخدم رحيقها في علاج داء أصاب مسكينا في ذروة جبل شاهق ليس له من يعالجه.

قلت: فاذهبي.. فقد جلست معك ما أضاع كثيرا من وقتك.

سارت النحلة، وبقيت مبهوتا فيما قالت، قلت لنفسي: لو كان الأمر إلي لاستبدلت كل تلك المصانع التي يفخرون بها بخلايا كبيرة تجمع جميع نحل العالم.. وتغذى بأغذية جميع نباتات الأرض.. لأبعث بها إلى المرضى، لأريحهم من السموم والسكاكين.

فجأة ظهر رجل بلباس عصري.. ولكنه يحمل آثارا لعصور قديمة كثيرة، فقلت: من أنت يا رجل.. دعني.. فإني متوسم جديد.. وتوسمي يحتاج إلى استرخاء لأسمع أصوات الكائنات.

قال: ألست من الكائنات؟.. بل من أشـرافهم.. أنسـيت بـني لحمك ودمك؟

قلت: صــدقني.. لقــد انشــغلت بــأكوان اللــه الجميلــة عن أكوانكم.. فصرت أستحيي من بشريتي.

قال: لا.. ففي البشر الرسل والأولياء والصديقون.. ولا يضرك من انحرف من البشر.. فهم لا يضرون إلا أنفسهم.

قلت: صدقت.. ولكني لا أزال أحمل همومهم.

قــال: أنت إذن كالــدم الــذي يحمــل الهمــوم.. فيحتــاج إلى مشرط الجراح.

قلت: دعنــا من مشــارط الجــراحين، فقــد علمت من علــوم النحل ما يغنينا عن الجراحين.

قــال: لا.. لقــد دعانــا الحــبيب الــذي علمنــا العلاج بالنحــل إلى العلاج بالمشرط.

قلت: اعرف ما تقول يا رجل.. فالسـنة قـد دخلهـا الموضـوع والمكذوب والمنكر والشاذ..

قال: لا.. أنا لا أتكلم إلا عن الأحاديث الصحيحة.

قلت: من أنت أولا؟.. ولم جئت؟

قال: أنا رسـول معلم البركـة إليـك لأعملـك دواء من الأدويـة المباركة.

قلت: لقد أخبروني أن المتوسمين لا يتعلمـون إلا من الأشـياء نفسها.

قال: أنا حجام.. ولا يعملك الحجامة إلا حجام.

قلت: أنا أبحث عن الأدوية التي نزلت من السماء.. ودعتنا لها النصوص الممتلئة بالقداسة.

قال: وأنا أقوم بهذا النوع من العلاج.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إن في الحجم شفاء)(1)، وقوله ﷺ:(إن جبريـل أخـبرني أن الحجامـة أنفع ما تداوى به النـاس)(2)، وقولـه ﷺ:(إن كـان في شـيء ممـا تداوون به خير فالحجامة)(3)، وقوله ﷺ:(ما مررت ليلة أسري بي على ملأ من الملائكة إلا كلهم يقول لي: عليك يا محمد بالحجامــة)(4)

قلت: أكل هذه النصوص في فضل الحجامة؟

---

1) مسلم.
2) الخطيب.
3) أبو داود وابن ماجة والحاكم.
4) الترمذي، وقال حسن غريب، وابن ماجة.

قال: وغيرها كثير.. فالنبي ﷺ يعتبرها من أصول الأدوية، فيقول:(إن خير ما تداويتم به اللدود[1] والسعوط والحجامة والمشي، وخير ما اكتحلتم به الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر)[2]، ويقول:(خير الدواء الحجامة والفصاد)[3]، ويقول:(إن أفضل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري[4]، فلا تعذبوا صبيانكم بالغمز[5])[6]، بل كان ﷺ يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول:(من أهراق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء)[7]

قلت: ولكني سمعت الناس يذمون مهنة الحجامة، فكيف ترضاها لنفسك.

قال: كذبوا.. وكذبوا الحبيب ﷺ.. ألم يسمعوا قوله ﷺ:(نعم العبد الحجام يذهب بالدم ويخف الصلب وتجلو عن البصر)[8]

قلت: لقد رغبتني في الحجامة.. فأخبرني ما مبدأ اهتمامك بها؟

قال: أنا عبد القادر الذي يطلق عليه عبد القادر[9].

قلت: كلنا عبيد القادر.. فأيهم أنت؟

قال: رجل من بني عمومتك من بلاد الشام.

قلت: مرحبا بابن البلاد المباركة.. أخبرني عن أسرار ما اكتشفتموه من العلاج بالحجامة.

قال: لقد بدأت مع مجموعة من كبار الأطباء في جامعة دمشق بالبحث في هذا.. وقد توصلنا إلى نتائج علاجية باهرة.

قلت: فهل تحقق الشفاء بها؟

قال:أجل.. لقد استطاعت الحجامة أن تهز عروش أمراض ظلت مستعصية ومستحيلة الشفاء، فكان النجاح منقطع النظير لم يسبق لعلاجٍ طبي أو دواءٍ في العالم أن حققه، وخصوصاً عندما يتم الحديث عن أمراض مثل السرطانات والشلل والناعور والقلب

---

1) اللدود: هو بالفتح من الأدوية: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.
2) الترمذي وقال حسن غريب، والحاكم.
3) أبو نعيم في الطب.
4) القسط: عقار معروف في الأدوية طيب الريح، تبخر به النفساء والأطفال. النهاية 4/60 وسنتحدث عنه في هذا الفصل.
5) الغمز: العصر والكبس باليد، النهاية 3/385.
6) مسلم.
7) أبو داود وابن ماجة.
8) الترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس.
9) أقصد: المفكر والباحث عبد القادر يحيى، وهو المشرف العام على الأبحاث العلمية للحجامة، من موقع الحجامة.

القاتل والشقيقة والسكري وغيرها[1].

قلت: أكل هذا تحقق؟

قال: أجل.. بحمد الله ومنته.. وقد وصل الأمر إلى الدرجة التي بدأت المراكز الدولية الاهتمام بهذا الكشف بعد أيام قليلة من إعلان نتائجه الطبية والمخبرية حتى وصل الأمر إلى أطباء القصر الملكي البريطاني الذين أبدوا اهتماماً كبيراً بهذا البحث الطبي، وجرت اتصالات بينهم وبيني وبين الفريق الطبي السوري للتعرف على الطريقة التي يمكن بها علاج مرض الناعور الوراثي (الهيموفيليا) المتفشي في الأسرة المالكة البريطانية، نظراً لِمَا تحقق من نتائج باهرة على مستوى هذا المرض[2].

كما حضر وفد ياباني إلى سورية من أجل هذا الحدث الطبي العظيم.. أما الحكومة السويدية، فقد طلبت رسمياً من الحكومة السورية كتاب الحجامة.. ومثلها القصر الملكي السعودي الذي أبدى بالغ الاهتمام بهذا الفن الطبي، وأرسل القصر الملكي

---

1) نحن ننقل هذا مع علمنا بكثرة المخالفين لهؤلاء الأطباء احتراما لوجهة النظر المتفائلة من هذا النوع من العلاج الذي دلت عليه النصوص... واحتراما لأهل الخبرة وتصديقا لهم فيما رأوه من نتائج.

ومن باب الموضوعية نذكر أنه حصلت قبل فترة في سورية ضجة كبيرة حول الحجامة بسبب هذا، وقد دعت نقابة أطباء سورية إلى عقد ندوتين في دمشق حول الحجامة نوقشت فيهما واقع الحجامة في القطر... وأشار الدكتور رمضان رمضان نقيب الأطباء في سورية في مستهل الندوة إلى ما ادعي من دراسة علمية نشرت حول الحجامة في الإعلام وفي بعض الكتب المتفرقة، فهي تفتقد بالكلية لمنهجية البحث العلمي.. وبما أنه لا توجد معايير أو استطبابات للحجامة بالمفهوم الطبي الحديث وبالتالي فإن انتشار الحجامة بالشكل الحالي يشكل خطراً على الصحة العامة، وإذا ما كان هناك بعض الاستطبابات الطبية فيجب أن تحدد حسب دراسات علمية تقوم بها جهات علمية مسؤولة.

وأكد الدكتور عبد الغني عرفة أن الحجامة تطبيق للنظرية العلمية القائلة بوجود جهاز مناعي ذاتي في الجسم وأن هذا الجهاز يصيبه الكسل أحياناً فهو بحاجة إلى إعادة تنشيطه، وقد أكدت التجارب الكثيرة أن الحجامة كفيلة بذلك.

أما استطباباتها العلاجية فهي تطبق في الحالات التي يكون فيها الجهاز المناعي متراخياً، ولا أقول معطلاً، كما في حالات الشقيقة والآلام العصبية المختلفة وفي أمراض اضطرابات التغذية كالسكري وفي ارتفاع الضغط الدموي.

وبين الدكتور عبد المالك الشالاتي أن الحجامة تفيد بدون شك في بعض الأمراض وليس في كل الأمراض، وهي شائعة في كل أنحاء العالم، وهي نوع من الطب البديل الذي له جمعياته المنتشرة هنا وهناك.

وتساءل الدكتور أحمد ديب دشاش: لماذا الحجامة الآن، وهل عجز الطب عن مداواة بعض الأمراض ونريد تجربة الحجامة، وهل تفضل الحجامة مثلاً لأنها أكثر فعالية؟ ثم هل يتم تطبيقها في أماكن أو بأيد ووسائل عقيمة نظيفة تضمن سلامة المريض من انتقال العدوى بمرض خطير كالإيدز مثلاً؟ إذن لابد من إجراء دراسة تقيم فعالية الحجامة حسب المنهج العلمي. انظر مقدمة كتاب: الحجامة والقسط البحري للدكتور محمد نزار الدقر.

2) وهذا ما صرحت به إذاعة لندن الرسمية BBC في نشراتها الأخبارية الرسمية.

السعودي مراسل صحيفة الرياض الشهيرة في دمشق لعقد مجلس صحفي للإطلاع العلمي الطبي الموثوق عن مضمون وفعالية هذا الدواء والتقصي واستلام التحاليل الطبية المخبرية والسريرية، ومقابلة مرضى الشلل والسرطان والناعور والتليف الكبدي وغيرها من الأمراض الذين تم شفاؤهم شفاءً تاماً.

قلت: ولكن الحجامة قديمة على ما أعلم.. فكيف تعتبرون هذا كشفا حديثا؟

قال: الحجامة قديمة العهد، وقد طبقها الأنبياء الكرام وأوصوا بها الناس، وقد جاء الرسول ﷺ فأحيا بعد موت ذِكْرها، وطبَّقها بأصولها، وله الفضل في سنِّها للمسلمين وللعالمين أجمعين.

إلاَّ أنها ـ وبعد عصر مديد ـ نُسِيت قوانينها نتيجة الإهمال والعبث، حتى اندثرت هذه القوانين وضاعت إلاَّ ما ندر منها..

بالإضافة إلى أن هناك أيدٍ أثيمة دسَّت الكثير عليها، فأقلع الناس عنها ونسوها.

قلت: لكن كثيرين ممن أعرفهم جربوها.. فلم يجدوا فيها أي نفع.

قال: سبب ذلك يرجع إلى أنهم لم يقوموا بتنفيذها ضمن القوانين المشروعة لها، فالقوانين اندثرت وضاعت، فهم ينفذوها شتاءً، صيفاً، أو بعد بذل مجهود وتعب جسمي، أو بعد الطعام وليس على الريق.

قلت: فهل توصلتم أنتم إلى قوانينها، وأسرار الشفاء فيها؟

قال: أجل.. لقد أعاد العلامة محمد أمين شيخو هذه السنة بإحيائه لقوانينها الدقيقة، فقد جاء بقوانينها ووضعها موضع تنفيذها الصحيح من الجسم.. كما جاء بالسر العام لآلية شفائها، وهو التخلص من الدم الفاسد.

لقد أعاد هذا الفن العلاجي الطبي بذلك الشكل الفعال العلمي المفيد ونشرها بقوانينها وأصولها في كافة معارفه.. وهم نشروها طبعاً في عامة الناس وهكذا حتى صارت ولها انتشار واسع في الكثير من البلاد والعباد.

قلت: فحدثني عن أسرار الشفاء.. وقوانينها.

قال: إن الشروط التي بينها العلامة محمد أمين شيخو والتي اعتمدها الفريق الطبي في بحثه العلمي تتلخص في أربعة أمور.

قلت: أنتم أيضا تتحدثون عن الأربعة.

قال: ماذا تقصد؟

قلت: لا بأس.. فهذا نوع من الفضول.. ما الأول منها؟

قال: أولها وأهمها **المكان** الذي تجرى فيه الحجامة.

قلت: حـدثني عن آليـة عمـل الحجامـة أولا.. ثم حـدثني عن مكانها.

قال: تعمل الحجامة على إحـداث نـوع من الاحتقـان الـدموي في منطقة الكاهل من الجسم باستعمال كؤوس خاصـة مصـنوعة من الزجاج تعرف بإسم (كاسـات الهـواء).. وهي ذات بطن منتفخ، ثم عنـــق متطـــاول قليلاً بقطـــر أصـــغر من البطن ينتهي بفتحـــة مستديرة منتظمة.

وقد كانت هـذه الكـؤوس تتخـذ قـديما من القـرون المجوّفـة لبعض الحيوانات أو يصنعونها من عيدان النباتـات الصـلبة المجوّفـة مثل أغصان خشب البامبو عند أهل الصين، وقد تطورت فيمـا بعـد إلى كؤوس مصنوعة من الزجاج اليدوي لسهولة تنظيفها وتعقيمهـا وشـفافيتها الـتي تسـمح للحجَّام برؤيـة الـدماء المسـتخرجة من المحجوم.

قلت: فحدثني الآن عن مكانها.

قال: تطبق الحجامة على منطقة الكاهـل، وهي أعلى مقـدم الظهر تحت لوحي الكتفين، وعلى جانبي العمود الفقري.

وقد ورد في النصوص ما يدل على مراعاة الرسول ﷺ لهـذه المنطقة خاصة، ففي الحديث أن رسـول اللـه ﷺ كـان يحتجم في الأخدعين والكاهل(1)، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ كـان يحتجم على هامته وبين كتفيه وهو يقول:(من أهراق من هـذه الـدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء)(2)

قلت: ما سر اختيار هذه المنطقة بالضبط(3)؟

قال: لأنهـا أركـد منطقـة في الجسـم، وخاليـة من المفاصـل المتحركة، والشبكة الشعرية الدمويـة فيهـا أشـد مـا تكـون تشـعباً وغزارة، مما يجعل سرعة تيار الدم تقل، وبالتالي تحـط رسـوبيات الدم رحالها فيها.

---

1) الترمذي وأبو داود وإسناده صحيح.

2) أبو داود بإسناد حسن.

3) وقد روي احتجام رسول الله ﷺ في غيرها، ففي الحديث: كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثـاً:واحـدة على كاهلـه واثنـتين في الأخـدعين، أخرجـه أحمـد وأصـحاب السـنن وإسناده صحيح، وفي حديث آخر أنه ﷺ احتجم وهـو محـرم في رأسـه لصـداع كـان بـه، رواه البخاري، وعن جابر بن عبـد اللـه أن رسـول اللـه ﷺ احتجم على وركـه من وثء كان به » أخرجه أبو داود والنسائي.

زيادة على ذلك، فقد قمنا بدراسة هذه المسألة مخبرياً فوجدنا أن الحجامة على منطقة الكاهل تقل فيها الكريات البيض، وعند إجراء الحجامة في مواضع الساق والأخدعين وعلى الظهر بالقرب من الحوض كان دم الحجامة في هذه المناطق يماثل الدم الوريدي.

قلت: ما سر التأثير الذي يحدثه الاحتجام في هذه المناطق؟

قال: إن زيادة الدم الفاسد في البدن يجعله يتراكم في أركد منطقة فيها وهي الظهر، ومع تقدم العمر تسبب هذه التراكمات عرقلة عامة لسريان الدم العمومي في الجسم، مما يؤدي إلى ما يشبه الشلل في عمل كريات الدم الفتية، وبالتالي يصبح الجسم بضعفه عرضة لمختلف الأمراض.

قلت: فإذا احتجم ماذا يحصل؟

قال: إذا احتجم عاد الدم إلى نصابه، وذهب الفاسد منه، وزال الضغط عن الجسم، فاندفع الدم النقي العامل من الكريات الحمر الفتية ليغذي الخلايا والأعضاء كلها ويخلِّصها من الرواسب الضارة والأذى والفضلات.

قلت: أيمكن أن يكون هناك دم فاسد في الجسم؟

قال: أجل.. وهو الحاوي على نسبة عظمى من الكريات الحمر الهرمة وأشباحها وأشكالها الشاذة، ومن الشوائب الدموية الأخرى، ويشتد وجوده في منطقة الحجامة.

قلت: أليس الدم في الإنسان مقدرا بالمقدار الذي يحتاج إليه الجسم؟

قال: بلى..

قلت: فكيف لا تؤثر إزالة بعض الدم في عمليات الجسم؟

قال: نحن لا ننزع بالحجامة دما كثيرا.. ولا دما نقيا.. بل إن كمية الدم الفاسد المستخرج بعملية الحجامة الطبية للمرة الأولى يكون حوالي (100-150)غ، بينما تصل كمية الدم المأخوذ عند التبرع بالدم إلى (450)غ.

قلت: فعملية الحجامة إذاً لا تكلف شيئا كثيرا من الدم.

قال: ألم تسمع بأن أنفع الأدوية أرخصها ثمنا؟

قلت: ولكن الجراثيم.. ألا تخافون من وجودها في الكاسات أو المشارط؟

قال: ألنا تقول هذا الكلام؟.. ألسنا أطباء من أهل الاختصاص؟.. نحن نعقم الكاسات بعد الانتهاء من عملية الحجامة

بشكل جيد، وذلك إن أمكن، وإلاَّ نقوم بإتلاف هذه الكؤوس بشــكل نهائي في مكان خاص بالنفايات.

قلت: لا.. أقصد غيركم.. فقد ذكرت لك بأن الحجامة أصبحت وسيلة كسب جديدة للرقاة.

قال: هذا صحيح للأسف.. وليس الأمر قاصـرا عليهم.. بـل إن الشيء العجيب والمستنكر أن نسمع بقيام بعض الأطباء اللامبـالين باستغلال اهتمام الناس بعملية الحجامـة في هـذه الفـترة ليحققـوا من ورائها غاياتهم المادية حتى ولو كانت على حساب صحة الناس ضـاربين بـالقوانين العلميـة الصـارمة في الدقـة للحجامـة عـرض الحائط..

ونحن نتبرأ من تلك الممارسات لعملية الحجامة، والتي يشوه هـؤلاء حقيقتهـا السـامية ونفعهـا العميم للإنسـانية نتيجـة تجـرؤهم بالقيام بمثل تلك العمليات بطرقٍ تؤدي إلى ضــرر النـاس والطعن بالطب بأرقى مستوياته.

قلت: عرفت السر الأول.. فما **السر الثاني**؟

قال: مواقيتها.. ألم تعلم بأن لكل شيء مواقيته الخاصة به؟

قلت: فما مواقيتها؟

قال: أربعة..

قلت: لم أسأل عن أعدادها.. فأنا أعلم أنها أربع.. فهـل هنـاك غير الأربع؟

قال: هناك الميقات السنوي، والفصلي، والشهري، واليومي.

قلت: فحدثني عن الميقات السنوي.

قال: يستحب لكل صحيح أو مريض إجراءها في الســنة مــرة على الأقـل، وقـد أشـار إلى هـذا قولـه ﷺ:(نعم العـادة القائلة(1)، ونعم العادة الحجامة)(2)

قلت: هذا المريض عرفناه.. فلم الصحيح؟

قال: هي للصحيح وقايـة، وللمـريض علاج.. فالحجامـة وقايـة وعلاج.

قلت: فحدثني عن ميقاتها الفصلي.

قال: لقد أشار النبي ﷺ إلى هـذا الميقـات بقولـه:(اسـتعينوا

---

(1) القائلة: المقيل والقيلولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نـوم. يقـال: قال يقيل قيلولة، فهو قائل.

(2) الديلمي.

على شدة الحر بالحجامة، فإن الدم ربما يتبيغ(1) بالرجل فيقتله)(2)

قلت: فأنتم تجرون الحجام في الصيف؟

قال: لأن الحر يكون في فصل الصيف، فالحجامة حتماً تكـون قبله، أي في فصل الربيع.

قلت: أتجرون الحجامة في فصل الربيع؟

قال: نحن نجريها في كل وقت.. ولكن هذا أفضل أوقاتها..

قلت: فما التفسير العلمي لاختيار هذه المواقيت؟

قال: قبل أن نبدأ في التفسير العلمي لهـذا الموعـد لا بـد أن تعلم أولا أن من وظائف الدم تنظيم حرارة الجسم، فالماء يشـكِّل النسبة العظمى في الدم (90بالمائة)من بلازما الـدم، ولمـا كـانت للماء خصائص أساسية تميِّزه بصفة خاصة عن غـيره من السـوائل المعروفة في الطبيعة مما يجعلـه خـير سـائل مسـاعد على تنظيم حرارة الجسم في الكائن الحي.

قلت: عـرفت هـذا عنـد زيـارتي للمـاء.. فهـو من الأغذيـة المباركة.

قال: وانطلاقا من القدرة العالية للماء على تخـزين الحـرارة، والتي تعلو قدرة أي سائل آخر أو مادة صلبة.. فإن المـاء الموجـود بالـدم يخـتزن الحـرارة الـتي يكتسـبها أثنـاء مـروره في الأنسـجة النشطة الأكثر دفئاً ويحملها معه إلى الأنسجة الأخـرى الأقـل دفئـاً أثناء حركته بين أجزاء الجسم المختلفة.

فللدم قدرة عالية على توصيل الحرارة تعلو على قدرة غـيره من الأنسجة المختلفة في الجسم.

وعلى هذا فالـدم هـو المتلقي الأول والمتـأثِّر الرئيسـي الأول بـالحرارة الخارجيـة من بين كـل أنسـجة الجسـم المـؤثرة على الجسـم، فهـو يمتص الحـرارة من جزيئـات الجسـم المحيطـة بـه لينقلها للأقل دفئاً والعكس.

ونظراً لـدورة الـدم المسـتمرة في الجسـم فهـو يعمـل على تنظيم حرارة الجسم وتدفئة الأجزاء الباردة وتبريد الأجـزاء الدافئـة حتى تظل حرارة الجسم ثابتة باستمرار.

قلت: ولكن فصل الربيع قد يكون باردا.. فماذا تفعلون؟

قال: الأمر يحدُّه قانون عام لا يمكن لنـا تجـاوزه، وهـو فصـل الربيع والذي يشمل نيسان، وأيار، وربما نهاية آذار، وبداية حزيران،

---

1) أي غلبة الدم على الإنسان، يقال: تبيغ به الدم إذا تردد فيه.

2) الحاكم في تاريخه.

في اليوم السابع عشر إلى السابع والعشرين، من الشهر القمــري فقط، بارتفاع الحـرارة في آذار، وكـذا بانخفـاض الحـرارة في أول حزيـران إذا تصـادفا مـع نقص الشـهر القمـري.. وبـذا نكـون قـد استفدنا من ثلث السنة لإجراء عملية الحجامة.

قلت: فحدثني عن الميقات الشهري.

قال: لقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين)(1)، وقد ورد أنه ﷺ كان يحتجم في الأخدعين والكاهل، وكـان يحتجم لسـبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين)(2)

قلت: ما سر تخصيص هذه الأيام في هذين الحديثين؟

قال: لعلك تعلم أن للقمر تأثيره الفعلي على الأرض.

قلت: أجل.. فإن القمر على الـرغم من أن كتلتـه تبلـغ جـزءاً من ثمـانين جـزءا من كتلـة الأرض إلا أنـه يبلـغ من القـرب قربا(3) يجعل له قـوى جذبـه ذات أثـر عظيم.. فالمحيطـات ترتفـع لتكـوِّن المد، وحتى القشرة اليابسة لا تخلو من التأثيرات.

فقارة أمريكا الشمالية قد ترتفع بمقدار خمسة عشر سنتمتر عندما يتوسط القمر سماءها.. بل للقمر فعل في صعود النسغ في الأشجار الباسقة الارتفاع.

قال: انطلاقا مما ذكرته لاحـظ الأسـتاذان الفرنسـيان جـوبت وجاليه دي فوند أن للقمر تأثيرا على الحيوانات، فمنذ مولده كهلال إلى بلوغه مرحلة البـدر الكامـل يكـون هنـاك نشـاط جنسـي عنـد الحيوانات والدواجن والطيور حتى أنهما لاحظا أن الــدواجن تعطي بيضاً أكثر في هذه الفترة منها في فترة الشيخوخة، أي عندما يبــدأ القمــر في الانضـمار التـدريجي إلى أحـدب فـتربيع أخـير، ثم إلى المحـاق، فهنـاك فـترة نشـاط وفـترة فتـوة في الحيوانـات ترتبـط بأوجه القمر، وذلك حسب ملاحظتهما الخاصة.

وقد لاحظا على الدواجن وبعض الحيوانات المستأنسة ومثلها الأسماك ومحارات المحيط الهندي والبحر الأحمر أنها تنتج بويضات في فترات معينة لأوجه القمر.

قلت: كل هذا أصبح معروفا.. ولكني أريـد تـأثيره على الـدم.. وبالتالي تأثيره على الحجامة.

قال: القمر يبلغ ذروة تأثيره في مرحلة البدر منه، فيـؤثِّر على

---

1) الترمذي وقال حسن غريب.
2) الترمذي وقال: حسن غريب.
3) قدر وسطيا بـ (385000 كم)

ضغط الدم رافعاً إياه، مهيجاً الدم مما يثير الطبيعة، وهذا ما عاينتـه بعض الدول الغربية من ارتفاع نسبة الجرائم والاعتداءات في هـذه الليالي والأيام.

ففي الأيــام من الأول وحــتى الخــامس عشــر من الشــهر القمــري يهيج الــدم ويبلــغ حــده الأعظمي، وبالتــالي يحــرك كــل الترسـبات والشـوائب الدمويـة المترسـبة على جـدران الأوعيـة الدمويـة العميقـة منهـا والسـطحية وعنـد التفرعـات وفي أنسـجة الجسم عامة، تماماً كفعله في مياه البحار، فيكون بمثابـة الملعقـة الكبيرة في تحريكه لها لكي لا تترسب الأملاح فيها، ويصبح بإمكـان الدم سحبها معه لأهدأ منـاطق الجسـم حيث تحـط ترحالهـا هنـاك بالكاهل وذلك بعدما يبدأ تأثير القمر بالإنحسار من (17-27).

أما من (17-27)فيبقى للقمر تأثير مـد ولكنـه أضـعف بكثـير مما كان عليه، ولما كانت الحجامة تُجرى صباحاً بعد النوم والراحـة للجسم والدورة الدموية، ويكون القمر أثناءها ما يزال مشرقاً حتى لدى ظهور الشمس صباحاً، فيكون له تـأثير مـد خفيـف يبقى أثنـاء إجراء الحجامة وهذا يسـاعدنا في عملنـا، إذ يبقى لـه تـأثيرٌ جـاذب للدم من الداخل إلى الخارج (الدم الداخلي للـدم المحيطي والـدم المحيطي للكأس)وهو ذو أثر ممتاز في إنجاز حجامة ناجحة مجدية من حيث تخليص الجسم من كل شوائب دمه.

قلت: فلنفرض أن الحجامة أجريت في أيام القمـر الوسـطى أي في من الثاني عشر إلى الخامس عشر؟

قال: إن فعل القمر القوي في تهييج الـدم يفقـد الـدم الكثـير من كرياته الفتية.

قلت: وفي الأيام الأولى للقمر.

قـال: في أيامـه الأولى، أي عنـد كونـه هلالا لا يكـون قـد أدَّى فعلـه بعـد في حمـل الرواسـب والشـوائب الدمويـة من الـداخل للخارج للتجمُّع في الكاهل.

قلت: لقد وردت بعض النصوص تحدد أيامـا معينـة للحجامـة، كقولـه ﷺ (إن يـوم الثلاثـاء يـوم الـدم، وفيـه سـاعة لا يرقأ[1])[2]، وقوله:(الحجامة على الريق أمثل وفيهـا شـفاء وبركـة، وتزيـد في الحفظ والعقل فاحتجموا على بركـة اللـه يـوم الخميس، فـاجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت ويـوم الأحـد واحتجمـوا يـوم الاثـنين

---

1) يرقأ: يقال: رقأ الدمع والدم والعرق يرقأ رقوءا بالضم إذا سكن وانقطع. النهاية 2/248.

2) أبو داود.

والثلاثاء، فإنه اليوم الذي عافاه الله فيـه أيـوب من البلاء، واجتنبـوا الحجامة يوم الأربعاء فإنـه اليـوم الـذي ابتلي فيـه أيـوب ومـا يبـدو جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء وفي ليلة الأربعاء)(1)

قال: لعلك تلاحظ التضـارب بين الحـديثين.. فـالأول ينهى عن الحجامة يوم الثلاثاء بينما يأمر بالحجامة فيها في اليوم الثاني.

قلت: أجل.. ذلك واضح.. فبم تفسره؟

قـال: هـذا التنـاقض إن دلَّ على شـيء فهـو يـدل على عـدم صحة هذه الأحاديث(2).. أما الصحيح الذي يقبلـه المنطـق الواضـح من خلال الواقع العملي والذي تجده موافقاً لحديث رسول الله ﷺ فهو الـذي لا يحـدد الأيـام، وإنمـا يحـدد التـاريخ الـذي يلي منتصـف الشهر القمري كما مر معنا.

زيادة على هذا.. فإن قوله ﷺ:(إن خير ما تحتجمون فيه يـوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم إحدى وعشـرين)(3) يـدل على عدم صحة الأحاديث التي تنهى عن معظم أيام الأسبوع.

قلت: لا أرى فيه ما تقصد.

قال: لو فرضنا أن يوم سـبعة عشـر من الشـهر القمـري أتى يوم الجمعة.. فهذا يعني أن يـوم تسـعة عشـر سـيكون حتمـاً يـوم أحد، ويوم إحدى وعشرين سيكون يوم ثلاثاء.

ولنفترض أيضاً أن يوم سبعة عشر أتى يوم خميس، فسيكون يوم تسعة عشـر يـوم سـبت، ويـوم إحـدى وعشـرين يـوم إثـنين.. وهكذا فإن عدم ثبات الأيام بالنسبة للتواريخ للشهر القمري لكونـه متبـدلا من شـهر لشـهر، ومن سـنة لسـنة يثبت بطلان الأحـاديث والادعــاءات الــتي تنهى عن الأيــام رغم دخــول الموعــد المحــدد للحجامة في الربيـع من كـل سـنة وبعـد منتصـف الشـهر القمـري وتؤكد بطلانها بشكل واضح جلي.

قلت: هذا تحليلك.. وهو قد يغضب المحدثين.. أفلا أدلـك على ما هو ألطف منه وأكثر أدبا؟

قال: علمني مما علمك الله.

---

1) ابن ماجه كتاب الطب في أي الأيام يحتجم رقم (3487)وابن السني وأبو نعيم - عن ابن عمر.

2) قال ابن القيم: وكل الأحاديث التي ذكرت فيها الأيام ضعيفة، وقـال الفيروزبـادي في سفر السعادة: وباب الحجامة واختيارها في بعض الأيام و كراهتها في بعضها مــا ثبت منه شيء، أي في السنة.

وقال ابن حجر وورد في الأوقات اللائقة بالحجامة أحـاديث ليس فيهـا شـيء (أي من الصحة)على شرطه، فكأنه أشار إلى أنها تصنع عند الاحتياج ولا تتقيد بوقت دون وقت.

3) ابن ماجة.

قلت: حاولوا أن تبحثوا في أسرار الأيام كما بحثتم في أسرار القمر.. فلله في الأيام من البركات ما لا يقل عما تعرفونه.

قال: فكيف نعمل مع التعارض؟

قلت: هذا سهل جدا.. اذهبوا للمحدثين.. فهم صيادلة الحديث وصيارفته.. وسيميزون المقبول من المردود.

قال: دللتني على خير.. دلك الله على كل خير.

قلت: فحدثني عن الميقات اليومي.

قال: لها بداية ونهاية كل يوم.

قلت: فما بدايتها؟

قال: تجرى الحجامة في الصباح الباكر بعد شروق الشمس لما ذكرنا من الفوائد.

قلت: فما ميقات انتهائها؟

قال: حسب حرارة الجو، فإن كانت الحرارة بارتفاع الشمس لا تزال معتدلة نستمر حتى الظهيرة، فهو جائز، لكنه غير مستحب،فالأفضل منه هو الساعات الأولى من النهار، لأن الحجامة تتم على الريق، فإن بقي الإنسان لساعات متأخِّرة قبل حلول الشمس وسط السماء، فلربما يتداركه التعب ويشعر بدوار لتأخُّره في الإفطار واحتجامه، فلكي نتفادى كل هذه الاحتمالات، ولكي ننفِّذ حجامة صحيحة مفيدة أتمَّ الفائدة نسارع في ساعات النهار الباكرة ونحتجم بين الساعة السابعة للعاشرة، وفي حال الضرورة الحادية عشر فالثانية عشرة.

قلت: وما الضرر في التأخر؟

قال: عندما نتأخَّر لساعات متأخِّرة للظهيرة فإننا نتحرَّك ونعمل، ومن شأن هذا أن يحرِّك الدم قليلاً، ويجرف القليل مما تقاعد من شوائبه في منطقة الكاهل، وبالتالي تكون الفائدة من الحجامة غير تامة.

قلت: عرفت السر الثاني.. فما **السر الثالث**؟

قال: سن المحتجم..

قلت: وهل هناك سن معينة للاحتجام؟

قال: أجل.. وهو يختلف بين الذكور والإناث، فنبدأ في الذكور من الثانية والعشرين، ونبدأ مع الإناث بعد تخطي سن اليأس.

قلت: لم تؤخرون الإناث إلى هذا السن؟

قال: لأن الله تعالى جعل لهن مصرفاً طبيعياً تستطيع من خلاله أن تتخلَّص من الدم العاطل، فبالمحيض تبقى دورتها الدموية

في قمة نشاطها، وعندما تبلغ المرأة سن اليأس يتوقـف المحيض، فتصـبح خاضـعةً لنفس ظـروف الرجـل الـذي وصـل إلى سـن العشرين، وتـدخل بمرحلـةٌ فيزيولوجيـةٌ جديـدةٌ تقـود إلى تغـيرات نفسية وجسدية تمهِّد لنشوء أمراضٍ عديدة كارتفاع الضغط ونقص التروية والسكري وغيرها، وهنا تصبحٌ الحجامة أمراً لا بديل عنه أبداً يعيد للمرأة استقرارها النفسي والجسدي، فإن ترفعت عن إجـراء عملية الحجامة البسيطة غدا الجسم مرتعاً ومعرضاً للأمراض.

قلت: ولم لا تجـرى للرجـل الحجامـة في مرحلـة الطفولـة والبلوغ؟

قال: لأن جسمه بتطلَّب كميات كبـيرة من الحديـد.. فهـو في طور النمـو، وهـذه الكميـات لا يؤمِّنهـا الغـذاء كاملـةً لهـذا الجسـم النامي، إنما يجري سدُّ النقص عن طريـق هضـم الكريـاتِ الهرمـة والتالفة في الكبد والطحال وبلعميات عامة الجسم مشكِّلةً الحديـد الاحتياطي المخزون الموضوع لحاجة الجسم.

فالجسم عامة ونقي عظامه يسـتفيد من هـذه الكريـات بعـد تحويلها التحويلات المناسبة إضافة لبنـاء كرياتـه الحمـراء بسلسـلة من العمليات، أما بعد العشـرين عامـاً، فيتوقـف الاسـتهلاك الكبـير للكريات الحمر التالفة لتوقـف عجلـة النمـو ويصـبح الفـائض منهـا كبيراً يجب التخلُّص منه.

قلت: عرفت السر الثالث.. فما **السر الرابع**؟

قال: هو ما يرتبط بالحجامة من غذاء وصوم وغيره.

قلت: سمعت أنك ذكرت بأن الحجامة تكون على الريق.

قال: أجل.. وقد أشار إلى هذا الحديث الذي ذكرته، فقد قـال ﷺ فيه:(الحجامة على الريق أمثل وفيها شـفاء وبركـة)(1).. ولهـذا يحظر على المرء المحتجم تناول أية لقمة صباح يوم حجامتـه، بـل يبقى صائماً عن الطعام ريثما ينفذها، ويجـوز لـه تنـاول فنجـانٍ من القهوة أو كأسٍ من الشاي، لأن كمية السكر الموجودة فيهـا تكـون قليلة، فلا تحتـاج للعمليـات الهضـمية المعقـدة الـتي من شـأنها أن تحـرك الـدم، وتـؤدي إلى تنشـيط الـدورة الدمويـة والتـأثير على الضغط الدموي وضربات القلب.. كما أن هـذه الكميـة القليلـة من الشاي أو القهـوة تحتـوي على منبـه عصـبي بسـيط يجعـل المـرء يستقبل الحجامة بصحوة.

قلت: مـا الضـرر الـذي يحصـل بعـدم صـيام المحتجم قبـل

(1) ابن ماجه والحاكم وابن السني وأبو نعيم عن ابن عمر.

الحجامة؟
قـال: الأكـل ينشـط جهـاز الهضـم في عملـه، وتنشـط بـذلك الـدورة الدمويـة لتتوافـق متكافئـة مـع عمليـات الهضـم، فـتزداد ضربات القلب، وينشط جريان الدم ويرتفـع الضـغط، وهـذا يـؤدي إلى تحريك الراكـد والمتقاعـد من الرواسـب الدمويـة في الأوعيـة الدموية السطحية والأعمق لمنطقة الكاهل المتجمعة خلال النوم.
ومثل ذلك في عمليات توزيع الغذاء النـاتج عن الهضـم، فإنـه ينشط الدم لكي ينقل هـذه الأغذيـة لكافـة أنسـجة الجسـم، وهـذا الوضع لا يناسب الحجامة، وفيمـا إذا أجـريت الحجامـة بمثـل هـذه الظروف فإن المُستخرَج هو دم عامل، فضلاً عن أننا فقدنا الفائـدة المرجوة من الحجامة، فإن المرء المحتجم يعاني أيضـاً من دوار أو إغماء بسيط نتيجة تقليل الوارد الدموي للدماغ.
قلت: وبعد الحجامة.. هل يظل المحجوم صائما؟
قال: لا.. بإمكان المحجـوم أن يتنـاول من الطعـام مـا سـهل هضمه وتمثله، كالخضار والفواكه والسكاكر.. ولهذا عادةً مـا يُقـدَّم للمحجومين طبقٌ من سلطة الخضار الممزوجة مع قطع من الخبز المحمَّر والمتبَّلة بالزيت والخل مصحوباً بطبق من الزيتون.
قلت: واللبن.. ذلك الغذاء المبارك؟
قـال: لا.. يحظـر تناولـه، وتنـاول مشـتقاته كـالجبن واللبن والقشـدة والأكلات المطبوخـة مـع أحـد هـذه الأنـواع طيلـة يـوم الحجامة، أي: طوال نهاره وليله.
قلت: لم؟.. أأنت من تلاميذ الماكروبيوتيك؟
قال: لا.. أنا من تلاميذ المباركوبيوتيك.. ولكن اللبن ومشتقاته يؤديـان في الغـالب للغثيـان والقيء، ويعملان على اضـطراب في الضغط بما يؤدي للضرر.
قلت: لم؟
قـال: لاحتـواء اللبن على مـادة الكالسـيوم، وهي تـؤدي إلى اضطرابات في ضغط الدم.
قلت: حـدثتني عن أسـرار البركـات، فحـدثني عن بركـات الشفاء.
قال: هي من الكثرة بحيث لا أطيـق أن أذكرهـا لـك في هـذا المجلس.
قلت: الحجامة كالعسل إذن؟
قال: هي لا تصل إلى مرتبته.. ولكنها ببركات الله لا تقل عنه.

قلت: مع كل ما ذكرت فإني لا أزال محتارا.. فـدلني على مـا يزيل حيرتي.

قال: لقد قدر الله مقـادير الشـفاء كمـا قـدر أسـبابها.. فمن الخلق من يكون شفاؤه في الحجامة.. فلا يشفى إلا بها.. فلا ينبغي أن نحرمه من ممارستها.. ومنهم من قـدر اللـه شـفاءه في الحبـة السوداء، أو في نوع من أنواع العسل.. والطـبيب الناصـح يمـارس كل ذلك وغير ذلك إلى أن يظفـره اللـه بالـدواء الشـافي والتريـاق المبارك.

قلت: ألا يصبح المريض بذلك فأرا للتجارب؟

قال: لا.. يصبح فأرا إذا سقيتموه بسمومكم التي تنشر الأدواء حيثما حلت.. فإذا نفعت لم تنفع إلا قليلا لا بركـة فيـه.. أمـا الأدويـة المباركة فحيثمـا حلت نفعت، وحيثمـا وقعت شـفت.. فـإن تخلـف شفاؤها في أمر لسبب نجهله لم يتخلف في آخر.

قلت: فهلا تذكر لي أسبابا لتخلفها؟

قال: أسباب ذلك كثيرة منهـا مـا نعلمـه ومنهـا مـا لا نعلمـه.. وأهمها الإيمان.. فالإيمان بحد ذاته شفاء.

قلت: الإيمان بماذا؟

قال: بصدق رسول الله ﷺ في الإخبار عن تأثيرهـا.. والإيمـان بصـدق الملائكـة في نصـحها.. فقـد نصـحتكم بالاستشـفاء بهـا في أعظم رحلــة قــررت أعظم الأحكــام.. فـآمنوا بظــواهر النصــوص تفلحوا وتصحوا.

قلت: بورك فيك وفي نصحك.. فحدثني عن بركات الأنواع.

قال: الحجامة نوعـان: رطبـة، وقـد عرفتهـا، وجافـة.. فأصـخ سمعك لتعرف أسرارها.

قلت: كلي آذان صاغية.

قال: الحجامة الجافـة هي عمليـة تكـوين احتقـان دمـوي في الموضع المطلوب، بواسطة كأس الهواء بدون تشريط، ومن خلال الحجامة الجافة يتم وضع الكأس على الموضع المحـدّد طبقـاً لنـوع المـرض، بعـد عقمـه بـالمطهرات الطبيـة، ويتم شـفط الهـواء من خلال الخرطوم حتى يتم تفريغ الهواء، ومن ثم يترك الكـأس هكـذا لمـدة تـتراوح من 3 إلى 5 خمس دقـائق، ثم يـنزع الكـأس فنجـد دائرة حمراء على سطح الجلد مكان فوهة الكأس.

والحجامة الجافة تنقل الأخلاط الرديئـة من مواضـع الألم إلى سطح الجلد، وبذلك يختفي جزء كبير من الألم.

وقد يتمّ أحيانًا دهن الموضع بزيت الزيتون أو زيت النعنـاع، ثم الشفط البسيط وتحريـك الكـأس على وحـول المكـان المطلـوب، لجذب الدم وتجميعه في طبقة الجلد.

قلت: لقـد رأيت من العامـة من يفعـل هـذا.. وهم يـدعونها كؤوس الهـواء، حيث تشـعل ورقـة أو قطعـة قطن داخـل الكـأس لتفريغ الهواء، ثم توضع مباشرة على جلد المريض.

قـال: ذلـك صـحيح.. فـالهواء يسـخن داخـل الكـأس فيتمـدد بالحرارة، وعند ملامسته للجلد يبرد الهـواء فينكمش ويقـل حجمـه فيحدث فراغاً داخل الكأس ممـا يجـذب الجلـد إلى جهتـه، ويؤولهـا آخـرون أن الإحـتراق نفسـه يسـتهلك الأوكسـجين ضـمن الكـأس، ويحدث فراغاً يجذب إليـه الجلـد ويحـدث تـبيغ الـدم في موضـعها، حيث يتغير لون الجلد فيصبح بنفسجياً لعدة ساعات نتيجة لاحتقــان الدم فيه وتمر عليه أيام قبل أن يعود إلى الجلد لونه الطبيعي.

قلت: فهل لهذا النوع من الحجامة أثره العلاجي؟

قـال: أجـل.. فالحجامـة الجافـة تفيـد في تخفيـف أو إزالـة الاحتقان من المناطق الواقعة حولهـا، علاوة على حـدوث تـأثيرات انعكاسية أخرى ذات تأثير بين في تسكين الألم وتخفيف الاحتقان.

ومن أهم استطباباتها آفـات الرئـة الحـادة واحتقانـات الصـدر الناتجة عن الإصـابات القلبيـة والرئويـة، احتقانـات الكبـد، التهابـات الكلية، التهاب التامور وفي العصابات القطنية الوربية.

ويمكن أن تقوم الحجامة الجافة مقام الاستدماء الـذاتي لـدى الأطفــال أو لــدى من يتعــذر العثــور على أوردتهم من الكهــول. والاستدماء الذاتي يكون بنقل الدم من وريـد المـريض وحقنـه في عضله الإليوي، وهي طريقة عامة لإزالة التحسـس وتقويـة الـدفاع الذاتي للمريض.

قلت: فهل يدخل الاجتهاد في الحجامة وأنواعها؟

قال: أجل.. بشـرط أن يكـون ذلـك من المختصـين الخـبراء.. وقد حصل من ذلك الكثير..

قلت: فاذكر لي ما يمكن الاستفادة منه.

قـال: من ذلـك مـا يسـمى بالحجامـة المدلكـة، وقـد كتبت اختصاصـية العلاج الفيزيـائي الأمريكيـة أنيتـا شـانون Anita Shanon تقول عن هذا النـوع:(الحجامـة المدلكـة هي تطـوير حـديث لعلاج قديم وتعتبرإضافة فعالة لعملية حفـظ الصـحة ومتممـة لعلاج عـدد من الأمراض الشائعة، ولقد اعتمدت التطبيقات العلاجيـة للحجامـة

من خلال إحــداث تــبيغ في الجلــد المحجــوم من أجــل تصــريف السوائل الفائضـة والسـموم.. وحـل التصـاقات وتنشـيط الأنسـجة الضامة.. وتنشيط الدوران الدموي في الجلد والعضـلات القريبــة.. وتنشيط الجهاز العصبي المحيطي)

وتتـابع الـدكتورة شـانون بحثهـا فتقـول: التطـبيق المفضـل للمحـاجم هـو السـطح الواسـع للظهـر، ونتائجهـا لا تصـدق خاصـة كمعالجــة مضــافة للتــدليك، وهي مســكنة بشــكل فعــال للجهــاز العصبي كما تساعد على دخول العضوية في حالـة من الاسـترخاء، وليس نادراً أن تؤدي إلى غطيط عميق، وهي مفيدة جـداً لمعالجـة ارتفاع الضغط الدموي، والقلق والتعب، والصـداع المـزمن، والآلام العصبية، والتقفـع العضـلي، إذ أن العضـلات المتقلصـة والمحتقنـة تتلين وتسترخي بسرعة بعد دقائق من الحجامة التالية للتدليك.

وترى د. شانون أن تخلية الهـواء من الكـؤوس يحـاكي فعلهـا فعـل الضـغط الـدائري للمسـاج العميـق دون إحـداث أي انزعـاج. وحركة الكؤوس يمكن أن تكون دائرية أو خطية وهي مناسبة لحل العقد الجاسئة أو المعندة من الجلد المؤوف. واحمرار الجلد مكان التطبيق يدل على حضور جيد للـدوران الـدموي في سـطح الجلـد الــذي يمكنــه عنــد تطــبيق المروخــات والحلالات النباتيــة المائيــة المسكنة فوراً بعد الحجامـة أن تمتص عميقـاً في الأنسـجة وتـؤدي إلى فاعلية سريعة.

وتقــول د. شــانون: إن زيــادة الــورود الــدموي الهائــل إلى المنطقة تحضر إليها التغذيـة الكافيـة وتـؤدي إلى سـحب السـموم خارج المنطقـة عن طريـق العـود الوريـدي. وفي الحقيقـة شـعور المرضى لا يمكن وصفه (يكاد لا يصدق)والمرضى كثيراً ما يصفون شعورهم بدفء عميق ودغدغة لطيفة تستمر في المنطقة لما بعد انتهاء الحجامة.

قلت: بورك فيك.. فقد عرفت أسرارا كثيرة كنت أجهلهــا من الأحاديث المخبرة عما جعل الله في الحجامة من شفاء.

قال: هذا واجبنـا ــ نحن المؤمـنين ــ نحـو هـدي نبينـا ﷺ.. فلا ينبغي أن نقصر في التعرف على هديـه وأسـراره.. بـل يبحث كـل في محله ومنزله الذي أنزله الله.

قلت: بالمناسبة.. لقد ورد في الحديث أن النــبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً وكواه عليه[1].

1) مسلم.

قال: نعم.. أعرف هذا الحديث.

قلت: ألا يتعارض هذا مع المواضع التي ذكرتها للحجامة؟

قال: لا.. هذاالحديث لا علاقة له بالحجامة(1).. بل هو يتحــدث عن عملية أخرى اسمها الفصد(2) أو الفصـادة، وهي شـق أو قطـع للعرق أو الوريد لاستخراج الدم، وهي بـذلك تختلـف عن الحجامـة التي تجري بتشريط الجلد، وليس شق العرق.

قلت: فهل هي من العلاج المبارك؟

قال: كل ما ورد في النصوص من العلاج علاج مبارك.

قلت: لا أقصد هذا.. بل أقصد استعمالها ومدى نجاعته.

قال: إن الفصـد علاج عريـق في القـدم، وقـد ورد ذكـره في أوراق الـبردي الفرعونيـة، كمـا خصـص لـه كـل من أبـو قـراط وجـالينوس مقالـة مفـردة.. وأول نظريـة متكاملـة عللت مقاصـد الفصــد وضـعها أرســطو في القــرن الثــالث قبــل الميلاد، ثم إن جالينوس ـ وإن كان قد انتقد ارسطو في تفسيره لمنـافع الفصـد ـ أقر بفوائده الجمة، وأنه يهـدف إلى تعـديل الأخلاط في الجسـم أو تحريكها إذا كان يرجع أسباب المرض إلى خلل في هذه الأخلاط.

وقد كان الفصد الوقائي شائعاً في أوربا حتى ظهـور الطباعـة عام 1462.

وفي القـرن السـابع عشـر كـان الفصـد واسـع الانتشـار في إيطاليا، يدلنا على ذلك تلك الآنية الجميلة التي خصصت لجميــع دم الفمصود. ورغم ظهور الأطباء في القرن الثامن عشـر في الفصـد على اختلاف مذاهبهم الطبية.

وفي أمريكا، وفي عـام 1800 نجـد أن بنيـامين روش اعتمـد في معالجته على إحداث نزف غزير لمعالجة الحمى الصفراء حيث يعطي المرضى الملينات ويعالجهم بالفصادة.

وعرف الفصد أوج تطبيقه في بداية القرن التاسع عشر حيث كان 75 بالمائة من نـزلاء المشـافي يفصـدون في أوربـا حـتى أن مجلة الجراح الشهيرة أخذت اسمها من أداة الفصد، وكان الجــراح الفرنسي بروســي من أهم الـدعاة إليـه وكـان يعـالج بـه مرضـى الالتهاب الحبني واضـعاً قواعـد للفصـد تعتمـد على النبض والحالـة العامة، كما دعـا بروســي بتطـبيق العلـق وكـانت ممرضـته تسـأل الوافد الجديد عن مكان ألمه ثم تعلق له من 10 ـ 30 علقة وفــق

1) انظر: كتاب الحجامة والقسط البحري تأليف الدكتور محمد نزار الدقر.

2) عرف بأنه طرح لكمية من الدم من الدورة الدموية لغاية علاجيـة بحتـة بطريقـة البزل للوريد بإبرة أو جرح الوريد أو تشطيبه وأحياناً ببزل الشريان.

إجابته.

قلت: وأطباء المسلمين؟

قال: الأطباء المسلمون في عصر نهضتهم طبقوا الفصد مؤكدين أثره الوقائي، وهذا ما يؤكده ابن سينا إذ قال:(يجب أن تعلم أن هذه الأمراض مادامت مخوفة ولم يوقع فيها، إباحة الفصد فيها أوسع، فإن وقع فيها ليترك الفصد أصلاً)

ويرى أبو القاسم الزهراوي أن الفصد إما أن يستعمل لحفظ الصحة، وإما أن يستعمل في علاج الأمراض.

قلت: فما الحالات العلاجية التي كان يستخدم لها الفصد وأثبت جدواه[1]؟

قال: لقد جاء في الموسوعة الطبية السوفياتية الكبرى مقالا مهما عنها كتبه البروفسور ب.كونيايف وآخرون، وقد ذكروا أن للفصادة على العضوية تأثيرات كثيرة.. وأن الطرح المقصود لكمية كبيرة من الدم في وقت قصير تعادل تأثيرات النزف الدموي الحاد، فهي تنقص الدم الجائل وينخفض معها إلى حد ما الضغط الشرياني، وخاصة الوريدي مما يملك تأثيرات إيجابية حالة وجود فرط توتر وريدي ناجم عن قصور البطين الأيمن، وإن عودة الجائل إلى حجمه الطبيعي يتم بسرعة عقب الفصادة بسبب موه الدم، إذ تزيد نسبة الماء فيه أكثر من 15 بالمائة من الحدود السوية، وموه الدم هذا مرتبط بآلية عصبية ـ خلطية ناظمة لحجم الدم الجائل.

وذكروا أن الفصادة العلاجية تعتبر مثيرة لارتكاس العضوية الدماغية، كما أن ما تستدعيه من إعادة توزيع بعض العناصر في العضوية كالماء والشوارد والعناصر المكونة للدم تترافق مع زيادة نشاط آلية التنظيم العام والموضعي لدينمية الدم يؤهب لتراجع الاضطرابات في الدوران الدموي، وهذا ما يوضح ما نراه بعد الفصادة من تحسن الحالة العامة للمرضى وزوال الآلام في الرأس وخلف القص.

وزيادة على هذا[2]، فقد أكد اختصاصي القلب جيروم سوليفان في المركز الطبي في شارلستون بولاية كارولينا الجنوبية أن فقدان الدم بانتظام قد يؤدي إلى حماية الإنسان من النوبات القلبية، فعندما يفقد الجسم كمية من الدم، فإنه يفقد أيضاً

---

1) انظر: الموسوعة الطبية الفقهية للدكتور أحمد محمد كنعان ـ دار النفائس

2) عن مجلة العربي العدد 434 يناير 1995.

عنصر الحديد الذي يخزنه الجسم في صورة مركب الفريتين.

وهو يذكر أن الناس الذين يحتوي دمهم على نسـبة قليلـة من الحديد هم الأقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية.

ويرجـع هـذا إلى أن الحديـد المخـتزن يعتـبر عـاملا شـديد الخطورة، وقد تأكد هذا بعد سلسلة من الأبحـاث أجراهـا عـدد من الأطباء الفلنديين، الذين تابعوا مجموعة من الرجال من متوسـطي العمر لمدة خمس سنوات حيث وجدوا أن الرجـال من متوسـطي العمر لمدة خمس سنوات، حيث وجدوا أن الرجـال الـذين أصـيبوا بنوبات قلبية هم الذين تزداد نسبة الحديد في دمائهم.

وعلاج هـذه الحالـة هـو فقـدان الـدم بشـكل منتظم، وهي مشكلة محلولة عند النساء بسبب الدورة الشهرية عندهن.

قلت: وعند الرجـال.. فنحن لا نجـد من يقـوم بهـذ النـوع من الفصد.

قال: يوجد ذلك على مستوى واسع.

قلت: أين؟

قـال: في كـل المستشـفيات.. وذلـك بـالتبرع بالـدم بشـكل منتظم، وبحـد أدنى ثلاث مـرات في السـنة.. فتجمـع بـذلك بين علاجين نبويين: الفصادة والصدقة.

قلت: وهل أثبت التبرع بالدم جدواه كنوع من الفصادة؟

قال: أجل.. وقد قام البروفسـور سـالونين وثلاثـة من زملائـه من جامعة كيوبيو بفلندا بدراسة على 2682 شخصاً، ولمـدة سـت سنوات عن فائدة الفصـادة عن طريـق التـبرع بالـدم في أمـراض القلب والأوعية فتبين أن 38 بالمائـة من أمـراض القلب والأوعيـة قد اختفت بفضل التبرع بالدم.. أي أن معظم المتبرعين بالـدم قـد تخلصـوا من آفـات القلب والأوعيـة الـتي تصـيب غـيرهم من غـير المتبرعين.

قلت: فهل هناك ما يمنع من استعمال هذا النوع من العلاج؟

قال: أجل..ولهذا لم يرد أي حديث في فضلها.. بـل ورد النص فقط في جواز استعمالها كأسلوب من أساليب العلاج.. ولهذا تمنع الفصادة مطلقاً عند وجود هبـوط مرضـي في الضـغط الـدموي أو وجـود نقص في حجم الـدم، كمـا أن من مضـادات اسـتطباباتها النسبية التصلب العصيدي الدماغي، وفقر الدم من أي منشأ خاصة إذا ترافق مع ميل لتشكل الخثرات.

وهناك بعض الاختلاطات التي تنجم عن الفصادة غير المراقبة

بسبب هبوط الضغط أو نقص الخضاب وعدد الكريـات الحمـر في الـدم الجائـل كحصـول فقـر دم موضـعي دمـاغي عنـد المصـابين بالتصلب العصيدي يعالج بإعادة حجم الدم بحقن المصورة أو نقـل كمية من الدم.

كما قد يحصل غشيان عند الأشخاص الضـعفاء عنـد السـحب السريع للدم حيث توقـف العلميـة فـوراً، وينشـق المـريض الغـول النشادري.

الحبة السوداء

بعـد أن أمتعـني بحديثـه عن الحجامـة والفصـد، وآثارهمـا العلاجيـة، ذهب كمـا أتى من غـير أن يـترك لي أي فرصـة لمزيـد التعرف عليه وعلى فريـق البحث المبـارك الـذي أجـرى كـل تلـك الأبحـاث، وأخـرج للعـالم أسـلوبا جديـدا من الأسـاليب الـتي تعيـد الابتسامة للأنين.

لقد ابتسمت من كل قلبي، وأنـا أشـعر بـأن اللـه تعـالى، وإن قدر المرض، فإنـه قـدر من أنـواع العلاج مـا يمكن أن يحيـط بكـل مرض، ويقتل كل داء، وينشر العافية في كل بدن.

لقد صرت أنظر إلى المرض كما أنظر إلى الجوع.. فـإن اللـه خلق للجائع من أصناف الطعام ما يسد جوعـه في كـل مـرة بكـل جديد مغن نافع.. وهكذا المرض أرسل له من أنـواع العلاج مـا يملأ صاحبه بالابتسامة والأمل..

بينما أنا كذلك إذ سـقطت حبـة سـوداء على وجهي، فمـددت يدي لأزيحها، فقـالت بصـوت رخيم: لا.. دعـني هنـا.. فهـذا المكـان أفضل لي.

قلت: هو أفضل لـك.. ولكنـه لا يناسـبني.. إن مكانـك إمـا أن يكون سلة المهملات.. أو قدر المطعومات.

قالت: أأنت أيضا تحتقـرني.. أتحمـل مثـل قومـك فيروسـات العنصرية؟

قلت: لا.. لم أقصد النظـر إلى لونـك.. فلا يهمـني سـوادك أو بياضـك.. ولكـني تعـودت أن لا أتـرك شـيئا يسـقط على وجهي أو بدني إلا أزحته.

قالت: يمكنك أن تفعل ذلك مع غيري.. أمـا أنـا.. فلا ينبغي أن تنظر إلي إلا باحترام وتقدير وإجلال.

قلت: من أنت حتى تريدين مني هذه المعاملة الخاصة؟

قالت: أنا الحبة السوداء.

قلت: حبة البركة.

قالت: شكرا على هذه التسمية.. ولو أني أفضل ألا تسموني بها.

قلت: لم.. قومي يسمونك بهذا الاسم.. وهم يحترمونك بذلك.

قالت: أحب الاسم الذي سماني به حبيبي ﷺ، فقد قال: (عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كلّ داء إلا السَّام(1)(2)

قلت: لقد أخبر ﷺ عن بركاتك الشفائية العظيمة، فذلك أطلقوا عليك حبة البركة.

قالت: أنا من قوم يقولون بسد الذرائع، فأخشى أن يحصروا البركة في، كما حصر بعضكم السنة في اللحية والقميص.

قلت: أتضحين بهذا الشرف العظيم لأجل سد الذريعة.

قالت: ليس لأجل ذلك فقط.

قلت: فما هو الشيء الآخر الذي يجعلك تضحين بهذا الاسم الجميل؟

قالت: إن كوني حبة سوداء يذكرني بالنقطة التي تحت الباء.

قلت: أتعرفينها؟

قالت: وقد ذقت من حلاوتها ما ترونه من بركاتي.

قلت: ولكني أرى لطعمك مرارة لا أتحملها.

قالت: تلك مرارة أشواقي.. فإني منذ جلست ذلك المجلس الشريف تحت الباء، وقلبي يتفطر شوقا إليه.

قلت: عهدي بالعاشقين تنور وجوههم، فكيف اسود وجهك.

قالت: ليكتب فيه محبوبي بحروف النور بركات الشفاء.

قلت: ألا يؤذيك لونك؟

قالت: من عرفه لا يؤذيه شيء.. ألم تسمع حديث ابن عباس؟

قلت: بلى.. فقد قال له ﷺ:(ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام ورفعت الصحف)(3)

قلت: فحدثيني عن نفسك وعن بركاتك.

---

1) الموت.
2) البخاري ومسلم.
3) أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عباس.

قالت: ألا تكفيك منزلتي؟

قالت: أنا من قوم لا يكفيهم إلا ما يملأ صدورهم بأخبار المخابر(1).

قالت: لقد عرفت بركاتي من قديم، ولا يهمني أن يعرفني قومك أو غير قومك..

قلت: ألم نكلف بخطاب الناس على قدر عقولهم؟

قالت: بلى..

قلت: فرحمتك بهم أن تخاطبيهم بما يفهمون.

قالت: صدقت.. وسأحدثك بما يفهمون، فسل عما بدا لك.

قلت: لقد ذكرت أن بركاتك عرفت من قديم.

قالت: أجل.. ولكن الذي حفظها هو رسول الله ﷺ، فلولاه لكنت كغيري في غمار النسيان.

قلت: فمن عرفك من الشعوب؟

قالت: لقد عرفني المصريون القدماء، ولكن لم يعرف على وجه التحديد كيفية استخدامهم لي إلا أن اكتشاف زيتي ضمن مقتنيات أحد ملوكهم يدل بصورة قاطعة على مدى أهميتي في هذه الفترة.

ويشير العهد القديم في سفر أشعياء إلى أهميتي والطرق المتبعة حينئذ للحصول على زيتي، وقد عرف العبرانيون نباتي الذي كان ينمو بصورة واسعة في مصر وسوريا، باسم كيتساه.

وكتب ديسكوريدس، وهو طبيب يوناني شهير عاش في القرن الأول الميلادي: أن بذور حبة البركة كانت تستخدم في علاج الصداع واحتقان الأنف وآلام الأسنان، بالإضافة إلى استخدامها لطارد الديدان، كذلك استخدمت كمدر للبول واللبن.

بركات التكوين:

قلت: حدثتني عن تاريخك، فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قالت: لقد حدثتك بأن بركتي مستمدة من عبوديتي، فكل من تحقق بعبودية الله نال من بركات الله.

قلت: أقصد ما يفهمه قومي.. فهم لا يؤمنون بمثل ما قلت.

قالت: لا بأس.. سأحدثكم عن كفني الذي أتكفن به.. لقد عكف العلماء منذ زمن على معرفة كيفية عملي، وخاصة دوري في عملية التئام الجروح، والذي استدعى معرفة مكوناتي، وقد وجدوا أني أحتوي على العديد من الفيتامينات والمعادن

1) الإعجاز الطبي في السنة النبوية، للدكتور كمال المويل.

والبروتينيات النباتية، بالإضافة إلى بعض الأحماض الدهنية غير المتشبعة(1).

بالإضافة إلى احتوائي على العديد من الأحماض الدهنية الأساسية والمهمة لصحة الجلد والشعر والأغشية المخاطية، وكذلك عملية ضبط مستوى الدم وإنتاج الهورمونات بالجسم وغيرها من الوظائف الحيوية المهمة.

بالإضافة إلى كل هذا أحتوي على مادة النيجيللون، وهي مادة بلّورية تم استخلاصها لأول مرة في عام 1929، وقد استخدمت منذ ذلك الحين باعتبارها المادة الفعالة الموجودة ببذرتي.

ويعد النيجيللون أحد مضادات الأكسدة الطبيعية مثل فيتامين ج وأ وكذلك الجلوتاثيون، والتي تلعب دوراً أساسيًّا في حماية الجسم ضد مخاطر ما يسمي بالشوارد الحرة.. وهناك العديد من الأبحاث التي نشرت مؤخراً عن دور الحماية الذي يلعبه النيجيللون في حماية الجسم من مخاطر العديد من المواد الغريبة.

قلت: وزيتك؟

قالت: إن الزيت الطيار الذي وضعه الله في يحتوي على مادة النيجيللون، وهي مادة مضادة للهسيتامين، ومنها فائدة الحبة السوداء في علاج الربو بتوسيع القصبات، وفي علاج ارتفاع الضغط الدموي بتوسيع الأوعية الدموية، وفي علاج بعض الأمراض الهضمية بإزالة التشنجات المعدية والمعوية.

قلت: أرى فريقا من قومي يفصلون زيتك، ويبيعونه بأغلى الأسعار.. ويزعمون له خواص علاجية خطيرة.. فهل ذلك صحيح؟

قالت: ألا تعرف قومك؟

قلت: أعرفهم وأجهلهم.

قالت: لقد أهلكهم حب الدينار والدرهم، فراحوا يتلاعبون بأجساد الخلق لأجلهما.. ألم تعلم كيف حولوا الرقية إلى شبكة يصطادون بها؟

قلت: بلى.. وقد سمعت من ذلك الكثير.

قالت: فكذلك هم يصطادون بزيتي، ويتلاعبون به.

قلت: ولكن الرسول ﷺ أخبر عن بركاتك..

قالت: أخبر عن بركات الحبة السوداء.. لا عن بركات زيت

---

1) إن (100)غ من الحبة السوداء تحتوي على: (19.3)غ ماء، و(17.9)غ بروتين، و(12.9)غ دهن، و(10.80)ملغ كالسيوم، و(1)ملغ كالسيوم، (20)ملغ فيتامين أ، و(2.6)ملغ نياسين، و(6.3)غ ألياف، و(7.8)غ رماد.
والقيمة الغذائية تساوي (364)سعرة حرارية.

الحبة السوداء.. فإن كانوا مستنين بهدي النبوة، فليأخذوا الحـروف بمعانيها.. ولا يبتدعوا.

قلت: لكنهم إن فعلوا ذلك لم يقدموا جديدا.. فالحبة السوداء تباع عند كل عطار، بل عند البقالين..

قالت: وما يضرهم أن يجعلني الله غذاء ودواء.

قلت:....

قالت: أنت تريد كلام المخابر.. لا مجرد كلام.

قلت: لم تجاوزي ما في نفسي.

قالت: لقـد أخـبر المختصـون الصـادقون أن فوائـدي تتوقـف على عدم طحني إلا عند الاستعمال، لأني إذا سحقت وتركت ـ ولو لعدة ساعات قبل استعمالي ـ فإن المادة الفعالة تتطاير مني، لأنها عبارة عن زيت طيار.. لكن إذا سحقت، ثم مزجت مع عسل مزجاً جيداً، وحفظت في علبة قاتمة اللون ومحكمة الغلق، فإني أحتفـظ بفائدتي.

قلت: فما أفضل طريقة للاستفادة من بركاتك؟

قالت: بسيطة جدا كبساطتي.. لا تكلف فيها ولا تجارة.. وهي فوق ذلك سنة المصطفى ﷺ.

قلت: شوقتني، فما هي؟

قالت: لقد حدث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كـان إذا اشـتكى تقمح[1] كفا من شونيز وشرب ماء وعسلا[2].

قلت: أيكتفي بسفك؟

قالت: أجل.. فإن أضفت إلي ما فعـل رسـول اللـه ﷺ تكـون قد نلت ثلاث بركات: بركتي، وبركة الماء، وبركة العسل.

قلت: ولكني قد لا أطيق ذلك؟

قالت: فافعل بعض ما يفعله بعض قومك.

قلت: وما يفعلون؟

قـالت: يضـعون ملعقـة مـني على صـحن يحتـوي على اللبن الزبادي، ويغمر بزيت الزيتون.. ثم يجعلون ذلك من أطباق الفطور في الصباح أو العشاء.

قلت: هذه وصفة طيبة.

قالت: وأطيب منها وصفة الحبيب، بأبي هو وأمي.

قلت: فما المقدار الذي أنتفع به منك؟

---

1) تقمح: أي استف كفا من حبة السوداء يقال: قمحت السويق بالكسر إذا استففته. النهاية (4/107)

2) الخطيب البغدادي عن أنس.

قالت: إن كنت على دين قومك، فليس هناك دليل علمي كاف يشير إلى ذلك، إلا أن الدراسة التي أجريت في أمريكا وأشارت إلى فائدة الحبة السوداء في تنشيط الجهاز المناعي، استخدمت جراما واحدا من الحبة السوداء مرتين كل يوم[1].

قلت: أهذا صحيح؟

قالت: لا زالت أبحاثكم قاصرة في هذا المجال، ولولا أن معلم البركة نهاني أن أتكلم لك بغير ما يعرفه قومك لذكرت لك ما ينقضي دونه العجب.

قلت: ولم نهاك؟

قالت: هذا من العلوم التي تحتاجون أنتم لامتطاء سنن الله للبحث فيها..

قلت: لا بأس.. فإن قولك هذا يشجع على إجراء المزيد من البحوث بطمأنينة وثقة.

قالت: أنا منجم من مناجم الصحة، لكن لمن عرف كيف يستعملني.

قلت: أيخطئون في استعمالك؟

قالت: كثيرا..

قلت: اذكري لي أمثلة على ذلك.

قالت: أنا دواء.. وينبغي أن أستعمل بمقدرا محدد، وقد ذكر بعضهم أنه لا ينصح باستعمالي بشكل يومي مستمر.. بل أستعمل لمدة 14 يوماً، ثم يكرر العلاج بعد أسبوعين أو أكثر، لإمكانية حدوث الأعراض الجانبية.

قلت: فهل ذكروا بعض المحاذير من استعمالك؟

قالت: الأصل أني من الأدوية المباركة.. وهي لا محاذير فيها.. ولكن سوء الاستعمال جعل البعض يحذر من استعمالي لمن يعانون من انخفاض ضغط الدم، أو نوبة الربو الحادة..

ومثل هؤلاء يحذر النساء الحوامل من استخدامي خلال فترة الحمل، لأن الزيت الثابت للحبة يسقط الجنين.. ومثلهن الاطفال الرضع.. ومثل ذلك استخدامي مع أدوية كيماوية أو عشبية أخرى خشية حدوث تداخلت دوائية[2].

بركات الشفاء:

---

1) ذكر بعضهم أن بعض الأمراض الداخلية يكفي فيها جرعات صغيرة، أما بعضها الآخر، فيحتاج لجرعة أكبر... وذكر أن الجرعة الفعالة حوالي ملعقة صغيرة.

2) ومثل ذلك استخدام الحبة السوداء كعلاج للاشخاص الذين يستخدمون الاسبرين بصفة مستمرة وكذلك الورفارين مرقق الدم.

قلت: حـدثتني عن بركـات التكـوين، فحـدثيني عن بركـات الشفاء.

قالت: لقد اخبر ﷺ عن بركات الشفاء التي أودعهـا اللـه في، فقال ﷺ: (إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)(1).. وفي حـديث آخـر يـأمر ﷺ بالاستشـفاء بي، فيقـول:(عليكم بهـذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السأم)(2)

وقد وردت أحاديث أخرى بصيغ أخرى تؤكد هذا، فقد قال ﷺ: (الشونيز(3) دواء من كـل داء إلا المـوت)(4)، وقـال ﷺ:(الشـونيز دواء من كل داء إلا السام)(5)

قلت: صدق رسـول اللـه ﷺ، ولكن شـراح الحـديث خصصـوا العموم الوارد في الحديث، فذكر بعضـهم أن هـذا من العـام الـذي يراد به الخاص، لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدواء بمقابلها، وإنما المـراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة.

وذكر آخـر اسـتدلال عقليـا على هـذا، فـذكر أن العسـل عنـد الأطباء أقرب إلى أن يكـون دواء من كـل داء من الحبـة السـوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسـل لتـأذى بـه، فإن كان المراد بقوله في العسل فيه شـفاء للنـاس الأكـثر الأغلب فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى.

وقال غيرهما: كان النبي ﷺ يصف الدواء بحسب مـا يشـاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافـق مـرض من مزاجه بارد، فيكون معـنى قولـه:(شـفاء من كـل داء)أي من هـذا الجنس الذي وقع القول فيه(6).

قالت: لقد أخطأوا في التأويل.. أيستدركون على رسول اللـه ﷺ.. كيف يقولون هذا، وقد قال ﷺ:(شفاء من كل داء)

قلت: للأسف.. قد اتفق الشراح على هذا.

قالت: لا.. لم يتفقوا.. ألم تسمع ما قال الشيخ أبـو محمـد بن أبي جمرة، فقد أتاه الله علما وحكمة؟

قلت: فما قال؟

قـالت: لقـد قـال: تكلم النـاس في هـذا الحـديث، وخصـوا

---

1) البخاري ومسلم.
2) النسائي وابن ماجة.
3) هو الحبة السوداء.
4) ابن السني وأبونعيم عن بريدة.
5) الترمذي.
6) فتح الباري: 10/145.

عمومه، وردوه إلى قول أهل التجربة، ولاخفاء بغلط قائل ذلك، لأنا إذا صدقنا أهل الطب، ومدار علمهم غالبا إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب، فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم(1).

قلت: بورك فيه.. فقد غار على حديث المصطفى ﷺ من أن يمسه التبديل والتغيير.

قالت: وقد أثبت علمكم ما قال.. وسيثبت المستقبل تأويل كل ما قال.. فكلام رسول الله ﷺ لا يتخلف.

قلت: فحدثيني عن بركات شفائك التي عرفوها.

قالت: لن أحدثك على ما قال القدماء.. فلن تفهم كثيرا مما ذكروا.. بالإضافة إلى أن ما ذكروه لم يقدرني حق قدري.

قلت: ستحدثيني عن الدراسات المعاصرة.

قالت: أجل.. وهي ـ مع الجهد الذي تبذله ـ لا تزال قاصرة.

قلت: فمن يجري هذه البحوث؟

قالت: لقد تم نشره عشرات البحوث مؤخرًا في الدوريات العلمية المختلفة عن فوائد استخدامي.. وهي تؤكد جميعا الفوائد العديدة التي وصفتها النصوص.

ومعظم هذه الأبحاث يأتي من أوروبا وتحديدًا النمسا وألمانيا، والتي تأتي في مقدمة الدول الداعية لإحياء طب الأعشاب كطب بديل.

وانطلاقا من هذا ظهرت مستحضرات طبية متنوعة بين أقراص وكبسولات وأشربة وزيوت في العديد من الدول الأوربية، والولايات المتحدة، بالإضافة إلى بلدان العالم العربي والإسلامي.

قلت: فهل تعتبرين هذه الدراسات كافية للتنويه بقدرك؟

قالت: لا.. لقد ذكرت لك أنها قاصرة جدا.. فمعظم ما تم من دراسات كانت دراسات بدائية أجريت على الفئران، وكانت نتائجها مشجعة، ولكن يقتضي الأمر إجراء المزيد من الدراسات لتوثيق النتائج واستخلاص التوصيات.

قلت: فاذكري لي بعض هذه التجارب لأتبين المنهج الذي يتم على أساسه معرفة فوائدك.

قالت: سأذكر لك أربعة أنواع من التجارب، أما إحداها، فبمسحوقي، وأما الثانية، فبخلاصتي المائية، وأما الثالثة، فبخلاصتي الكحولية، وأما الرابعة فبزيتي الطيار.

---

1) فتح الباري: 10/145.

قلت: فحدثيني عن النوع الأول.

قـالت: لقـد كشـفت بعض البحـوث أن معالجـة الإنسـان أو الجـرذان بمسـحوقي أدت الى زيـادة عـدد ونشـاط بعض خلايـا المناعة مثل خلايا T الليمفاوية القاتلة وتنشيط الخلايات المبلغمة في التقام الجراثيم، كما أوضحت البحوث قدرة هذه الحبـوب على زيادة افراز ادرار اللبن في الأغنام.

قلت: والنوع الثاني؟

قالت: لقد كشفت الدراسات التجريبية عن قـدرة الخلاصـات المائية لحبة البركة على تنشيط افراز بعض عوامل تنشيط المناعة من الخلايا اللمفاوية مثل مادتي انترليوكين1، وانترليوكين 3، وإلى تنشيط بلغمه الجراثيم، وكـذلك إضـعاف إفـراز السـوائل المعديـة الحمضية، ومنع حـدوث القـرح المعديـة التجريبيـة المحدثـة بمـادة الاسبرين في الجرذان.. بالإضافة إلى علاج بعض أمـراض الديـدان المعوية في الأغنام والديدان الشريطية في الاطفال.

قلت: والنوع الثالث؟

قـالت: لقـد كشـفت الدراسـات التجريبيـة أن للخلاصـات الكحوليـة للحبـة السـوداء عـدة تـأثيرات، مثـل الفتـك بالعديـد من الجـراثيم مثـل الاشـريكية القولونيـة والزائفـة الزنجاريـة وبعض الفطريـات مثـل الرشاشـية.. بـل إبـادة بعض الخلايـا السـرطانية وإرخاء عضلات الأمعاء وكبح التقلصـات والآلام التجريبيـة المحدثـة ببعض الكيماويات.. وعلاج بعض المصابين ببعض الديـدان المعويـة مثل الـدودة الشـريطية والصـفرا الخراطيـني.. وتثبيـط الالتهابـات والآلام ومنع تسوس الأسنان ومنع انخفاض مستوى الهيموغلـوبين، وعـدد كريـات الـدم البيضـاء المحـدث ببعض العقـاقير المضـادة للسرطان مثل عقار سيسبلاتين.

قلت: والنوع الرابع؟

قالت: لقـد كشـفت الدراسـات التجريبيـة قـدرة هـذا الـزيت الطيار في جرعات صـغيرة على إحـداث بعض التـأثيرات كتخفيض ضغط الدم الشرياني، وتخفيض سرعة النبض القلبي في الجـرذان والـوبر بتـأثيره المنشـط على بعض المسـتقبلات السـروتونية في المخ.. وزيادة سرعة التنفس وتقلصـات في رغـامي حيـوان الـوبر عن طريق افراز مادة الهستامين.. وزيادة افراز مادة الصفراء في الكلاب.. وزيادة اخراج حمض اليوريـك المسـبب لمـرض النقـرس في البول.. والفتك بالعديد من الجراثيم مثل السـلمونيلله والتيفيـة

والصـنمة الهيضـية والزانفـة الزنجاريـة وبعض الفطريـات مثـل الرشاشـية السـوداء وبعض الديـدان المعويـة.. وإرخـاء عضـلات الامعاء وكبح التقلصات المحدثة ببعض الكيماويات فيهـا.. وتخفيض مستوى سكر الدم في الأرانب والجرذان الصـحيحة المصـابة بـداء السكر التجريبي بعد معالجتها بجرعات 5 مليجرام/ كيلوجرام حقنا في الصفاق بدون أي تأثير على مستوى الانسولين في الدم.

امـا مـركب الفابـاينين فقـد اكتشـفت قـدرتها على تثبيـط الالتهابات التجريبية عبر افـراز مـادة هيـدروكورتيزون وتثبيـط نمـو بعض الجراثيم خصوصا تلك المرتبطة بالتهابات حب الشـباب، كمـا أن لها القدرة على تثبيـط نمـو بعض الأورام السـرطانية في أكبـاد الجـرذان وزيـادة افـراز المخـاط من الشـعب الهوائيـة في بعض المرضى المصابين بالتهابات رئوية وبالأخص المزمنة.

قلت: حدثتني عن الدراسـات الـتي أجـريت عليـك، فحـدثيني عن استخداماتك التي توصلت هذه الدراسات إليها.

قـالت: لقـد دل مـا ذكـرت من الدراسـات وغيرهـا على استعمالات صحية كثيرة لي.. سأقتصر لـك منهـا على مـا أرى أنـه ينفعك، ويملؤك يقينا بما وضع الله في من بركات الشفاء.

قلت: فحدثيني بارك الله فيك.. وقد فعل.

قـالت: لقـد ثبت حـديثاً من خلال الدراسـات والأبحـاث الـتي أجـريت علي أني ألعب دوراً هامـاً في تقويـة وتنشـيط الجهـاز المناعي في جسم الإنسان.

وبما أن قدرة الجسـم على مجابهـة الأمـراض مرتبطـة بقـوة جهازه المناعي، فإنني بتقويتي لهذا الجهاز أشكل شفاء ودواء لكل الأدواء، فلذلك أفيد في معالجة كل الأمراض، بما فيه السرطانات، والأدواء التنفسية التي تصيب الإنسان.

قلت: فما سر تقويتك للجهاز المناعي؟

قـالت: لقـد أثبتت الدراسـات أنَّني أنشـط جهـاز المناعـة في جسم الإنسان بزيادة نسبة التائيـات المناعيـة مقارنـة مـع التائيـات المثبطة، ومن هنا كانت فائدتي في مكافحة الأمراض بشكل عـام، والأمراض الفيروسية بشكل خاص.

قلت: فحدثيني عن بعض ثمرات هذا العلاج.

قالت: في الأمراض التنفسية أفيد في علاج الزكام والسـعال والرَّبـو.. وفي الأمـراض الهضـمية أفيـد في علاج عسـر الهضـم، وغازات المعدة والأمعاء وضعف الشهية للطعـام، وداء المتحـولات

الزحارية، والديدان الشريطية، وديدان الأسكاريس..وفي الأمـراض الجلديــة أفيــد في علاج الجــرب والقوبــاء الجلديــة، والالتهابــات الجلدية، والبثور الجلدية، وحب الشباب.

الأمران

بعد انصراف الحبة السوداء شـعرت بمـرارة تقـرص لسـاني، فمـددت يـدي إلى لسـاني لأرى سـر هـذه المـرارة، فنـادتني نبتـة بصوت رخيم: لا تمسح المرارة، فلولاها ما عرفت الحلاوة.

قلت: من أنت يرحمك اللـه.. فـإن صـوتك قـد ملأني شـوقا.. والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

الثفاء:

قـالت: أنــا الــتي قــال في الحــبيب المصــطفى ﷺ:(عليكم بالثفاء[1] فإن الله جعل فيه شفاء من كل داء)[2]

قلت: أأنت التي ذكـرت مـع الصـبر، في قولـه ﷺ:(مـاذا في الأمرين من الشفاء: الثفاء والصبر)[3]؟

قالت: بلى.. وقد جاء معي إليك لترى من بركاتنا ما تسـتحلي به المرارة، كما تستحلي الحلاوة.

قلت: لا أعرف أن المرارة تستحلى.

قالت: بل إن حلاوتها لا تقل عن حلاوة الحلاوة.

قلت: لكن..

قاطعتني وقـالت: إن مرارتنـا أحلى بكثـير من تلـك الحلاوات التي يقتلونكم بها، ويملأون أجسادكم وأوراحكم سموما.

قلت: سـلمت لــك.. فــإني أعلم عــداوتك وعــداوة إخوانــك لسمومنا.

قالت: أتعلم سر مرارتي؟

قلت: لعلها مرارة الأحزان..

قالت: القلب الذي يعرفه لا يعرف الأحزان..

قلت: وهو لا يعرف المرارة.. فكيف عرفتها أنت؟

قالت: أنا لا أختار لنفسي حلاوة ولا مرارة.. فعبوديتي تجعلني

---

1) الثُفّاء نبات عشبي حـولي قـائم من الفصـيلة الصـليبية موطنـه منطقـة الشـرق الأوسـط والحجـاز ونجـد. وأزهـاره بيضـاء متعـددة. و من أسـماء الثفّـاء _ الرشـاد _ في سورية _ البقدونس الحاد _ يؤكل من غير طبخ حيث تضاف أوراقه الغضة إلى السـلطات والحساء ومع اللحوم والسمك كمادة مشهية، مسهلة للهضم.

2) ابن السني وأبو نعيم في الطب.

3) أبو داود في مراسيله والبيهقي.

أختار ما يختار لي، وحبي الذي ملأ به صدري يجعلني لا أشعر بحرارة ولا برودة، ولا مرارة ولا حلاوة، ولا شيء مما تشعرون به وتتألمون، أو تفرحون.

قلت: فقد قطعت مراحل في الطريق إليه.

قالت: أنا لم أسر حتى أقطع.

قلت: فكيف وصلت إلى هذه المرتبة؟

قالت: من لم يوصله لم يصل.. ومن لم يحركه لم يتحرك.

قلت: أتقولين بالجبر؟

قالت: جبر المحبين، لا جبر المتكلمين، ألم تسمع ما قال حاديهم:

أريدُ وصالَه ويريدُ هَجْري فأتركُ ما أريدُ لما يريدُ

قلت: سلمت لك ما ذكرت.. فحدثيني عن سر بركاتك.

قالت: نحن لم نتجاوز الحديث عنها.

قلت: أقصد ما يعرفه قومي من العناصر والمركبات.. والآثار الشافيات.

قالت: ما أقل فقهكم.. لا تتبركون بالحب القدس.. وتتبركون بالطوب والجدران.

قلت: نحن من قوم لا نعرف من الحضارة غير الجدران..ألم يصفنا ﷺ بأنا من المتطاولين في البنيان.. فلذلك لا نرى منك غير ما فيك من العمران؟

قالت: لا مناص لي من خطابك وخطاب قومك على قدر عقولكم.. يذكر قومك أني من أكثر النباتات غنى باليود.. وهذا ما يجعلني سهلة الهضم، كما أني أحتوي على الحديد والكبريت والكلس والفوسفور والمنغنيز والزرنيخ، وأنا غنية بالفيتامين ج، وأحتوي على نسبة قليلة من الفيتامين أ وب وPP والكاروتين.. وتدل دراسات حديثة على احتوائي على عنصر (سكوالين)وهو مفيد؛ إذ يستخدم كقاتل للبكتيريا ويستخدم أيضاً كمضاد للأورام، وهو مقوٍ لمناعة الجسم أو منبه لمناعة الجسم.

قلت: بورك في تكوينك.. فما بركات شفائك؟

قالت: لقد اتفق الأقدمون والمحدثون على أني أفيد التقوية العامة، وأني فاتحة للشهية، مدرة للبول، طاردة للرياح، مهدئة ومخفضة لضغط الدم، صالحة لعسر النفس، وللربو وجلاء الصدر من البلغم والنيكوتين، فعالة في تفتيت الحصى والرمال ومكافحة للسرطان والروماتزم والسكري والسل.. أفيد في أمراض الجلد،

ولتنقيه البول وطارد للسموم، وضد النزلات الصدرية والصداع.

ويـرى الـدكتور جـان فالينـه أنـني مقويـة ومرممـة ومشـهية، ومفيـدة لمعالجـة فقـر الـدم، وضـد داء الحفـر، ومـدرة للبـول، ومقشعة ومهدئة، ومنشـطة لحيويـة بصـيلات الشـعر، حيث تطبـق عصـارته على فـروة الـرأس لمنـع تسـاقط الشـعر، ولمعالجـة التقرحات الجلدية.

قلت: رأيت بعض قومي يستعملونك حساء.

قالت: بورك فيما يفعلون.. فهذا الحساء طارد للدود، ومكافح للتسـمم.. وينصـح بتناولـه المصـابون بـالتعب والإعيـاء، وللحوامـل والمرضعات والمصابين بتحسس في الطـرق التنفسـية والجلديـة، كما في الأكزيما، وهو نافع للبواسير النازفة.

قلت: ورأيت بعض قـــومي يســـتعملون مغلى بـــذورك أو منقوعها أو مسحوقها؟

قالت: نعم ما فعلوا.. فهذا صـالح لمعالجـة الزحـار والإسـهال والأمراض الجلدية وتضخم الطحال.

ويمكنهم أن يصنعوا كمادة من مسـحوقي كمسـكن لمعالجـة آلام البطن والآلام الرئوية وغيرها.

قلت: فكيف نستعملك؟

قالت: يكفيكم كأس من مغلي الرشاد صباحاً ومساءً، ويضاف إليه العسل.

قلت: أتنصحيني بالمداومة على هذا؟

قالت: لا.. ينبغي أن تسـتعملني بجرعـات متوسـطة، ولفـترة محددة.. والمناسب هو ملعقة صغيرة في اليوم، ولمدة (30)يوماً.

أما كثرة استخدامي ـ سواء بزيـادة حجم الجرعـة عن ملعقـة صغيرة من مطحون حب الرشاد أو زيادة المدة ـ فإنني لا أنصـحك بها.

قلت: وما أضرار الإفراط في تناولك؟

قـالت: ألا تعلم أني أحتـوي على مـركب (البنزايـل أيـزو تايوسيانيد)؟

قلت: وما به هذا المركب؟

قالت: هذا المركب يعمل على تثبيـط الأورام السـرطانية في الحيوانـات عمومـاً، ومنهـا الإنسـان.. فهـو مـادة مثبطـة للبكتيريـا والفطريات.

ولكن إذا أخـذ بكميـات زائـدة، فإنـه يسـبب أمـراض الغـدة

الدرقية، ولذلك فإن هذا المرض يكثر عند النساء بدل الرجـال، لأن النساء يستخدمن حب الرشـاد أكـثر من الرجـال، وربمـا بجرعـات زائدة.

الصبر:

ما إن انتهى الثفاء من حديثه حتى تقدم الصبر، وهو يقول: أنا الصبر(1).. أخو الثفاء.. وكلانا أخبر رسول الله ﷺ عن بركاته.. وأنـا أروي حديثا عـني .. ذكـر فيـه الرسـول ﷺ أن الرجـل إذا اشـتكى عينيه ضمدهما بالصبر(2).

قلت: فقد وصفك رسول الله ﷺ في هذا الحديث للعيون.

قال: أجل.. وقد قال ابن سينا يثبت هذا:(إنه ينفـع من قـروح العين وجربها وأوجاعها، ومن حكة المآق، ويخفف رطوبتها)

ومثله قال أبـو بكـر الـرازي:(وهـو أيضـا نـافع للعين مجفـف للجسد)

وقال إسحق بن عمران:(إنه ينفع من ابتداء الماء النـازل في العين، وينقي الرأٍ والمعـدة وسـائر البـدن من الفضـول المجتمعـة فيها)

وقـال داود الأنطـاكي:(والاكتحـال بـه يحـد البصـر، ويـذهب الجرب والحرقة وغلظ الأجفان)

قلت: صدقوا جميعا.. ونحن نحترمهم غايـة الاحـترام.. ولكن.. أنت تعلم قومي.

قال: أجل.. قتلهم الغرور، فلا يسمعون إلا أنفسهم.

قلت: أجل.. فأنت تعلم ذلك.. ولا أحسب إلا أنك عانيت منهم.

قال: أجل.. ولولا ما حباني اللـه بـه من الصـبر لفـررت منهم حيث لا يروني ولا ينتفعون بي.

قلت: فحدثني عما قاله قومي.

قال: لقـد نشـرت مجلة Cuits الأمريكيـة الشـهيرة مقـالا عن الصـبر عـام 1986 تقـول فيـه: (لقـد تـبين من خلال الدراسـات السريرية الحديثـة أن للصـبر دورا في معالجـة الالتهابـات الجلديـة الشـعاعية، وسـحجات الجلـد السـطحية، وفي تقـرح قرنيـة العين، وفي قروح الرجلين)

قلت: فما سر هذا؟

قال: ما ملأني الله به من الصبر.

---

1) مقالة للدكتور حسان شمسي باشا.
2) مسلم.

قلت: قـــومي لا يفهمـــون هـــذا.. فحـــدثهم عن العناصـــر والمركبات.

قال: لقد اكتشف العلماء وجود أربع مواد كيميائيـة فعالـة في الصبر.

قلت: فما أولاها؟

قال: برادي كينياز، وهي مادة تزيـل الألم والحكـة والاحتقـان، ولها فعل مقبض للشرايين، مما يخفف الانتفاخ والاحمرار الحاصـل مكـان الالتهـاب.. وهـذا مـا يفسـر إدخـال شـركات الأدويـة ومستحضرات التجميل مادة الصبر في المستحضرات الـتي تعـالج حرق الشمس.

قلت: فالثانية؟

قـال: لاكتـات المغنـيزيوم.. وقـد ثبت أنهـا تمنـع تشـكل الهيسـتامين، وهي المـادة الـتي تسـبب الحكـة في الجلـد..وهكـذا أخفـف من الحكـة والالتهـاب، وهـذا مـا يفسـر فـاعليتي في علاج لدغات الحشرات.

قلت: فالثالثة؟

قال: مضـاد البروسـتا نلانـدين.. وهي تخفـف الألم والالتهـاب مثلما تفعل حبوب الأسبرين.. وهكذا تعمل هذه المـواد الثلاثـة معـا على تخفيف الألم والالتهاب، وتسكين الحكة والحرقان.

قلت: فالرابعة؟

قـال: هي مـادة الانتـثراكينون.. ويعـزى لهـا الفعـل المسـهل للصبر.

قلت: لقد وضـع اللـه تعـالى فيـك مزيجـا من مـواد مسـكنة، وأخرى مهدئة للحكة والالتهاب.

قال: أجل.. ولهذا وصفني رسول اللـه ﷺ ضـمادا على عيـني المريض الملتهبتين.

قلت: لقد سمعت حديثا عن دورك في تلطيف الجلد.

قال: أجل.. لقد روت أم سلمة قالت: دخل عليّ رسول اللـه ﷺ حين توفي أبو سلمة، وقد جعلت علي صبرا، فقال:(ماذا يـا أم سلمة؟)فقلت: إنما هو صبر يا رسول الله، ليس فيـه طيب، فقـال ﷺ:(إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل)

قلت: فقد ذكر ﷺ أنك تشب الوجه، أي تلونه وتحسنه.

قال: أجل.. وقد أثبتت الدراسات العلميـة الحديثـة أن للصـبر تأثيرا مرطبا للجلد، فيلطف الجلد وينعمه.

قلت: فما سر هذه الخاصية؟
قال: يعزو العلماء ذلك إلى أنني أحبس الماء في الجلد فيرطبه وينعمه.. ولهذا تجد في أسواق قومك مركبات مختلفة من كريمات ومستحضرات دوائية، وقد دخل في تركيبها مادة الصبر.
قلت: إن بعض قومي يصفونك لالتهاب المفاصل الرثواني.
قال: صحيح هذا.. وهو مرض مؤلم جدا، وقد يؤدي إلى حدوث تشوه في المفاصل، وإعاقة شديدة في حركتها.. وهو يصيب المفاصل الصغيرة في اليدين والقدمين بشكل خاص.
وقد نشرت مجلة النقابة الطبية لأمراض الأقدام بحثا استخدمت فيه موضعيا على مفاصل ملتهبة عند الفئران.. وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنني فعال في علاج هذا الالتهاب.. وهناك تجارب علمية تجرى حاليا على الإنسان.
قلت: ألا زالت بعض بركات شفائك لم تكشف بعد؟
قال: أجل.. ألم يقل ﷺ:(ماذا في الأمرين من الشفاء: الثفاء والصبر)[1]، فهذا الحديث يحمل الدلالة الواضحة على البركات الكثيرة التي أحملها.

السنا والسنوت

ذهب الأمران، وجاءني اثنان كأنهما أخوان، فقلت: لا شك أنكما السنا والسنوت.
قالا بصوت واحد: أجل.. فقد جمع رسول الله ﷺ بيننا.. فلذلك ترى الأخوة بيننا متصلة، والمحبة بيننا منعقدة.
قلت: لقد قال رسول الله ﷺ فيكما:(عليكم بالسنا والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام، وهو الموت)[2]
قالا: أجل.. فنحن من أدوية السماء التي أنزلها الله على عباده، وبارك فيها.
قلت: فحدثاني عن نفسيكما.

السنا:

تقدم السنا، وقال: أما أنا، فقد وردت في النصوص تبين ما في من البركات، فعن أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ

---
1) أبو داود في مراسليه والبيهقي.
2) الترمذي وابن ماجة وأحمد.

سألها بمـاذا كنت تستمشـين[1]؟، فقـالت: بالشـبرم[2]، فقـال ﷺ: (حار جار)، ثم استمشيت بالسنا، فقال النبي ﷺ:(لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا)[3]

قلت: فقد وصفك ﷺ كدواء ملين.

قـال: لا.. لقـد اعتـبرني ﷺ من الأدوي المباركـة الـتي لا يحـد تأثيرها.

قلت: ولكن الحديث ورد في تسهيل البطن.

قال: النصوص المقدسة لا تخصـص بمناسـباتها.. بـل تـراعى فيها الألفاظ الواردة فيها.. لأنها خرجت ممن لا ينطق عن الهوى.

قلت: لن أجادلـك في هـذا.. فـأنت أدرى بمـا وهبـك اللـه من بركات.. ولكني مع ذلك لن أسلم لك حتى تخبرني بما قالوا.

قال: ألا تسلم لما قـال حـتى تسـمع مـا قـالوا؟.. مـا أضـعف إيمانك؟

قلت: اعذرني.. فإني لا أزال رقيق الدين..

قال: فاسأل الله أن يعمقه، فلا خير في دين رقيق.

قلت: حدثني عن بركاتك التي يعرفها قومي.

قـال: سـأحدثك أولا عن بركـات تكويـني الـتي تهتمـون بهـا، فأوراقي وثمـاري تحتـوي على جلوكوزيـدات انثراكينونيـة، وتعـرف بمجموعة سنوزايد، ويوجد منها أربعة أ، ب، ج، د، كما أحتـوي على جلوكوزيدات نفثالينية، ومواد هلامية ومواد فلافونيدية وزيت طيار.

وقد قامت شركات الأدويـة في عصـركم بـتركيب العديـد من الأدوية التي تحتوي على مركباتي منها برسنيد، وسناكوت.

بالإضافة إلى أن هناك أدوية أخرى تحتـوي على مركبـاتي مـع بعض المـواد الأخـرى، ومنهـا أجيـولاكس وسـينتولاكس وميوسـينم وجليسينيد.

قلت: حـــدثتني عن بركـــات تكوينـــك، فحـــدثني عن بركـــات الشفاء.

قال: سأبدأ بما ورد في الحديث.. وهـو اعتبـاري علاجـا ملينـا،

---

1) أي بأي دواء تستطلقين بطنك، حتى يمشـي ولا يصـير بمنزلـة الواقـف، فيـؤذي باحتباس النجو، ولهذا سمي الدواء المسهل مشيا على وزن فعيـل. وقيـل لأن المسـهول يكثر المشي والاختلاف للحاجة، وقال الجزري في النهاية: أي بما تسهلين بطنـك، ويجـوز أن يكون أراد المشي الذي يعرض عند شرب الدواء إلى المخرج، انظر: تحفـة الأحـوذي: 6/213.

2) هو حب يشبه الحمص يطبخ ويشـرب مـاؤه للتـداوي. النهايـة 2/440ــ وهـو من الأدوية التي أوصى الأطباء بترك استعمالها لخطرها وفرط إسهالها.

3) أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم، قال الترمذي: حسن غريب.

فقد نص الخبراء على أني من أفضل الملينات؛ وذلك لأن مفعـولي لا يبدأ إلا في القولون، حيث يتم تحللي بواسطة البكتيريا القولونية.

قلت: فأنت لا تؤثر على المعدة، ولا على الأمعاء الدقيقة؟

قال: أجل.. وبالتالي لا أؤثر على امتصاص الغذاء، كمـا تفعـل معظم الملينات والمسهلات، ولا أسبب إمساكا بعد الإسهال.. بل لا أسـبب أي تقلصـات في الأمعـاء، كمـا تفعـل معظم المسـهلات الأخرى(1)، وقد يحدث بسببي مغص خفيف سرعان ما يزول.

قلت: ألا يؤثر على الحامل؟

قال: أنا لا تمتصني الأمعاء، وبالتالي لا أؤثر على الجـنين، كمـا لا أؤثر على الرضـيع، وقـد نصـت الموسـوعة الصـيدلانية بـأن الأم المرضع تستطيع استعماله لأنه لا يفرز في لبنها من خلال الثدي.

قلت: عرفت هذه البركة العلاجية، فهل هناك غيرها.

قال: أجل.. وكثير.. غير ما لم تكتشفوا.

قلت: فاذكر لي ما يطمئن به قلبي.

قال: لقد ذكر القدماء من منافعي الكثـير.. ويكفيـك مـا قالـه الموفق عبداللطيف البغدادي في الاربعين الطبية، ونقلهـا عنـه ابن القيم والسـيوطي، قـال: (السـنا دواء شـريف مـأمون الغائلـة، وقـريب الاعتـدال، لأنـه حـار يـابس في الدرجـة الأولى، يسـهل الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شـريفة فيـه، وخاصيته النفع من الوسواس وتشنج العضل وانتشار الشـعر، ومن القمل والصداع العتيق (المزمن)والجرب والبثور والحكة)

وقال الرازي:(السنا والشـاهترج يسـهلان الاخلاط المحترقـة وينفعان من الجرب والحكة)

وقال ابن البيطار:(اذا خلط بالحنا فانه يسود الشـعر واجـوده المكي، ينفـع من الشـقاق العـارض في البـدن وينفـع من الصـداع المزمن ومن البثور والحكة)

وقال داود الانطاكي..

قلت: أخبرني بما قال قومي.. وبما يفقهونه؟

قال: لقـد قـامت أبحـاث كثـيرة على أوراقي وثمـاري، أثبتت فائـدتي كأفضـل مسـهل، بالاضـافة الى تنقـتي للـدم، والفتـك بالفيروسات والفطريات.

---

1) يقول البروفسور سبلر وهو من الخـبراء العـالميين فى هـذا المجـال، في مقـال له:« إن أكـثر الأدويـة شـيوعا في معالجـة الإمسـاك هي الأدويـة المستخلصـة من نبـات السنا... وفي القولون تقوم تلك المركبات بتحريض أعصاب القولون على القيـام بحركـة إجمالية، يتبعها مرور البراز بشكل طبيعي »

وأعتبر أحد النباتات المهمة المسجلة في دساتير الأودية الأوروبية والأمريكية والهندية والصينية.

ويوجد حالياً في الهند مستحضر مكون من محلول مائي مركز من السنامكي حيث أستعمل لتنقية الدم.

ويوجد استخدام جديد يستعمل ضد الفيروسات وتكاثرها، حيث تم استخلاص راسب بروتوني من نوع السنا المعروف باسم سنا سيام واعطى نتائج 100 بالمائة لوقف نمو الفيروسات.

وقد تم استخلاص جلوكوزيدات من نباتي فيستولا ودكورا، واستخدمت ضد الفطريات.

قلت: فهل تستعمل خارجيا؟

قال: أجل.. يمكن استخدم منقوع أوراقي على هيئة حقنة شرجية للاطفال كمسهل، وذلك باستعمال منقوع غرام واحد لكل سنة من العمر، أما الكبار، فنسبة الحقنة الشرجية من 10-ـ 15 غرام لكل 500 مليليتر من الماء.

قلت: فهل هناك محاذير من استعمالك؟

قال: يجب عدم استعمالي في حالة وجود سدد بالأمعاء وفي الالتهابات المرضية الحادة في الامعاء، وفي حالة التهاب الزائدة الدودية، ويجب عدم استعمالي من قبل المرأة الحامل ومثها المرضع.

السنوت:

تقدم السنوت(1)، فقال: وأنا لا أقل عن أخي السنا بركات، وقد ذكرنا في حديث واحد.

قلت: فحدثني عن بركات تكوينك..

قال: أنا أتكون من زيوت طيارة، أهم مركباتها مركبي الانيثول والغينشون.. وتعود الرائحة المميزة لي إلى المركب الأخير.

كما أحتوي على مركب الاستراجول بالإضافة إلى فيتامينات أ، ب، ج، ومعادن الفسفور والكالسيوم والكبريت والحديد والبوتاسيوم.

قلت: فما هي بركات العلاج بك؟

قال: لقد استخدمت من آلاف السنين لعلاج كثير من

(1) وهو يعرف بالسنوت والرازيانج والشمار والبسباس والكمون والشمرة والشمر المر والشمر الحلو والحلوة والشمر الكبير وشمر الحدائق والشمر الوحشي والشمر الزهري.

الأمراض(2)، وقد ذكر الأطباء من منـافعي أني أفتح السـدد، وأحـد البصـر، وخصوصـاً صـمغي، وأفـرز الحليب، وأدر البـول والطمث، وأفتت الحصاة وبالأخص ما كان مني رطبـاً طريـاً، وأحلـل الريـاح، وأنفـع من التهيج في الوجـه وورم الأطـراف، والتبخـر بي يسـكن الصداع، ويدفع ضرر السموم والهوام.

قلت: أريد ما قال أطباء قومي.. فلكل جيل أطباؤه.

قال: لقد درسـت دراسـة مستفيضـة، وقـد أثبت الألمـان أني من أفضل الأعشاب لعلاج تعب المعـدة، ومشـاكل الهضـم، ولعلاج النفخة والغازات ولإزالة المغص.

وذكـروا أن أفضـل طريقـة لاسـتخدامي هي سـحق ثمـاري ووضعها في كأس مملوء بالحليب وشـربه، كمـا أوصـوا بأنـه يمكن إعطـائي للأطفـال دون سـن الثانيـة كمضـاد لآلام المغص، وذلـك بسحق ملعقة صغيرة ونقعها في ملئ فنجان قهوة عربي لمدة 15 دقيقة، ثم يسل الماء ويضاف إلى حليب الطفل، ويمكن أن يعطوا الأطفـال نفس الوصـفة لإيقـاف الاسـهال، كمـا يمكن اسـتخدامي لتهدئة وتنويم الأطفال.

وقد أثبت العلماء أن مركب الاستراجول الذي أحتوي عليه له تأثير مشابه لتأثير الهرومات الأنثوية، حيث اتضح أنه يزيد من افراز الحليب لدى المرضعات، ويساعد في إدرار الطمث.

كما أثبتت السلطات الصحية الألمانية اسـتعمالي في أشـكال مختلفة مثل الأشربة، مثل شراب العسل بالسـنوت لعلاج احتقـان الجهاز التنفسي، حيث يـذيب المخـاط المفـرز في قنـوات الجهـاز التنفسي، وبالتالي يعمل كطارد للبلغم.

وأصبحت في كثير من دساتير الأدوية الأوروبية أسـتخدم لهـذا الغرض، كما أثبتت الدراسات العلمية أن لي تأثيراً قاتلاً لبعض أنواع البكتيريا، ولهذا أستخدم لايقاف الاسهال المتسبب عن البكتيريا.

بالإضـافة إلى هـذا.. فـإن لي وصـفات علاجيـة كثـيرة، أثبتت فعاليتها.

قلت: فهل هناك محاذير من استعمالك؟

قال: نعم هناك بعض المحاذير، وخاصـة عنـد اسـتعمال زيـتي

---

2) للسنوت تاريخ قديم فقد زرعه الصينيون القدماء والهندوس والمصريون وزرعـه الرومان وأكلوا عروقه وأوراقه العطرة الزكية الرائحة. وكان السنوت من أفضـل المـواد الطبية المستخدمة في العصور الوسطى وكـانت تضـاف أوراقـه الطازجـة إلى مـأكولات السمك والخضروات وذلك عند الأغنياء، أما الفقراء فتوكل أوراقه كمادة مشهية في أيـام الصيام.

حيث إنه مركز واستخدام جرعة عالية منه تسبب احتقانـاً وهبوطـاً في القلب، وقـد تسـبب دوخـة وغثيانـا، بالإضـافة إلى ظهـور طفح جلدي، وربما سببت حدوث نوبة تشنجية تشبه نوبة الصرع.

قلت: وكأنك تنصح بعدم استعماله.

قال: أجل.. فقد جعـل اللـه البركـة في أجزائنـا جميعـا لا في زيوتنا وحدها.. ألم تسمع بما حصل للحبة السوداء المسكينة؟

قلت: بلى.. فهل هناك أضرار أخرى؟

قـال: الأصـل أنـه لا ضـرر في كـل الأدويـة المباركـة.. ولكن الضـرر في سـوء اسـتعمالها.. فالحامـل ــ مثلا ــ بفضـل عـدم اسـتعمالها لي كـدواء لأني أسـبب تنشـيط الـرحم، أمـا إذا كـانت تستخدمني استخداماً عادياً مع الأكل بكميـة معقولـة، فلا ضـرر من ذلك.

القسط البحري

بعد انصراف السنا والسنوت، سمعت صوتا غريبا لا يكاد يفهم قوله، فقلت: من أنت يرحمك الله.

قال: أنا الذي قال في رسول الله ﷺ:(إنَّ أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري)(1)

قلت: لا أعرفك..

قال: وما يضرك جهلك بي بعد أن عرفني حبيـبي ﷺ وأوصـى بي.

قلت: لم أجهلك جهلا بمكانتك.. ولكنك لا تنبت بأرض قومي.

قال: كيف تسمع حديث رسول اللـه ﷺ، وهـو يـأمر بي، ثم لا تحدثك نفسك بالبحث عني وعن منافعي.

قلت: اعذرني في تقصيري في حقك.

قال: بـل اعتـذر لرسـول اللـه ﷺ، وتقصـيرك في حقـه.. بـل اعتذر لنفسك، وتقصيرك في حقها، وفيما يصلح لها.

قلت: صـدقت.. فنحن نـدرس كلام من نـرفعهم حرفـا حرفـا وكلمة وكلمة، ثم يمر علينا مثل ما ذكـرت من النصـوص، ولا نلقي له بالا.

قال: ليس ذلك النص فقط، بل إنه ﷺ ذكرني إجمالا وتفصيلا.

قلت: سمعت الإجمال، فهات التفصيل(2).

______

1) البخاري.

2) انظر: الإعجاز الطبي في السنة النبوية، تأليف الدكتور كمال الموبل.

قال: لقد وصفني رسول الله لبعض الأدواء، فقال:(لا تعــذبوا صــبيانكم بــالغمز(1) من العــذرة(2)، وعليكم بالقســط)(3)، وقــال: (عليكم بهذا العود الهندي، فإنَّ فيه سبعة أشفية: يسعط(4) به من العذرة، ويلدُّ(5) به من ذات الجنب(6)(7)

قلت: صدق رسول الله ﷺ، فهل وجدت من يبحث فيما قــال رسول الله ﷺ ؟

قال: هناك من بحث في هذه النصوص، ولكنه لم يوفها حقهــا من البحث.

قلت: فما وجدوا فيك من بركات؟

قــال: لقــد وجــدوا أني أحتــوي على مــادة الهليــنين، وحمض البنزوات، وكلاهمــا من المــواد المطهــرة للجــراثيم..ولهــذا ذكــرني رسول الله ﷺ لعلاج اللــوزات، والتهــاب اللهــاة، والتهــاب البلعــوم، وهو المقصود بالعذرة فيما سمعت من أحاديث.

قلت: لقد ذكرك رسول الله ﷺ لعلاج ذات الجنب.

قال: لقد ذكر أطباؤكم أن احتوائي على هذه المواد المطهرة القاتلـــة للجـــراثيم، وذاك مـــا يعلـــل دوري في علاج ذات الجنب الجرثومية، وذات الرئة الجرثومية.

قلت: فلم جمع رسول الله ﷺ في الحديث الأول بينــك، وبين الحجامة؟

قال: هذا سر بديع يدل على مدى حرصه ﷺ على صحتكم.

قلت: فما فيه من الصحة؟

قال: إن الجمع بين الحجامة وبيني له مغـزى طـبي في ضـوء احتـوائي على حمض البـنزوات، والهيليـنين المطهـرتين والقـاتلتين للجـراثيم.. فهـو يـدل على دوري في تعقيم مشـرط الحجامـة، إذا طلي به، ودوره في تعقيم الجروح المحدثة بهذا المشرط.

قلت: ما شاء الله.. ما أعظم نصحك يـا رسـول اللــه.. وكـأن رسول الله ﷺ يعلمنا سرا من الأسرار المهمة للعلاج.

---

1) الغمز: الضغط بالأصابع.
2) العذرة: بضم العين و سكون الذال هي التهاب الحلق واللوزات.
3) البخاري.
4) السعوط: هو تناول الدواء عن طريق الأنف بالتقطير.
5) اللَّدود: قال ابن حجر العسقلاني: اللَّدود بفتح اللام و بمهملتين،هو الـدواء الـذي يصب في أحد جانبي فم المريض.
6) ذات الجنب: قال عنه ابن حجر العسـقلاني:« هـو ورم حـار يعـرض في الغشـاء المستبطن للأضلاع »
7) البخاري.

قـال: أجـل.. زيـادة على أن الجمـع بين القسـط البحـري والحجامة يحمل سرا لطيفا، وهو: الوقاية من التشوهات والندبات، وقـد أدرك هـذا المتقـدمون فقـال موفـق الـدين البغـدادي:(وفي جمعه ﷺ بين الحجامة والقسط سرٌّ لطيـف، وهـو أنـه إذا طلي بـه مشرط الحجامـة لم يتخلـف في الجلـد أثـر المخاريـط)، ثم قـال: (وهذا من غرائب الطب)

قلت: لقد نهى النبي ﷺ في الحـديث عن غمـز العـذرة، فمـا سر ذلك؟.. وما علاقته بك؟

قـال: غمـز العـذة هـو ضـغط اللـوزات والحلـق الملتهـبين بالأصابع.. وقد كان أسلوبا من أساليب العلاج.. فنهى النبي ﷺ عنـه ووضع البديل الشرعي له[1].

قلت: فلم نهى النبي ﷺ عن الضغط على اللوزتين؟.. ألكونـه لا يفيد في علاجها؟

قال: ليس ذلك فقط.. بل هـو يسـبب ألمـاً شـديداً للمـريض، وقـد يسـبب نزيفـا دمويـا.. بـل قـد يسـبب انتشـار الالتهـاب إلى المناطق المجاورة.

قلت: فما معنى قوله ﷺ في الحديث الـذي رويتـه:(ويُلـدُّ بـه ذات الجنب)؟

قال: اللـدود هـو مـا يسـقى في أحـد جـانبي الفم، وفي هـذا إشارة إلى طريقة إعطاء الدواء للمريض عندما لا يتمكن غالبـاً من تناوله بيده، أو يرفض تناوله، كما يحصل عنـد الأطفـال غالبـاً، فـإذا رفض الطفل تناول الـدواء فيجب إعطـاءه إيـاه عنـوة، وذلـك بفتح فمه وسقيه الدواء في أحد جانبي فمه.

قلت: فلم لم يـترك ﷺ أهـل المـريض يسـقون مريضـهم بالطريقة التي يشاءون؟

قـال: لقـد خشـي ﷺ أن يسـقوا المـريض في وسـط فمـه.. وذلك قد يؤدي إلى الشردقة.. فدل على الطريقـة المثلى لإعطـاء المريض الدواء.

قلت: ما أرحمك يا رسول اللـه.. ومـا أعظم حرصـك علينـا.. حتى الدواء تعلمنا كيف نتناوله.

تقدم مـني نبـات أجهلـه، فقلت: من أنت يرحمـك اللـه.. ومـا الذي جعلك تقدم مع القسط؟

---

1) مع نهي النبي ﷺ عن غمـز العـذرة نجـد أنـه لا زال شـائعاً في بعض المنـاطق، فيسمون العذرة بنات الأذن، ويسمون غمزها، أي ضغطها بالأصابع رفع بنات الأذن.

قال: أنا أخ من إخوان القسط، يقال لي: الورس(1).. وقد نعتني ﷺ لذات الجنب، كما نعت الورس، فقد روي من حديث زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب، قال قتادة: يلد به، ويلد من الجانب الذي يشتكيه(2).

وفي حديث آخر، قال زيد بن أرقم: نعت رسول الله ﷺ من ذات الجنب ورساً وقسطاً وزيتاً يلد به(3).

وقد وصفني في نواح أخرى، فقد صح عن أم سلمة قالت: كانت النفساء تقعد بعد نفاسها أربعين يوماً، وكانت إحدانا تطلي الورس على وجهها من الكلف.

قلت: فما قال فيك الأطباء؟

قال: لقد ذكروا أن مصدر قوتي في الحرارة واليبوسة في أول الدرجة الثانية.. وذكروا من منافعي أني أنفع من الكلف، والحكة، والبثور الكائنة في سطح البدن إذا طلي بي، وأن لي قوة قابضة صابغة، وأني إذا شرب مني نفعت من الوضح، ومقدار الشربة مني وزن درهم.

وقد ذكروا أني في مزاجي ومنافعي قريب من منافع القسط البحري، وإذا لطخ بي على البهق والحكة والبثور والسفعة نفع منها.

قلت: لم أقصد ما قال أولئك.. بل قصدت ما قال هؤلاء.

قال: ومن أولئك.. ومن هؤلاء؟.. لا أفهمك.

نبهني القسط البحري، وقال: أخي الورس لم يخرج بعد من زمانه.. فدعه مع من يعرفه من الأطباء.. أو ابحث له عمن يعرف به الناس من أطباء قومك.

قلت: كيف ذلك؟

قال: اذكر لهم أن طبيبا أمريكيا أو أوروبيا أخبر أن للورس فوائد صحية.. فسترى المخابر كلها تبحث عنه.. وتلهث في بحثها.

الحناء

بعد انصراف القسط البحري والورس بقيت متأملا ما ذكرا

---

1) الورس: هو بزر أصفر يجلب من بلاد اليمن، ويدخل في البخورات... قال أبو حنيفة اللغوي: الورس يزرع زرعاً، وليس ببري، ولست أعرفه بغير أرض العرب، ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن.

وقال الاصمعي:« ثلاثة اشياء لا تكون الا باليمن وقد ملأت الارض: الورس واللبان والعصب (يعني برود اليمن)»

2) الترمذي.

3) ابن ماجه.

من تقصيرنا فيما جاء عن رسول الله ﷺ من أصناف الهدي.. وبينما أنا في ذلك الاستغراق إذ شممت رائحة طيبة لنبتة أعرفها طالما رأيت أهلي يستعملونها، نادتني من غير أن أسألها: لا شك في معرفتك لي.. فأنا الحناء.. تلك النبتة الطيبة التي ورد ذكرها في الأحاديث الكثيرة.

قلت: أجل.. فقد استعملك ﷺ، ودعا لاستعمالك.

قالت: ولذلك.. فأنا من أدوية السماء.. ولكنكم بعتموني بأدوية الأرض.

قلت: صدقت.. فقد كانو يستشفون بك ويتجملون.. فعوضوك بالأصباغ.. وعوضوا الاسشفاء بك بالمراهم.

قالت: ولكن لي أهلا لا زلت أحن إليهم.

قلت: تقصد سلف هذه الأمة الصالح.

قالت: وأقصد خلف هذه الأمة الفالح.

قلت: ألا يؤلمك انصراف الناس عنك؟

قالت: أما صالحوهم، فيؤلمني.. وأما غيرهم.. فلا أبالي.

قلت: حدثيني عن سر بركاتك.

قالت: تقصد الحقيقة أم الرسوم؟

قلت: الحقيقة والرسوم.

قالت: أما الحقيقة.. فيكفي لبركاتي أن تمتد عيني حبيبي ﷺ إلي.. كيف وقد استعملني ودعا إلي.

قلت: والرسوم؟

قالت: ما يفهمه قومك من العناصر والمركبات.

قلت: فحدثيني بما يفهم قومي.

قالت: أنت تستعملون أوراقي وأزهاري.. أما أوراقي، فتحتوي على غليكوزايدات مختلفة أهمها اللاوزون، وهي المادة المسئولة عن التأثير البيولوجي الطبي، وعن الصبغة واللون الأسود، كما أحتوي على مواد راتنجية وتانيتات تعرف بـ حماتانّين.

أما أزهاري، فتحتوي على زيت طيار، له رائحة زكية وقوية، ويعتبر أهم مكوناته مادة الفوبيتا إيونون.

قلت: هذه بركات تكوينك، فما بركات استعمالك؟

قالت: لقد نلت الحظوة عند الجميع، فقد ذكر سلفكم عني أني محلل نافع من حرق النار، وإذا مضغت نفعت من قروح الفم والسلاق العارض فيه وأني أبرئ من القلاع.. وأن الضماد بي ينفع من الأورام الحارة الملتهبة.. وأني إذا ألزقت بي الأظافر معجوناً

حسـنها ونفعهـا، وأني أنبت الشـعر وأقويـه وأنفـع من النفاطـات والبثور العارضة في الساقين وسائر البدن.

وقد ذكـرني ابن سـينا، فقـال:(الحنـاء فيـه قبض وتحليـل بلا أذى، ويسـتعمل في الطب الشـعبي كقـابض وفي التئـام الجـروح والحروق وغسول للعيون وكمروخ لمعالجة البرص والرثية)

قلت: هـذا كلام مجمـل.. فحـدثيني عن التفصـيل.. وهـو كلام السلف.. فحدثيني عن كلام الخلف.

قالت: سأذكر لك أربعة أصول من البركة التي ملأني الله بهـا ورد النص عليها من السلف، وورد التدليل عليها من الخلف.

قلت: فما هي؟

قالت: الجمال، والعلاج، والتطهير، والحماية.

قلت: فلنبدأ بسر أسرار الوجود.

قالت: تقصد الجمال.

قلت: وهل تحيا الحياة بلا جمال؟

قـالت: لقـد بـارك اللـه في.. فجعلـني إكسـيرا من أكاسـير الجمال.. فلهذا كان حبيبي ﷺ يستعملني، ويدعو إلى استعمالي..

قلت: أكان ﷺ يستعملك؟

قالت: أجل.. ألم تسمع ما جاء في الحـديث من أن أم سـلمة أخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ، فإذا هو مخضـوب بالحنـاء والكتم(1).

قلت: لم أسمع هذا.. لكني سمعت أنسـا يقـول: لم يختضـب النبي ﷺ.

قالت: لقد أجاب أحمد بن حنبل عن هذا وقـال: قـد شـهد بـه غير أنس على النبي ﷺ أنه خضب، وليس من شهد بمنزلـة من لم يشهد.

قلت: صدقت.. فلعل أنسا لم تبلغه أحاديث الاختضاب.. أو لم يلتفت إلى خضابه ﷺ.. وعلى العموم، تكفي شهادة أم سلمة

قالت: حتى لو قلنا بعدم خضابه ﷺ، فيكفي أنه دعا إليـه.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إنّ أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم)(2)

وحدث ابن عباس قال: مـر على النـبي ﷺ رجـل قـد خضـب بالحناء، فقال ﷺ:(ما أحسن هذا؟)، فمـر آخـر قـد خضـب بالحنـاء والكتم، فقال:(هذا أحسن من هذا)، فمر آخر قد خضب بالصفرة،

---

1) البخاري.

2) الترمذي وقال حديث صحيح.

فقال:(هذا أحسن من هذا كله)(3)

قلت: عرفنا ما ورد عن السلف.. فحدثينا بما ذكر الخلف.

قالت: أنا أستخدم كصبغة منذ آلاف السنين، فكل التقاليد والعادات في أغلب مجتمعات إفريقيا وآسيا، ومثلها جميع الدول الإسلامية تستعملني للتزيين بوضعي كصبغة للشعر والأظافر والأقدام وراحة الأيدي وظهورها.

وقد انتشر استعمالي لصبغ الشعر والنقش به على الأيدي والأرجل في السنين الأخيرة في أوروبا وأمريكا الشمالية مما جعل الشركات الأمريكية والأوروبية لصناعة مستحضرات التجميل تتنافس لإنتاج العديد من مركبات التجميل التي يدخل في صناعتها أوراق الحناء.

بل وجدت العديد من صبغات الحناء للشعر وذات الألوان المختلفة من اللون الاشقر حتى اللون الاسود أو الداكن، ثم أغلف بعلب جذابة وأباع بأسعار أضعاف السعر الذي يباع به المنتج في الدول العربية أو الآسيوية.

قلت: هم لا يتركون شيئا إلا تاجروا فيه.. فكيف تطمعين في أن يرحموك؟

قالت: أنا لم أمنعهم من التجارة في.. ولكني متأسفة لتلاعبهم بي.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: هم يضيفون إلى أوراقي المجففة والمطحونة صبغة كيميائية تعرف بارافينلين داي امين بنسب وكميات مختلفة تعطي الألوان من الأصفر الذهبي إلى اللون الأحمر الداكن الى اللون الاسود الغامق.

وهذه المادة خطيرة إذا وجدت بكمية عالية.

وقد يضيفون إلى وأوراقي المجففة والمطحونة أوراق نباتية تسمى انديقو وهي مادة آمنة الاستخدام وهي تصنع في المعامل، وتعطي اللون الأزرق عند إضافة الماء عليها، وعند خلط أوراق الحناء المجففة والمطحونة مع صبغة الانديقو تعطي صبغة نباتية سوداء.

قلت: فحدثيني عن بركات علاجك.

قالت: لقد وصفني ﷺ بالنفع.. وذلك يكفي لدلالتك على ما وضع الله في من بركات الشفاء.

---

3) سنن أبي داود.

قلت: لم يبلغني الحديث.. فأسمعيني.

قالت: عجبا لكم.. سنة رسول الله ﷺ بينكم بأيسر سبل الحصول عليها.. ثم تزعم أنها لم تبلغكم.. إن من كانوا يختضبون بي كانوا يرحلون البلاد، ويقطعون الجبال والوهاد من أجل حديث واحد.. ثم يظلون متأسفين إن فاتهم حديث لرسول الله ﷺ.. ثم تزعم أنت بأن الحديث لم يبلغك.. أنت الذي لم تبلغ الحديث.. أما هو فموجود في كل المصنفات أمامك.

قلت: اعذريني.. ولا تغضبي..

قالت: كيف لا أغضب.. وأنتم تحفظون كلام بعضكم بعضا.. وتنسون كلام المعصوم.

قلت: لقد أبلغت في نصحي.. ولك علي أن لا أفرط في تحصيل سنة أو بحث عن هدي.

قالت: أما إذا قلت ذلك.. فقد كان ﷺ إذا صُدع غلَّف رأسه بالحناء، ويقول:(إنه نافع بإذن الله)(1)، وكان لا تصيبه قرحةٌ ولا شوكةٌ إلا وضع عليها الحناء(2)..

بل إنه ﷺ قرنني بالحجامة التي عرفت فضائلها، فقد روى أنَّه ما شكا إليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال:(احتجم)، ولا شكا إليه وجعاً في رجليه إلا قال له:(اختضب بالحناء)(3)

قلت: فهل قال الخلف في ذلك شيئا(4)؟

قالت: لقد ذكروا أني أفيد في علاج الصداع.. وفي نوع خاص منه، وهو الصداع الناجم عن فرط التوتر الشرياني.

قلت: فما سر ذلك؟

قالت: هم يرجعون ذلك لامتلاكي خاصيتين اثنتين، فأنا أنظم ضربات القلب، وأنبهه من جهة، وأسبب ارتخاء العضلات وتوسيع الأوعية الدموية من جهة أخرى.

قلت: فكم ملعقة أشرب منك لأجل ذلك؟

قالت: ما تقول؟.. هل سمعت أن النبي ﷺ شربني؟

قلت: لا.. لقد ورد ـ حسب ما رويت ـ أنه يغلف رأسه بالحناء.

قالت: فلماذا تتجاوز هديه؟.. لعلك تقيس الشرب على التغليف.. ما أفلح من قاس.

قلت: رويدك.. لقد ذكرت أنك تنفعين لوجع الرأس.. ولم أكن

---

1) ابن ماجة.
2) إبن ماجة.
3) أحمد،و أبو داود.
4) انظر: الإعجاز الطبي في السنة النبوية، للدكتور كمال المويل.

لأتصور قدرتك على ذلك من غير شرب.
قالت: الزم هديه ﷺ.. واستعملني كما استعملني.
قلت: بأن أضع عجينتك على الجبهة.
قالت: هكذا فعل.. فلا تتجاوز ما فعل.
قلت: فلنفرض أني تجـاوزت.. أليس هـذا من الأمـور العاديـة التي لا تخضع للأحكام الشرعية.
قـالت: لقـد فعـل بعض من يزعمـون لعقـولهم الـذكاء من العطارين الذين يتخذون البشر فئران تجارب.
قلت: فماذا حصل؟
قالت: لقـد جـاء إلى مختـبر قسـم تحليـل الأدويـة والسـموم بمستشفى من المستشفيات عينة من محلـول الحنـاء اسـتخدمت من مريض وصفت له عن طريق أحد محلات العطارة حيث سببت له العديد من المشاكل الصـحية أدخـل بسـببها المستشـفى ورقـد على سـريرها لعـدة أسـابيع، وخضـع لعـدة تحاليـل طبيـة، وأنـواع مختلفة من الاشعة.
قلت: لماذا.. هل تناول سما؟
قالت: لا.. لقد تناول محلول الحناء لفترات طويلة عن طريـق مـدعي العلاج الشعبي الذين كـثرت الامـراض الجسـمية والصـحية بسبب وصفاتهم الشعبية.. والتي لا تعتمد على أي أساس علمي.
قلت: فما مخاطر استعمالك الداخلي؟
قالت: خطره كبير على الجهاز الهضمي والجهاز الدموي..
قلت: فعودي.. حدثينا عن منافع العلاج بك.
قالت: عجينتي اذا وضعت على الرأس تفيـد في حالـة ضـربة الشـمس والصـداع، وخاصـة إذا أضـيف للعجينـة ملعقـة من خـل التفاح.
قلت: لقد وصفك ﷺ لعلاج الجروح والقرح.. فما سر ذلك؟
قالت: ذلك يرجع لامتلاكي خاصيتين اثنتين:
أما أولاهما، فاحتوائي على مضادات حيويـة فعالـة ضـد أنـواع كثيرة من الجراثيم.
وأمــا الثانيــة، فــاحتوائي على مــواد قابضــة للقضــاء على الالتهابات الفطريـة بالقضـاء على الرطوبـة، وإزالـة الوسـط لنمـو الفطور.
قلت: فكيف تستعملين؟
قـالت: أسـتعمل في علاج الأورام والقـروح بعجـني وتضـميد

الأورام بي.

قلت: فحدثيني عما وضع الله فيك من بركات التطهير؟

قالت: لقد ثبت علمياً أنني إذا وضعت في الرأس لمدة طويلة بعد تخمري.. فإن المواد القابضة والمطهرة الموجـودة بمحتويـاتي تعمل على تنقية فروة الـرأس من الميكروبـات والطفيليـات، ومن الإفرازات الزائدة للدهون.. كما أنني أعمل على الإقلال من إفــراز العرق عند مفرطي التعرق.

وفوق ذلـك أطهـر الـرأس من قشـر الشـعر والتهـاب فـروة الرأس.

ولا أزال أستعمل كغرغرة لتطهير قروح الفم واللثة واللســان وآلام الحلق.

قلت: فحدثيني عما وضع الله فيك من بركات الحماية؟

قالت: انطلاقا مما عرفت سابقا.. فـإن لي أدورا عظيمـة في حماية الجلد من التشققات.. ذلك أن الفطريات المتسببة في هـذه العلل ترهبني، فلا تكاد تقترب مني.

الحلبة

انصرفت الحناء وتركتني.. فجاءت خلفها حبة حلبة تختـال في مشـيتها، فقلت: مـا هـذا الزهـو؟.. ألم تبلغـك أحـاديث النهي عن الاختيال؟

قالت: اختيالكم ناشئ عن كبر.. واختيالي ناشئ عن نشاط.

قلت: وتعرفين التأويل.. والهرب من مستلزمات النصوص!؟

قـالت: لا.. ولكـني اسـتننت في مشـيتي بـأبي دجانـة، عنـدما اختال في مرضاة الله، لا في مرضاة هواه.

قلت: وكيف أمنت نفسـك.. أفلا يمكن أن يكـون ذلـك خدعـة لبس بها الشيطان عليك؟

قالت: ومن الشيطان؟

قلت: الذي يغوي الإنسان.. ألا تعرفينه؟

قـالت: لا أعرفـه.. ولا أسـمع بـه.. أنـا من عـالم.. وأنتم من عالم.. فلا تحكم علي بأحكام عالمك.

قلت: عذرا.. نسيت أني أتحدث مع حلبة.

قـالت: إن قلت هـذا جهلا بقـدري.. فـاعلم أن النص قـد ورد بـذكري والثنـاء علي، فقـد ورد في الحـديث أن النـبي ﷺ عـاد بعض

أصحابه بمكة، فقال: ادعوا له طبيباً، فـدعي الطـبيب، فنظـر إليـه، فقال: ليس عليه بأس، فاتخـذوا لـه فريقـة، وهي الحلبـة مـع تمـر عجوة رطب يطبخان، فيحساهما، ففعل ذلك، فبرئ.

قلت: ليس في هذا الحديث شيء من فضلك.. بل كل ما فيه إذن العلاج بك.

قالت: فقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(لـو تعلم أُمـتي مـا في الحُلبةِ لاشتروا ولو بوزنها ذهباً)(1)

قلت: هذا حديث ضعيف.

قالت: فقد ورد في حديث آخر قوله ﷺ:(استشـفوا بالحلبـة) (2)

قلت: مهما يكن من أمر.. فحدثيني عن أسرار بركاتك.

بركات التكوين:

قالت: سـأحدثك ــ أولا ــ عن بركـات تكويـني الـتي يهتم لهـا قومك(3).

قلت: فحدثيني.

قالت: لقد ذكروا من خلال تحليلي أني غنية بالمواد البروتينيـة والفسفور والمواد النشوية.. وأني لا أختلف في ذلك عن زيت كبــد الحـوت، كمـا أحتـوي على مـادتي الكـولين والـتريكونيلين، وهمـا يقاربان في تركيبهما حمض النيكوتينيك، وهو أحد فيتامينــات (ب)، كما تحتوي بذوري على مادة صمغية وزيوت ثابتة وزيت طيار يشبه زيت اليانسون.

وأحتوي على مادة الميوسيليج التي تدخل في صناعة الحبوب والكبسولات للعمل على تماسكها وعدم تفتيتها، كذلك أحتوي على مــادة الســابونين والديوســجانين الـتي تعمــل على تحفـيز إفــراز الهرمونات الجنسية الأنثوية، وأدخل في صناعة حبوب منـع الحمـل والكورتيزونـــات الـــتي تعمـــل كمســـكنات للأمـــراض الصـــدرية والروماتيزم.

وهكـذا اعتـبروني صـيدلية متكاملـة يمكن اسـتخدامي خـارج وداخل الجسم.

بركات الشفاء:

قلت: فحدثيني عن بركات الشفاء التي وضعها الله فيك.

---

1) رواه الطبراني وفيـه سـليمان بن سـلمة الخبـايري وهـو مـتروك، انظـر: مجمـع الزوائد: 5/44، مسند الشاميين: 232، المعجم الكبير: 20/96.

2) ذكره ابن القيم ولم يذكر ما فيه من التصحيح والتضعيف ولم أجده.

3) انظر: التداوي بالنبات و الطب النبوي، للدكتور عبد الباسط محمد السيد.

قـالت: لقـد عرفـني النـاس من قـديم.. واسـتعملوني في أغراض كثيرة.. ولولا نجاح استعمالي ما داوموا عليه.

قلت: ففيم استعملوك؟

قالت: لقد قالوا عن حبة الحلبة ـ التي هي أنا بلا فخر ـ: إنهـا إذا طبخت بالمـاء لينت الحلـق والصـدر والبطن.. وأنهـا تسـكن السـعال والخشـونة والربـو، وعسـر النفس.. وأنهـا جيـدة للـريح والبلغم والبواسـير.. وأنهـا محـدرة الكيموسـات المرتبكـة في الأمعاء.. وأنها تحلـل البلغم اللـزج من الصـدر، وتنفـع من الـدبيلات وأمراض الرئـة، وتسـتعمل لهـذه الأدواء في الأحشـاء مـع السـمن والفانيذ.

وذكروا أن دقيقي إذا خلط بالنطرون والخل، وضمد به، حلـل ورم الطحـال، وقـد تجلس المـرأة في المـاء الـذي طبخت فيـه، فتنتفع به من وجع الرحم العارض من ورم فيـه، وأنـه إذا ضـمد بي الأورام الصلبة القليلة الحـرارة، نفعتهـا وحللتهـا، وإذا شـرب مـائي نفع من المغص العارض من الرياح، وأزلق الأمعاء.

قلت: ولكن....

قاطعتني، وقالت: وأني إذا أكلت مطبوخة بالتمر، أو العسـل، أو الـتين على الريـق حللت البلغم اللـزج العـارض في الصـدر والمعدة، ونفعت من السعال المتطاول منه.

وأني نافعة من الحصر، مطلقة للبطن، واني إذا وضعت على الظفر المتشنج أصلحته، ودهني ينفع إذا خلط بالشمع من الشقاق العارض من البرد.

قلت: لحظة فقط....

قاطعتني، وقالت: وأني يمكن أن أؤكل مطبوخة للتغذية وفتح الشهية ولزيادة الوزن، كما يشرب مغلاي حيث أنـه ينفـع في بعض الإضطرابات المعديـة والصـدرية.... كمـا أعطى للفتيـات في زمن البلـوغ لتنشـيط الطمث، ومثـل ذلـك لفقـر الـدم ولضـعاف البنيـة والشهية وللنحفاء.

قلت: لحظة فقط....

قاطعتني، وقالت: كما أني أزيل الكلف من الوجه.. ويستخدم مغلى بـذوري كغرغـرة لعلاج التهابـات اللـوزتين.. بـل ذكـروا أن منافعي أضعاف ما ذكروا.

قلت: أريد أن تذكري لي ما قال المحدثون من الأطباء.

قالت: المحدثون متفرغون للسموم التي ينتجونها.. فلذلك لم

يجدوا الوقت الكافي للنظر في منافعي.

قلت: ألم يبحثوا فيك؟.. عهدي ببعضهم يهتمون بمنافع الأعشاب.

قلت: بحثوا.. ولكنهم مقصرون جدا.

قلت: فما قالوا؟

قالت: لقد ذكروا فائدتي لمرضى السكري.. فقد أجريت في الهند بحوث عديدة عليها في القرن الحالي، وأثبتت أن 2 جرام من الحلبة المطحونة تعادل وحدة أنسولين، لذلك تستخدمها الهند حالياً في علاج مرض السكر من النوع الأول، أي المعتمدين على الأنسولين من الخارج.. ومثل ذلك النوع الثاني، أي غير المعتمدين على الانسولين من الخارج.

قلت: فما سر ذلك؟

قالت: يرجع ذلك ـ كما يقولون ــ إلى احتوائي على سلاسل البيتيدات المرتبطة بالزنك، والتي يعزى إليها التأثير على سكر الدم، وهذا علاوة على زيادة ما بي من الأحماض الأمينية والكبريتية، فهي التي تساعد على تحويل السلاسل البيتيدية لمصنعات البنكرياس إلى إنسولين فَعال.

قلت: فما علاقة هذا بمرضى السكري؟

قالت: ألا تعلم أن مرضى السكر من النوع الثاني يعانون نقصاً في الرابطة الكبريتية التي تربط هذين الخيطين لتعطي جُزيء الإنسولين الفعال، لذلك فإن إمداد الكبريت في صورته العضوية في النباتات يزيد من تحول هذه الخيوط، التي غالباً ما تفرز في صورة طبيعية إلى الأنسولين الفعال.

قلت: هذه فائدة عظيمة.

قلت: وهناك غيرها كثير.

قلت: ففيم تستعملين أيضا؟

قالت: تشير الأبحاث إلى أن بذوري تحتوي على مادة مضادة للالتهاب، لذلك أستخدم في حالات آلام المفاصل، كما أن كماداتي تستخدم في علاج الجروح.

قلت: فما ذكروا غير هذا؟

قالت: لقد ذكروا أن بذوري تحتوي على مادة ديوسجنين، وهي مادة لها مفعول شبيه بمفعول هرمون الاستروجين الأنثوي، ولذلك أستخدم في علاج متاعب المرأة في سن اليأس.

قلت:....؟

قــالت: وتشــير الابحــاث الى أني يمكن أن أعيــد للقولــون عافيتــه، وأخلصــه من المخــاط الزائــد، ولهــذا أوجــد في محلات العطارة على هيئة كبسولات ومحببات تباع في الصيدليات، وتؤخــذ عادة صباحاً ومساءً لهذا الغرض.

قلت:....؟

قالت: وقد أفادت مجموعة من الدراسـات الطبيـة بـأنني من أهم الأعشاب المـدرة لحليب الأم.. وقـد أوضـح خـبراء التغذيـة أن تناول المرضعات لملعقة كبيرة من الحلبة المسحوقة أو شربها مع الماء أو الحليب يساعد في زيادة إدرار حليب الثدي.

قلت:....؟

قالت: كما أن أوراقي والبذور المستنبتة مني تؤكـل لاحتوائهـا على فيتامينات لتقوية الجسم والدم، فأنا احتـوي على البروتينـات، والكربوهيدرات، والهرمونات، والسكريات، كما تغلى بذوري وتحلّى بالسكر أو العسل، وتعطى للتدفئة أو التغذية في فصل الشتاء.

كما أنه يمكن استخدام مسحوق بذوري بعـد خلطـه بالسـمن والسكر؛ ليعطي قيمة غذائيـة عاليـة، ومثـل ذلـك تسـتخدم البـذور المسـحوقة بعـد تحويلهـا إلى شـراب بعـد الـولادة لإدرار اللبن من الثدي.

وأعطى للفتــاة المراهقــة لتنظيم الــدورة الشــهرية، ولفتح الشهية، ومعالجة فقر الدم، كمـا يمكن اسـتخدام بـذوري في علاج الســعال الــديكي، والربــو، والأمــراض الصــدرية، والبواســير، والإمساك، والبقع الداكنة، والكلف بالنسبة للبشرة.

قلت: والاستعمال الخارجي؟

قالت: يمكن أن أطحن واسـتخدم كلبخـة مـع المـاء السـاخن على مكان الخـراج لإنضـاجه، وللإصـبع الـداحس، وخـراريج الثـدي والشرج.

أدوية خاصة

الكمأة:

انصـرفت حبـة الحلبـة مختالـة كمـا دخلت، فجـاءت بعـدها الكمأة(1) في غاية التواضع والمذلة، فتعجبت منها، وقلت: ما بالـك أيتها الكمأة المباركة.. ألم يبلغـك مـا ورد فيـك من الأحـاديث الـتي

1) الكمأة: نبات فطري وتشبه في شكلها البطاطا مع اختلاف اللون والرائحة، تنمو في الصحارى، وتحت أشجار البلوط.

تشبهك بالمن.. فقد قال فيك:(الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء من للعين)(1)؟

قالت: بلى.. وكيف لا أحفظ قول حبيبي ﷺ.. ولولاه لكنت في طيات الخمول.. لقد قال ذلك بعد أن اتهمني أصحاب النبي ﷺ فقالوا:(الكمأة جدري الأرض)فصحح ذلك، وقال ما قال بأبي هو وأمي.

قلت: فلم لا تختالين كما اختالت أختك الحلبة؟

قالت: كل منا له مقام معلوم لا يجاوزه.. أما مقامها فدعاها لما دعاها له من الخيلاء.. أما مقامي فهو مقام الحزن المتدفق من بحار التوكل.

قلت: الحزن.. وهل في أرض السلام حزن؟

قالت: حزن العارفين.. لا حزن الغافلين.

قلت: تقصدين الحزن الوارد في قوله تعالى:﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة:92)

قالت: أجل.. فلذلك جعلني الله دواء للعين..

قلت: وكيف تزعمين التوكل؟

قالت: ألا تراني بلا ساق ولا أوراق.. ولا تحرث أرضي ولا تزرع.

قلت: فمن أين يأتيك رزقك رغدا؟

قالت: ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(آل عمران:37)

قلت: تلك مريم ـ عليها السلام ـ

قالت: كل من توكل على الله عامله الله كما يعامل مريم ـ عليها السلام ـ.. ليس عند ربك إلا العدل والفضل.

قلت: فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قالت: لقد نطق بها الحبيب.. ألا يكفيك؟

قلت: بلى.. هو على العين والرأس.. ولكنك تعرفين قومي.. وما ملأونا به من الأوهام.

قالت: لا بأس عليك.. فالله يغير من حال إلى حال.. لقد ذكروا أني غنية بالبروتين، حيث أحتوي منه على 13بالمائة وأحتوي على الفسفور، والبوتاسيوم، والصوديوم(2).

1) البخاري.

2) انظر: المعتز بالله المرزوقي: في محاضرة له بعنوان (الكمأة و ماؤها شفاء للعين)من مواد المؤتمر العالمي الأول عن الطب الاسلامي الكويت 1980.

قلت: فما المن الذي أخبر رسول الله ﷺ أنك منه؟

قالت: لقد ذكروا أنه من جنس المن الذي نـزل على موسـى ، والذي نص عليه قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرائيلَ قَدْ أَنْجَيْنَـاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّـلْوَى (طـه:80)

قلت: فلم سمي كذلك؟

قالت: لأنه مما امتن الله به على عباده بدون علاج، فأنا شبيه به.. ولـذلك فأنـا أخـرج بلا مؤونـة ولا كلفـة، بالإضـافة إلى أني من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه أي شبهة.

قلت: ولكن فيك أنواعا خطيرة على الصحة.

قالت: أجل، ذلك صنف من أصنافي يميـل لونـه إلى الحمـرة يحدث الاختناق.

قلت: لقد وصفك ﷺ لعلاج العين.. فهل ثبت ذلك؟

قالت: أيقول رسول الله ﷺ قولا.. ثم تسأل عن ثبوته.

قلت: لم أقصـد ذلـك.. فرسـول اللـه ﷺ هـو سـيد الأطبـاء.. ولكني أسأل عن اهتمام المحدثين بك من هذه الناحية.

قالت: نعم.. لقد وفـق اللـه بعض الصـادقين، فـأخرج للنـاس جدوى العلاج بي من الناحية التي يفهمونها.

قلت: فأخبريني خبره.

قالت: في المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإســلامي ألقى الدكتور المعتز بالله المرزوقي محاضرة عن نتـائج معالجتـه لآفـات عينية مختلفة بتقطير ماء الكمأة في العين.

فقد تم استخلاص العصارة المائيـة منهـا في مختـبر فيلانـوف بأوديسا، ثم تم تجفيف السائل حتى يتمكن من الاحتفاظ به لفــترة طويلة، وعند الاستعمال تم حل المسـحوق في مـاء مقطـر لتصـل إلى نفس تركيز ماء الكمأة الطبيعي، وهو ماء بني اللون له رائحــة نفاذة.

وقد عالج به حالات متقدمة من الرمد الربيعي فكانت النتــائج إيجابيــة حيث تم تشخيصــه عنــد 86 طفلاً، ثم تقســيهم إلى مجموعتين عولجت بالأدوية المعتادة، ومجموعة أضيف ماء الكمـأة إلى تلك المعالجات، حيث تم تقطير ماء الكمأة في العين المصـابة 3 مرات يومياً ولمدة شهر كامل.

وكان الفـرق واضـحاً جـداً بين المجموعـتين، فالحـالات الـتي عولجت بالأدوية المعتادة ظهر فيها تليف في ملتحمة الجفون، أمــا

التي عـولجت بمـاء الكمـأة المقطـر عـادت الملتحمـة إلى وضـعها السوي دون تليف الملتحمة.

الإثمـد:

تقدم الإثمد، وقال: أنا أخ للكمأة.. كلانا جعلنا اللــه بركــة على العين.

قلت: لكنها نبات، وأنت جماد.

قال: وما الفرق بين النبات والجماد؟

قلت: نحن نسمي النبات كائنا حيا، ونسمي الجماد كائنا..

قال: ميتا..

قلت: نعم.. لكنا نكتفي بتسميته جمادا.

قال: ألم تسمعوا بأن رسول الله ﷺ يحب جبـل أحـد.. وجبـل أحد يحب رسول الله ﷺ ؟

قلت: بلى..

قال: فهل يمكن أن يحب الميت؟

قلت: لا..

قال: فكيف تجعلوننا موتى إذن؟

قلت: هكذا يقول قومي.

قــال: قومــك يــرددون مقولــة إبليس.. فلا تتبعهم، واتبعــني ﴿ أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾(مريم:43)

قلت: أنـا معـك فيمـا تقـول.. ولا أدل على ذلـك من حـديثك معي.. ولم أجلس هـــذا المجلس إلا وأنـــا أدرك حياتـــك وحيـــاة إخوانك.. ولكني جلست هنا لأستفيد من بركاتكم.

قـال: لا شـك في بركـاتي.. فقـد جـرى اسـمي على لسـان الحبيب، كما جرى كحلي في عينيه الشريفتين.. ومـا كـان ليلمسـه شيء فيمحق.

قلت: فما قال فيك الحبيب؟

قال: لقد كان رسـول اللـه ﷺ إذا اكتحـل يكتحـل في اليمـنى ثلاثة يبتدئ بها ويختم بها، وفي اليسرى ثنتين(1).

قلت: هذا ما جرى في عينيه، فأين ما جرى على لسانه؟

قـال: لقـد قـال ﷺ:(إن خـير أكحـالكم الإثمـد، يجلـو البصـر، وينبت الشعر)(2)

قلت: لقد ذكر لك رسول الله ﷺ بركتين للشفاء.

---

1) الترمذي والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد وقال الترمذي: حديث حسن.
2) الترمذي وحسنه وابن ماجة، وصححه ابن حيان.

قال: أجل.. أما أولاهما.. فإني أؤثر على زمر جرثومية كثـيرة، وأبيد العديـد من الطفيليـات كاللايشـمانيا والبلهارسـيا والمثقبيـات والخيطيات، ولهذا أستعمل في بريطانيا لمعالجة البلهارسيا.

قلت: وما فائدة ذلك على جلاء البصر؟

قال: إن آفات العين التهابية جرثومية، وعندما تسلم الملتحمة من الاحتقان يمكن أن يكون البصر جيداً.

قلت: والثانية؟

قال: إنباتي للشعر ثابت علمياً، إذ أن من خصائصـي الدوائيـة تأثيري على البشرة والأدمة، فينبه جذر الشعرة، ويكـون عـاملاً في نموهـا، لـذا يسـتعملون مركباتـه (طرطـرات الإثمـد والبوتاسيوم)لمعالجة بعض السـعفات والصـلع، تطبـق على شـكل مرهم بنسبة 2 _ 3 بالمائة.

قلت: فما علاقة هذا بجلاء البصر؟

قـال: لأنـه بتقويـة بصـيلات أهـداب العين تحفـظ الرمـوش، فتطـول أكـثر، وبـذلك تـزداد قـدرتها في حفـظ العين من أشـعة الشمس، وفي تصفية الغبار والأوساخ، فتزيد الرؤيـا وضـوحاً وجلاءً أكثر منها في استعمال الأكحال الخالية من الإثمد.

قلت: لقد سمعت البعض يطعن في دعوة النبي ﷺ للاكتحـال بالإثمـد، ويسـتدل على ذلـك بحصـول حـوادث انسـمام عنـد بعض الحوامل نتيجة الاكتحال به.

قال: ذلك غير صحيح.. فلعل هؤلاء الحوامـل اكتحلـوا بأكحـال مغشوشـة تحتـوي على عنصـر الرصـاص السـام، فالانسـمام إنمـا يحصل من غش الإثمد بالرصاص، وليس من الاكتحال بالإثمـد كمـا دعا إليه النبي ﷺ.

قلت: لقد اختارك النبي ﷺ على غيرك.. فهل هناك غيرك مما يكتحل به؟

قال: أجل.. هنـاك مركبـات أخـرى شـائعة تسـتخدم لتكحيـل العين غـير كحـل الاثمـد.. مثـل الهبـاب النـاتج عن حـرق الفحم او الزيت.. وغيرها.. ولكـني الوحيـد الـذي لم تثبت التجـارب أيـة آثـار جانبية لي أو ضارة سواء على العين أو على الجسم.. ولهذا لا أزال أستخدم من قديم للرجال والنساء جميعا.

المردقوش:

تقدم المردقوش، وهو يقول: لقـد ورد في حـديث لا يعلمـون

مدى صحته، يقول فيه رسـول اللـه ﷺ:(عليكم بـالمرزنجوش(1)، فإنه جيد للخشام (2)) (3)

قلت: فمـا دمت لا تـدري صـحته، فمـا جلوسـك مـع أدويـة السماء.

قال: ألم تسمع ما قال الشاعر:

أدر ذكر من أهوى ولو بملام فإن أحاديث الحبيب مدامي

قلت: بلى..

قال: فحسبي أن أوضع في ورقة واحدة مع رسـول اللـه ﷺ، فإن ذلك يكفي لملئي بالعزة والفخر.. ألم تسمع ما قال عـروة بن حزام؟

قلت: أجل.. فقد اكتفى من محبوبته بأقـل مـا يكتفي النـاس، فقال:

وإني لأهوى الحشر إذ قيل إنني وعفراء يوم الحشر ملتقيان

قال: وقد كان من بركـات ذلـك أن قيض اللـه من يبحث في بركاتي.. أتعرف الدكتور عبد الباسط محمد السيد(4)؟

قلت: وكيف لا أعرفه!؟.. إنه على ثغر من ثغور العلم والدين.

قـال: فقـد ذكـر أنـه وجـد بـالتجريب العلمي أن المسـتخلص المائي المحتفـظ بـالزيوت الطيـارة من عشـبي لـه أثـر فعـال في تنظيم هرمونات الرنين، والآلدوسـتيرون، والبروسـتاجلاندين، وهي هرمونات الغدة الجاركلوية، وبهذا أكـون علاجـا جيـدا لضـغط الـدم المرتفع.

قلت: هذه بركة عظيمة.. فزيديني.

قـالت: لقـد وجـد أني أنظم هرمـون البرولاكـتين، وأنـه عنـد تجريبي بواقع كوبين من المستخلص المائي مني، فإني أحل محـل الدواء الكيميـائي، وبـذلك أسـتخدم في علاج حـالات عـدم انتظـام الدورة الشهرية، وعسر الطمث.

ومن ناحية أخرى فإني أستخدم بنجاح في علاج حالات تسمم الحمل، إذ أني آمن تماماً أثناء الحمل.

قلت:....؟

قال: وبسبب احتـوائي على مولـدات الهرمونـات في صـورة تربينات، لذا فإني مفسد لتنظيم الهرمونـات، وبعبـارة أوضـح أعيـد

---

1) اسم من أسماء المردقوش.
2) الزكام.
3) قال ابن القيم:« ورد فيه حديث لا نعلم صحته »
4) انظر: التداوي بالنبات والطب النبوي، للدكتور عبد الباسط محمد السيد.

الاتزان الهرموني، وإذا أخـذني الأصـحاء فـإني لا يـؤثر في اتـزانهم الهرموني، بل يؤدي دوره في إسراع التمثيل الغذائي.

وقـد ثبت حـديثاً أن المسـتخلص المـائي المحتفـظ بـالزيوت الطيارة منه يخفض سكر الدم بنسـبة تصـل إلى 15 بالمائـة.. أمـا عن اسـتخدامه في الخشـام، أي الزكـام، فقـد وجـد أن لي علاقـة وثيقة بتوسيع الشـعب الهوائيـة.. وثبت أن لي علاقـة وثيقـة بإزالـة الصـداع النصـفي.. كمـا يسـتخدم الـزيت النـاتج مـني في علاج المفاصل، والآلام الروماتزمية، كما أني مهـدىء وطـارد للغـازات.. كما أستخدم كمضاد للميكروبـات، إذ أوضـع مـع اللحـوم المصـنعة كمادة حافظة طبيعية.

النار الشافية:

بينما أنا منشغل بحديث الناقة إذ رأيت نارا تجر ذيولها، وترفـع هامتها، فاقتربت منها، وصحت فيها: كفي من كبريائك أيتهـا النـار.. وشـمري عن سـاقيك.. واحـذري الخيلاء الـتي جـرت إبليس إلى التكبر بك على أبي آدم ﵇.

قالت: لا تفخر بطينك على ناري.. فيحيق بك ما حاق بـإبليس عندما افتخر بناره على طينكم.

قلت: أنـا لا أفخـر.. ولكـني أرى ذيولـك وهامتـك تنم عن كبرياءك.

قالت: أخطأت في هذا.. فلسـت ممن يفعـل ذلـك خيلاء.. أنـا أمة من إماء الله أمتلئ عبودية للـه.. ألم تسـمع قولـه تعـالى وهـو يخاطبني: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(الانبياء:69)

قلت: بلى..

قالت: فأنا نار الله الموقدة على الجاحدين.. وأنـا فضـل اللـه وبركته على الموقنين، ألم يقل الله تعالى مبينـا فضـلي: ﴿ أَفَـرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾(الواقعة:71)؟

قلت: سلمت لك في هذا.. ولكني لا أبحث الآن عنه.

قالت: فعم تبحث؟

قلت: عن أسرار الشفاء التي أنزلها الله من السماء.

قالت: فأراك لم تخطئ المجيء إلي.

قلت: فما فيك من أسرار الشفاء المنزل من السماء؟

قالت: من أنواع الـدواء الـتي وردت في السُـنَّة النبويـة قـولاً وفعلاً: الكيّ بالنار، فقد ثبتت في العلاج بذلك جملة أحاديث صحاح.

قلت: فاذكري لي منها ما أعلم به صدق دعواك.

قالت: لقد ثبت في الصحيح من حديث جابر بن عبد اللــه، أن النبي ﷺ بعث إلى أُبيّ بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً، وكواه عليه.

ولمــا رُمي سـعد بن معـاذ في أكحلـه حسـمه النـبي ﷺ، ثم ورِمت، فحسمه الثانية، والحسم: هو الكيّ.

وفي طريق آخر: أن النبي ﷺ كوى سعد بن معـاذ في أكحلـه بمشقص، ثم حسمه سعد بن معاذ أو غيره من أصحابه.

وفي لفظ آخر أن رجلاً من الأنصار رُمِي في أكحله بمشقص، فأمر النبي ﷺ به فكوى.

وقال أبو عبيد: وقد أُتِيَ النبي ﷺ برجل نُعِتَ له الكيّ، فقال:(اكووه وارضفوه)، قال أبو عبيد: الرّضف: الحجارة تسخن، ثم يكمد بها.

قلت: أراك تنتقين من النصوص مـا تشـائين.. أتؤمـنين ببعض الكتاب وتكفرين ببعض.. ألم تسمعي قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه:(وما أحب أن أكتوي)، وفي لفظ آخـر:(وأنـا أنهى أمـتي عن الكيّ)؟

ألم تسمعي حديث عمران بن حصـين، أن النـبي ﷺ نهى عن الكيّ، قال: فابتلينا، فاكتوينا فما أفلحنا، ولا أنجحنا، وفي لفظ: نهينا عن الكي، وقال: فما أفلحنا ولا أنجحنا؟

ألم تسمعي حديث السبعين ألفا الـذين يـدخلون الجنـة بغـير حسـاب: أنهم لا يسـترقون ولا يكتـوون ولا يتطـيرون، وعلى ربهم يتوكلون؟

قالت: صدقت وصدق حبيبي ﷺ.. وقد خطفت هذه الأحـاديث من لساني.

قلت: فكيف تزعمين بأنـك من أدويـة السـماء.. وقـد ورد في النصوص النهي عنك؟

قالت: أراك تأخذ ببعض الكتـاب وتكفـر ببعض، فقـد تضـمنت أحاديث الكيّ أربعة أنواع، أحدها: فعله، والثـاني: عـدم محبتـه لـه، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه.

قلت: فكيف تجمعين بين هذه المتعارضات؟

قالت: لا تعارض بينها بحمد الله تعالى، وقد جمع العلماء بينهـا بطرق من الجمـع، فقـال بعضـهم وأحسـن: فـإن فعلـه يـدل على جوازه، وعدم محبته لـه لا يـدل على المنـع منـه، وأمـا الثنـاء على تاركه، فيـدل على أن تركـه أولى وأفضـل، وأمـا النهي عنـه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بـل يفعـل

خوفاً من حدوث الداء.

أما حديث السبعين ألفا، الذين يـدخلون الجنـة بغـير حسـاب، والذين وصفوا بـأنهم لا يسـترقون ولا يكتـوون ولا يتطَّيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها أنه محمـول على من جانب اعتقاد الطبائعيين في أن الأدوية تنفع بطبعهـا، كمـا كان أهل الجاهلية يعتقدون.

ومنهـا أنـه يحتمـل أن يكـون المـراد بهـؤلاء المـذكورين في الحديث: مَن غفل عن أحوال الدنيا، وما فيها من الأسـباب المعـدة لدفع العوارض، فهم لا يعرفـون الاكتـواء ولا الاسـترقاء، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضـائه، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقَى الرقاة، ولا يحسنون من ذلك شيئاً.

قلت: فلماذا لا نستن بسنة هؤلاء؟

قالت: إن هَدْي رسـول اللـه ﷺ هـو خـير الهًـدْي، وسُـنَّته هي المتبعة دون غيرها، وقد تداوى رسول الله ﷺ وتداوى أصـحابه في حياته، ومن بعده.

قلت: ولكن من الصحابة من لم يكتو!؟

قالت: لأن الكي لا يصـلح لـه.. أرأيت لـو أن شخصـا لا يحتـاج إلى إجراء عملية جراحية، فأجراها فأثرت في صحته ألا ينــدم على ذلك؟

قلت: بلى..

قالت: فعلى هذا تحمل أحـاديث النهي(1).. فـالعلاج بالنـار من الأدوية الخاصة بأحوال معينة.. ألم تسمع بأن آخر الدواء الكي.. فلا يصـح اللجـوء إلى هـذا العلاج إلا بعـد اسـتنفاذ جميـع الوسـائل.. أو استعماله في الأحوال الخاصة به، كما في مـرض اللقـوة(2).. فقـد ورد في النصوص معالجة اللقوة بالكي.

قلت: فما اللقوة؟

قالت: هي شلل العصب الوجهي.

قلت: فكيف تشفى بالكي؟

قـالت: يغلب أن الـبرد هـو السـبب في إحـداثها، ولهـذا فـإن المعالجات الحديثة مبنية على أساس أن سـبب اللقـوة هـو تشـنج

1) ولهذا قيل: إنما نُهي عنه عمران بن حصين خاصـة، لأنـه كـان بـه ناصـور، وكـان موضعه خطراً، فنهاه عن كيه، فيشبه أن يكون النهي منصرفاً إلى الموضع المخوف منـه، والله أعلم.

2) يقول الثعالبي في فقه اللغة: اللَّقْوَةُ أَنْ يَتَعَوَّجَ وَجْهُهُ ولا يَقْدِرَ على تَغْمِيضِ إحْدَى عَيْنَيْه، وفي لسان العرب اللَّقْوة: داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منـه الشِّـدق، وقـد لُقِيَ فهـو مَلْقُوٌّ.

الأوعية المغذية للعصب، لذا فهم يعطون الأدوية الموسعة للأوعية، وما الأدوية المحمرة سوى ضرب من ضروب الأدوية الموسعة للأوعية.

نباتات من الجنة

ذهبت النار تجر أذيالها.. فرأيت خلفها منظرا بهيجا يشبه الجنة، فحثثت خطاي إليه.. فالتقيت في طريقي ثلاثا أعرفهن تمام المعرفة: الزنجبيل، والكافور، والزعفران، فاستوقفنني، فوقفت، وقلت: ما خطبكن أأنتن شرطيات تحلن بين الخلق والجنة؟

قلن: لا.. ولكن الجنة دار القرار.. ولا يمكنك أن تدخلها الآن.. أنسيت الصراط والميزان؟.. أم حملت معك صكا بالغفران؟.. ولو كان معك ذلك الصك أتسمح لنفسك أن تدخلها قبل مفتاح الهداية ورسول الرحمة؟

قلت: صدقتن.. فما أقل فقهي.. وما أقل أدبي.. ولكن ما بالكن جئتن من الجنة.

قلن: نحن بركة من بركات الجنة شرفن بذكر أسمائنا من ضمن أسماء نعيم الجنة.

قلت: فهل أنتن عينه؟

قلن: شتان بيننا وبين ذلك.. ولكنا مع ذلك اكتسبنا شرف أن نكون من أدوية السماء.

قلت: أأنتن من أدوية أهل الجنة؟

قلن: بئس ما تقول يا رجل.. أين ذهب عقلك؟.. وهل يمرض أهل الجنة حتى يحتاجون إلى التداوي بنا؟

قلت: فحدثوني عنكن.

الزنجبيل:

تقدمت نبتة الزنجبيل(1)، وقالت: من عرفني.. فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الزنجبيل، وقد ورد اسمي في قوله تعالى وهو يصف نعيم أهل الجنة: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾ (الانسان:17).. وأنا إن لم أكن بعيني في الجنة إلا أن الله تعالى بارك في بأنواع الشفاء.

وقد روي عن أبي سعيد الخدري قوله: (أهدى ملك الروم إلى رسول الله ﷺ جرة زنجبيل، فأطعم كل إنسان قطعة، وأطعمني

---

1) انظر: شفاء العليل في عجائب الزنجبيل، تأليف: أبي الفداء محمد عزت محمد عارف.

قطعة)(1)

قلت: فما فيك من بركات الشفاء؟

قالت: يستعمل منقـوعي قبـل الأكـل كمهـدئ للمعـدة وعلاج النقـرس، كمـا أني هاضـمة وطـاردة للغـازات، وأسـتعمل لتوسـيع الأوعية الدموية، وزيادة العرق والشعور بالدفء وتلطيف الحـرارة، وأسـتخدم كتوابـل في تجهـيز الأطعمـة ومنحهـا الطعم الممـيز، وأضاف إلى أنواع من المربّات والحلوى، وأضاف إلى المشـروبات الساخنة كالسحلب والقرفة.

وقـد أفـادت دراسـه حديثـة أني قـد أسـاعد في تخفيـف آلام الصداع الناتجه عن التوتر النفسي.

قلت: هذه بركة عظيمة، فما سرها؟

قالت: لقد أوضح الباحثون أن فعاليتي تكمن في قـدرتي على تقليل إنتاج مركبـات (بروسـتاجلاندنيز) المسـببه للألم في الجسـم فضـلاً عن كـوني راخيـاً للأعصـاب والعضـلات، حيث أسـاعد على الاسترخاء وتخفيف التـوتر، لـذلك أسـهم في تخفيـف آلام الصـداع الخفيفه.

قلت: ولكني أريد وصفة لإزالة الآلام الشديد.

قالت: إذا أردت وصفة لذلك فعليك مزجي مع البابونج وزهرة الزيرفون، فإني بذلك أعطي مشروباً أقوى وأكثر فعاليه في إزالـة الصداع والتشجيع على الاسترخاء.

قلت: أهذا ما فيك من بركات الشفاء؟

قالت: لا..بركاتي كثيرة.. ألم تسمع ما قال في الأطباء؟

قلت: فما قالوا؟

قالت: لقد قـالوا:(الزنجبيـل معين على الهضـم، ملين للبطن تليينا معتدلا، نافع من سـدد الكبـد العارضـة عن الـبرد، والرطوبـة، ومن ظلمة البصر الحادثة عن الرطوبة كحلا واكتحـالا، وهـو محلـل للرياح الغليظة الحادثة في الأمعـاء والمعـدة، وهـو بالجملـة صـالح للكبد والمعدة)(2)

قلت: فاذكري لي وصفات أنتفع بها، وينتفع بها قومي.

قالت: لي وصفات كثيرة لا يكفي وقتـك لعرضـها.. فالتمسـها عند أهلها من الأطباء، لا من العطارين.

الكافور:

1) أبو نعيم في الطب النبوي.
2) الطب النبوي:246.

تقدمت نبتة الكافور، وقالت: أما أنا فقد شرفت بـذك اسـمي في نعيم أهل الجنة في قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْـرَبُونَ مِنْ كَـأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (الانسـان: 5).. وليس في الـدنيا من الجنـة إلاَ الأسماء.

قلت: فما بركاتك؟

قالت: كثيرة، وسأذكر مـا يعرفـه قومـك منهـا، فقـد صـرحت السلطات الألمانية الصحية باستخدام الكافور النقي لعلاج الأمراض التالية: الكحة والتهاب الشعب الهوائية والربو حيث يؤخذ بجرعـات قليلة.

ويمكن وضع الكافور الصلب النقي في وعاء بـه مـاء يغلي ثم يزاح من على النار ويشم البخار المتصاعد بمعدل ثلاث مـرات في اليوم وتكون مدة شم البخار المشبع باالكافور حـوالي 10دقـائق.. كما يمكن دهان الصدر بمرهم يحتوي على الكافور.

ويستخدم الكـافور ضـد عـدم تـوازن الجملـة العصـبية للقلب ويستخدم بنفس الطريقة السابقة. كما يستخدم في عـدم انتظـام وتناسق دقات القلب.

ويسـتخدم على هيئـة مـرهم أو مسـتحلب للتخفيـف من آلام الرومـاتيزم، وذلـك عن طريـق دهن الجـزء المصـاب ثلاث مـرات يومياً.

ويسـتخدم ضـد هبـوط ضـغط الـدم إمـا عن طريـق الفم أو الاستنشـاق.. ويسـتخدم ضـد آلام الظهـر وخاصـة آلام الفقـرات القطينة حيث تدهن المناطق المصابة بمرهم يحتوي على الكافور.

قلت: أرى لك منافع عظيمة.

قالت: ولكـني عزيـزة النفس، فينـدر وجـود الأصـناف النقيـة مني.. ثم إني لا ينبغي أن يصفني إلا الأطباء.

قلت: لم؟

قالت: لأن هناك مقادير من تجاوزها أصابه الضرر.

قلت: فما المقادير النافعة؟

قالت: الجرعات اليومية الآمنة من الكافور هي مـا بين 2-ـ 4 و1جرامات موزعة على ثلاث جرعات في اليوم الواحد.. أمـا فيمـا يتعلق بالاستعمالات الخارجية، فإن الجرعة اليومية يمكن أن تكـون ما بين،5-، 19جرامات حيث تكون إما في مرهم أو كريم أو هلام.

قلت: وما الجرعات الخطرة؟

قالت: يجب أن لا تصل الجرعة إلى 6جرامـات حيث أن هـذه

الجرعة قاتلة وذلك بالنسبة للاستعمال الداخلي و1جرام قاتلة للطفل تحت سن الثانية، أما في الاستعمال الخارجي فيجب أن لا تزيد كمية الكافور على 20جراماً حيث انها تعتبر جرعة مميتة.

ويجب عدم استخدام زيت الكافور قطعياً داخلياً نظراً لاحتوائه على مادة السافرول التي تسبب التسرطن، كما يجب عدم استخدام الكافور النقي من قبل المرأة الحامل وكذلك الطفل الذي يقل عمره عن سنتين بأي حال من الأحوال.

قلت: رأيت بعض النسوة يستنشقن الكافور، ويضعنه بين ملابسهن وبين الفرش، فهل لذلك من منافع؟

قالت: إذا استنشق الكافور للتمتع برائحته أو للعلاج فلا خوف من ذلك، ولكن يجب أن لا يبالغ في ذلك لأن للكافور جرعات محددة، فإذا زاد الاستنشاق وتعدى الجرعات الآمنة فانه قد يحدث التسمم.

أما فيما يتعلق بوضع بلورات من الكافور بين الملابس والفراش فلا خوف من ذلك وهو مادة مطهرة وقاتل لبعض أنواع الحشرات وبعض أنواع البكتيريا.

الزعفران:

تقدمت زهرة زعفران، وقالت: أما أنا فإني من نباتات الجنة..

قاطعتها، وقلت: كيف تقولين ذلك؟.. وأين ذكرك في القرآن الكريم؟

قالت: أنسيت السنة؟.. أنسيت الكلام المستخلص من عطور الهدى، والمضمخ بروائح الحقائق؟

قلت: اعذريني.. فهل ورد فيك من السنة شيء؟

قالت: لقد قال رسول الله ﷺ:(الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها[1] المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم)[2]، وقال ﷺ:(من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل في نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك، ومن جرح به جراح في سبيل الله كان عليه طابع

---

1) الملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء يملط به الحائط أي يخلط. النهاية 4/357.

2) أحمد والترمذي عن أبي هريرة.

الشهداء)[1]، وقال ﷺ:(الحور العين خلقن من الزعفران)[2]

قلت: لقد ورد فيك نصوص كثيرة.

قالت: أجل.. وذلك يدل على فضلي.

قلت: فما فيك من بركات الشفاء؟

قالت: في بركات كثيرة، فزيتي مضاد للألم والتقلصات، ومزيل لآلام الطمث وآلام غشاء اللثة، ومسكن ومقو للجهاز العصبي المركزي.

وأنا أستخدم منذ القدم في علاج كثير من الأمراض مثل النزلات المعوية، وكمهدئ لاضطرابات المعدة ولعلاج السعال الديكي ونزلات البرد والتخفيف من غازات المعدة.

وأدخل في صناعة الأدوية الحديثة كتلك المستعملة لطرد الديدان المعوية والأدوية المهدئة للحالات العصبية والنفسية والأدوية المستعملة لتنشيط الإفراز البولي وكثير من الأدوية الأخرى.

وفوق ذلك أستعمل كتوابل في تجهيز الأطعمة والمأكولات.. بل قد أثبتت بعض البحوث الحديثة جدواي في الوقاية من السرطان.

قلت: اعلمي ما تقولين.

قالت: لقد ورد في أحدث دراسة نشرتها مجلة (الطب والبيولوجيا التجريبية)المتخصصة، أن باحثين في المكسيك أثبتوا أن بالإمكان استخدام الزعفران كعامل واق من السرطان أو في البرنامج العلاجي المخصص لهذا المرض.

ووجد الباحثون بعد مراجعة مجموعة كبيرة من الدراسات المخبرية والأبحاث التي أجريت على الحيوانات، أن الزعفران لا يمنع فقط تشكل أورام سرطانية جديدة، ولكنه قد يسبب تقلص وانكماش الأورام الموجودة، كما يزيد فعالية العلاج الكيماوي ويشجع آثاره المضادة للسرطان.

وأوضح الباحثون أن الفوائد الصحية للزعفران قد ترجع بصورة جزئية إلى محتواه العالي من المركبات التي تعرف بالكاروتينويد التي تشمل أيضا مادتي "لايكوبين" و"بيتاكاروتين" كعوامل وقاية وعلاج من السرطان.

وأشار الخبراء إلى أن زراعة الزعفران وحصاده عملية غاية

---

1) أحمد وابن حبان.

2) ابن مردويه، والخطيب البغدادي.

في الصعوبة لذلك فإن مصادره محـدودة وغاليـة، منـوهين إلى أن هـذه الدراسـة تضـيف إثباتـات جديـدة على أن بعض الأطعمـة والبهـارات تحتـوي على مركبـات تملـك خصـائص واقيـة من السرطان.

قلت: لقـد رويت أن رسـول اللـه ﷺ أخـبر بـأن الحـور العين خلقن من الزعفران، فهل لذلك من سر؟

قالت: لقد أثبتت الأبحاث بأني من الأدوية المفرحة المنشطة، فأنا مضادة للتشنج، أدخل السـرور على قلب من يشـربني، منبهـة للمعـدة، شـديدة المفعـول للأمعـاء والأعصـاب، منشـطة مـدرة للطمث، ولهذا أدخل في بعض الأدوية المستخدمة لتنشيط القلب.

قلت: فهل لاستعمالك من مخاطر؟

قالت: من أسرف في استعمالي لا بـد أن يتضـرر، فالأبحـاث تؤكد بأن كثرة استعمالي تصدع الرأس وتنـوم الحـواس لـذا ينصـح بعدم الإكثار مني.

قلت: ومن يسرف فيك مع غلاء ثمنك؟

قالت: ثمني يدل على قيمتي.. وهو نتيجة الجهد المبـذول في اسـتخراجي، حيث أن الحصـول على غـرام واحـد من الزعفـران الأصلي يتطلب مائة زهـرة وللحصـول على نصـف كيلـو من نفس الصنف يحتاج 225 ألف زهرة من زهور الزعفران لذا كان سـعره باهظا.

ولهـذا احـذر من الزعفـران المغشـوش، فبعض الجشـعين يخلطني بأعشاب مشابهة لي لزيادة الوزن مثل العصـفر المشـابه للوني وفي سرعة الذوبان بالماء ويباع على أني زعفران صحيح.

الخاتمة

بينمـا كنت مسـتغرقا في الحـديث إلى الزعفـران، رأيت نفسي فجأة أسقط من السماء إلى الأرض سقوطا حـرا تيقنت عنده بـأن العمـر الـذي كتبـه اللـه لي قـد انتهى، وأن أجلي قـد وافاني، فسلمت نفسي لربي راضيا مطمئنا بعـد أن امتلأت من المعارف والبركات التي استفدتها من أدوية السماء.

لكن مـا هي إلا لحظـات من ذلـك السـقوط المريـع حـتى وجدت نفسي في بيتي مستلق على فراشي، وبجانبي كوب من الزنجبيل.. تذكرت حينها أني كنت مريضا، وأني كنت بين الفينـة والفينة أرشف من ذلك الزنجبيـل إلى أن جـاءني معلم السـلام وأنا على تلك الحال.

وقد حمدت الله كثيرا على أن أهلي كانوا غائبين عن البيت طيلـة الفـترة الـتي زرت فيهـا تلـك المـدائن الممتلئـة بالسـلام والطهارة.. وإلا فإنهم سيحضرون لي من الرقاة أو من الأطبـاء من يملؤني ألما وحزنا وصراعا.

تـذكرت وأنـا أنظـر إلى كـأس الزنجبيـل تلـك الـدروس العظيمة التي علمنيها معلمو البركة، فـرحت أحـاول أن أطبقهـا على نفسي، فاستلقيت مسترخيا لأحضر جميـع أعضـائي لتلقي البركات.. ثم ارتشفت جرعة من الزنجبيل بعد أن سميت اللـه، وطلبت منه أن يبارك فيها.. ثم ما لبثت إلى أن شعرت بأن تلك الجرعة تعمل عملها في جسمي، فتنشر العافيـة في كـل محـل تنزل به.. ثم ما لبثت أن قمت نشيطا معافى، وكأنـه لم يلم بي داء، ولم ينزل بي ألم.

حمدت الله على هذه النعمة العظيمة .. نعمة البركة الـتي لا تدانيها أي نعمة أخرى، واستغربت من غفلتنا ـ معشر البشر ـ عن هذا العنصر الخطير من عناصر العافية..

هذا الكتاب

أحداث هذه الرواية تدور حول رحلة يأخذ معلم السلام فيها تلميذه إلى بلاد السلام، وإلى محل يشبه المسجد الأقصى المبارك، وهناك يلتقي معلم البركة، وبالمتوسمين الذين يدلونه على كيفية الاستفادة من البركات، وكيفية التعامل معها.. وهو يمر في رحلته تلك بأربعة أقسام:

القسم الأول: مرصد البركة.. وهو المحل الذي يبحث فيه على مصادر البركة ووسائطها ومحالها ومواقيتها.

القسم الثاني: منازل البركة.. وهي اللطائف التي يتكون منها بنيان الإنسان، وفيها يعرف حقيقته وعلاقة البركات بها، لأن بركات الله تحتاج إلى محال تنزل فيها، ومنازل تحل بها.

القسم الثالث: مخزن البركة .. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أغذية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

القسم الرابع: مشافي البركة .. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أدوية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

وقد حاور تلميذ السلام في هذه الرواية كل ما مر به من أغذية وأدوية وغيرها، وتبين له من خلال الحوار أن أسباب بركتها هو تلك الأحوال الروحانية العالية التي تعيشها تلك الموجودات التي بارك الله فيها.. فقيمتها ليس في مكوناتها المادية، وإنما في أحوالها الروحية.